صلاح فائق
شاعر المناسبات الشخصية التي تشبه المعجزات
ص 10 »

بوعلام بالسايح
حكام في الجزائر من القصر إلى القبر
ص 9 »

جندرة الدستور
التغيير الذي قد تحدثه المرأة
ص 8 »

خالد الكلالدة
النطاسي المطعون بداء السياسة
ص 7 »

وجوه

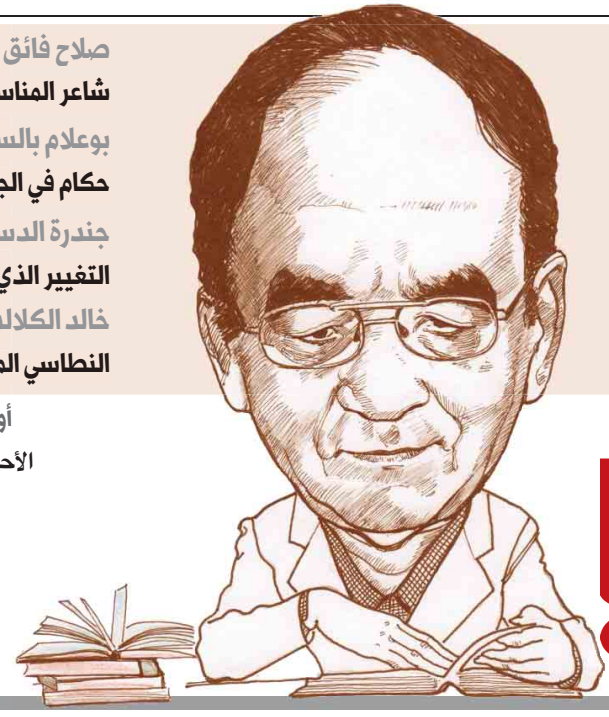

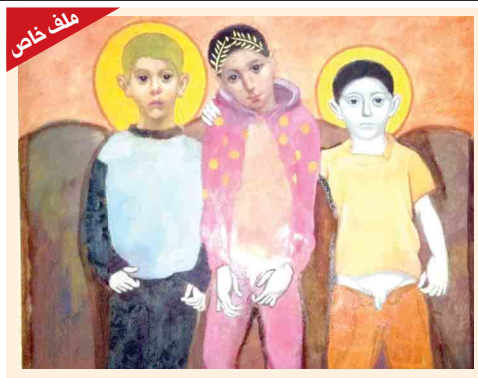

ملف خاص

العرب (الثقافي)

صورة الكاتب في طفولته

كاتبات وكتاب عرب وأوراق من زمن البراءة

ص 11 إلى 15 »

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2016/09/04 – الموافق لـ 02 ذي الحجة 1437
السنة 39 العدد 10386

Sunday 04/09/2016
39th Year, Issue 10386

قمة العشرين.. فرصة الكبار للخروج من الورطة السورية

• متغيرات الأشهر الأخيرة تحدد ملامح الحل والمستفيدين منه

❑ **هانغتشو (الصين)** – قد تجد الدول الكبرى نفسها مضطرة خلال قمة العشرين للبحث عن حل للملف السوري الذي بدأ يخرج عن السيطرة ويهدد بالتحول إلى نزاع إقليمي تجد فيه الحركات المتشددة فرصة لخلط الأوراق.

وتستضيف مدينة هانغتشو الصينية الأحد والاثنين فعاليات قمة العشرين بمشاركة نحو 20 دولة، وينتظر أن يكون الملف السوري أحد ملفاتها الرئيسية.

وقال مراقبون إن الجميع بات يسعى لحل سياسي للنزاع السوري، لكن الأمر صعب في ظل تباين الأجندات والأهداف، فضلا عن موازين القوى الحالية التي تغيرت بشكل دراماتيكي.

وأشار المراقبون إلى أن الدول المعنية بالنزاع ذهبت إلى قمة الصين مسلحة بما حققته خلال الشهرين الماضيين. وستكون روسيا صاحبة القرار الأخير بعد أن غيّر تدخلها منذ عام في سوريا التوازنات العسكرية والسياسية.

ونجحت القيادة الروسية في استقطاب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، أحد أبرز المصنفين كعدو للرئيس السوري بشار الأسد. وتعلن أنقرة رغبتها، بشكل صريح، في التطبيع مع الأسد مقابل دعم موسكو لها في الحرب على الأكراد.

وبدا الصمت الروسي على اجتياح القوات التركية لأراض سورية رسالة دعم لأردوغان واستفزاز لواشنطن التي أوكلت لأنقرة مهمة إنشاء وإدارة الجبهة المعارضة للأسد، ثم انقلبت عليها بسبب ما قالت إنه تهاون تركي في الحرب على داعش وأن قوات سوريا الديمقراطية ذات الغالبية الكردية هي الأقدر على مقاومة التنظيم المتشدد.

ووضع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على رأس برنامج لقاءاته الاجتماع بنظيره التركي على هامش القمة في رسالة رمزية داعمة له في الأزمة مع واشنطن التي وجدت نفسها في وضع صعب قد يدفعها إلى التضحية بالتحالف مع الأكراد لاسترضاء أردوغان.

وستكون الدوائر العسكرية الأميركية مجبرة على انتظار الإدارة الجديدة في البيت الأبيض لتحدّد موقفها ممّا يجري في سوريا، وهو أمر قد يستغرق أشهرا ما يسهّل على روسيا وتركيا فرض أمر واقع جديد عسكريا وسياسيا.

ولا تنتظر أوساط دبلوماسية انفراجة بين أنقرة وواشنطن بعد اللقاء المرتقب بين أوباما وأردوغان خاصة أن الأخير يتمسك بأن يسلّمه الأميركيون خصمه اللدود فتح الله غولن، وهو أمر مستبعد.

لكن المراقبين حذروا من أن المغازلة الروسية التركية لن تدوم طويلا، مشيرين إلى أن موسكو لن تقبل أن يسيطر الأتراك على شمال سوريا، وأن يحوّلوا المعارضة المرتبطة بهم إلى قوة عسكرية ذات نفوذ على الأرض.

ورجحت أوساط روسية أن يكون الدعم الروسي لأردوغان محدودا في الزمان، متوقعة أن يضغط بوتين على أردوغان ليوقف الهجوم على شمال سوريا، خاصة بعد أن فتح الجيش التركي السبت جبهة جديدة.

وقالت وكالة دوجان للأنباء إن دبابات تركية عبرت الحدود من إقليم كلس إلى شمال سوريا فيما قصفت مدافع هاوتزر مواقع داعش بالمنطقة.

وأضافت أن الدبابات عبرت الحدود قرب قرية جوبان باي التركية على الجانب الآخر من قرية الراعي السورية.

وتقع المنطقة على بعد نحو 55 كيلومترا جنوب غربي جرابلس التي بدأت فيها قوات من المعارضة السورية مدعومة من تركيا الأسبوع الماضي عملية "درع الفرات" باعتبارها أول توغل تركي كبير في شمال سوريا منذ بداية الحرب قبل أكثر من خمس سنوات.

وتسعى السعودية، التي يمثلها ولي ولي العهد الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز في القمة، إلى الدفاع عن الحوار بين المعارضة، ويمثلها الذين أفرزهم مؤتمر الرياض، والنظام شرط ضمانات بألا يكون للأسد أيّ دور مستقبلي في عملية الانتقال السياسي بسوريا.

بالمقابل، فإن إيران غير العضو في مجموعة العشرين، تفقد مواقعها ومكاسبها في سوريا لفائدة روسيا، وأصبح دورها التحرك لإنجاح أفكار الرئيس الروسي وآخرها التحالف مع أردوغان رغم عدائه لحليفها الأسد.

وينتظر أن تشهد القمة جدلا كبيرا حول قضايا مختلفة بسبب تعدد الأزمات مثار الخلاف بما في ذلك بين الصين والولايات المتحدة حول بحر الصين الجنوبي، وبين الصين وتركيا بسبب أقلية الإيغور الذين استقبلت منهم أنقرة أعدادا من الهاربين مما تسميه "الاضطهاد الديني" فيما تصفهم بكين بالإرهابيين.

ونشبت مشادة كلامية على مدرج الطائرات بين مسؤول صيني ومستشارة الأمن القومي الأميركي سوزان رايس السبت مما دفع جهاز المخابرات للتدخل في جدال غير معتاد.

فبعد قليل من هبوط طائرة أوباما حاول مسؤول صيني منع رايس من السير نحو موكب السيارات لأنها عبرت منطقة مخصصة لوسائل الإعلام وتحدث معها بلهجة غاضبة قبل أن يتدخل أحد ضباط المخابرات.

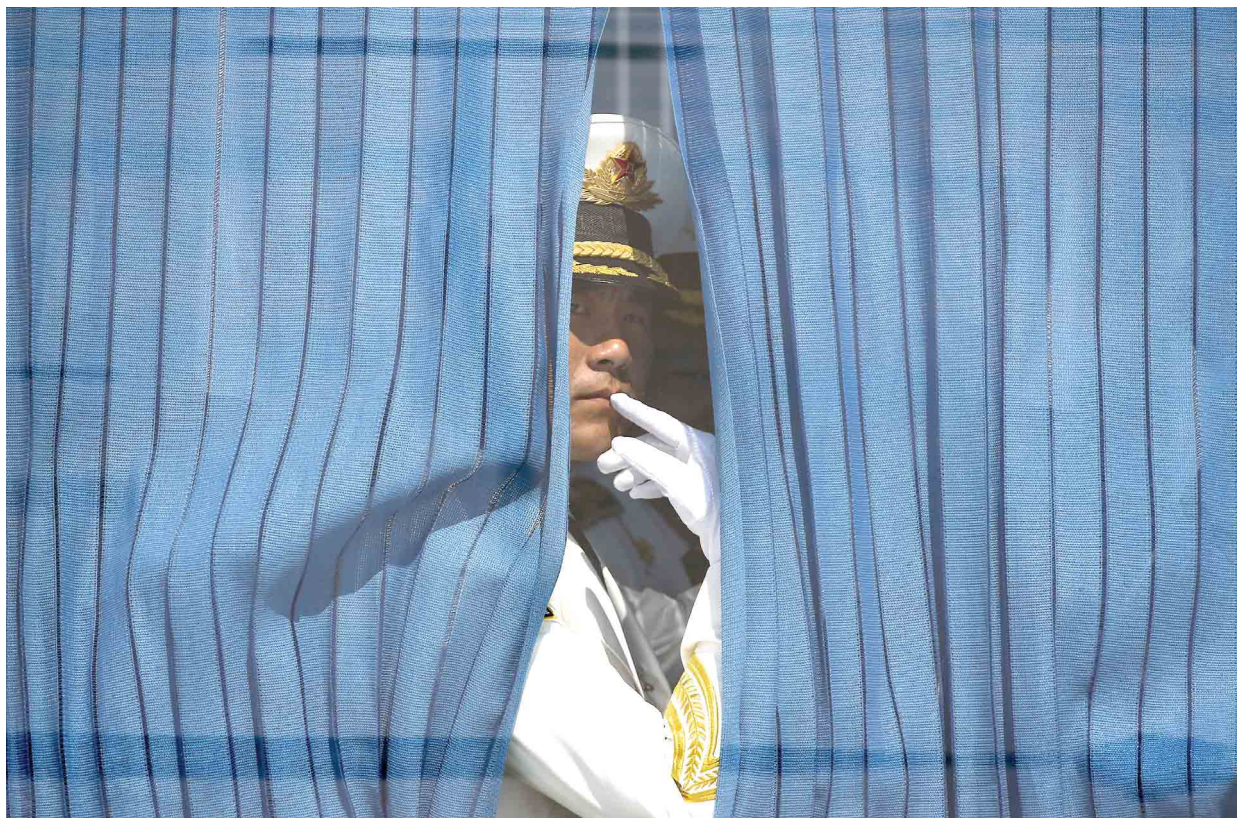

الصين تراقب الصراعات من وراء الستار

صالح يتحرك لإثارة الجنوبيين ضد هادي

❑ **صنعاء** – علمت مصادر "العرب" أن الرئيس اليمني السابق علي عبدالله صالح يتحرك لإثارة مخاوف الجنوبيين من حكومة خلفه الرئيس الانتقالي عبدربه منصور هادي، في محاولة لتحريك الشارع الجنوبي وإرباك الوضع في عدن.

والتقى صالح الأسبوع الماضي ضباطا من الجنوب وبعض الإعلاميين المقربين منه والذين تعمدوا نشر إشاعة عن وجود خطة لإعادة اجتياح المحافظات الجنوبية.

وقال مراقبون إن صالح يهدد الجنوبيين ضمنيا برسالة مفادها: اكتفوا بما لديكم ولا تتركوا شرعية عبدربه منصور هادي تدخلكم في معارك لا علاقة لها بقضيتكم فتخسرون المكاسب التي حصلتم عليها.

وأشاروا إلى أن هذه الخطوة هدفها تضييق خيارات الشرعية والتحالف وتشتيت جهودهما العسكرية.

ولم يستبعد هؤلاء أن تجد خطة الرئيس السابق صدى لدى الحراك الجنوبي الذي أصبح مرتبطا بالأجندة الإيرانية أكثر من أيّ وقت مضى، خاصة أن تحركاته ومواقفه الأخيرة تصب في ذات الاتجاه، أي فصل ملف الجنوب عن ملف الحكومة المدعومة من السعودية.

وكشفت المصادر السابقة أن صالح بات يشرف على الملف العسكري بشكل كبير وخصوصا في جبهات بعينها بينها محيط العاصمة صنعاء، وأنه بات يجري تبديلات متتالية على مواقع القيادات العسكرية خوفا من أيّ تحرك من عناصر مرتبطة بالفريق علي محسن الأحمر.

وقالت إنه حرص على تمكين بعض رجاله المبعدين من مواقعهم سواء الذين أبعدهم عبدربه منصور هادي قبل المغادرة إلى عدن، أو أبعدهم الحوثيون لاعتبارات تهم الولاء.

ومن الواضح أن الرئيس السابق بات مقتنعا بأن الحل السياسي سيفشل، وأن الخيار العسكري سيكون محور الأشهر المقبلة، ولذلك يتجهز للأمر.

وزاد رفض طرفي الأزمة لمبادرة وزير الخارجية الأميركي جون كيري، في تعبيد الطريق أمام الخيار العسكري الذي يبدو أن الحكومة والتحالف بدآ بدورهما يستعدان له بشكل متسارع.

وأفادت وسائل إعلام يمنية بأنه يجري نقل مجندين في صفوف القوات الموالية لعبدربه منصور هادي في المحافظات الجنوبية إلى الحدود اليمنية السعودية لصد هجمات الحوثيين.

وقد لا يقف دور هذه القوات عند منع استهداف الحدود السعودية، بل ربما يتم فتح جبهة جديدة على مواقع المتمردين الحوثيين.

تغيير النظام اللبناني.. على هامش انتخاب رئيس
خيرالله خيرالله
ص 5 »

تعميم الميليشيات لتهميش الجيش وتعبيد طريق التقسيم في العراق

• قوة مسيحية مقاتلة تحرر قرية من داعش بالموصل

❑ **نينوى (العراق)** – تستثمر جهات إقليمية ودولية مخاوف الأقليات في العراق من هجمات داعش للتشجيع على تكوين ميليشيات عرقية جديدة على خطى الحشد الشعبي المرتبط بإيران، والبيشمركة الكردية، وهو ما يفتح الطريق أمام تهميش الجيش ككوة قادرة لوحدها على حماية العراق.

وأفاد مصدر عسكري عراقي السبت أن قوة من المكون "المسيحي" تمكنت من تحرير قرية، ضمن محور الخازر، شرق الموصل، من قبضة داعش، في أول اختبار لمقاتلي الأقليات ضمن تشكيل تأسّس مؤخرا لمحاربة داعش.

وقال العميد بهنام عبوش، آمر قوة وحدات حماية سهل نينوى (مسيحية)، إن "قواته تمكنت من تمشيط قرية (بدنة كبير) وهي ضمن قرى قضاء الحمدانية والواقعة ضمن محور الخازر (إحدى جبهات القتال مع داعش)، شرق الموصل، وتشرف عليها قوات البيشمركة (الإقليم الكردي)".

وأوضح عبوش، أن "مقاتلين مسيحيين فقط هم من نفذوا العملية وبإسناد جوي من قبل طائرات التحالف الدولي".

وأضاف عبوش، "القرية تعود للشبك (طائفة كردية) وكانت خالية من السكان بعد سيطرة داعش عليها"، مبينا بأن "قواته نجحت في الاختبار الأول الذي كلفت به ومن المؤمّل أن تنسحب القوة إلى وحداتها بعد إنجاز المهمة".

ويشارك مقاتلو "وحدات حماية سهل نينوى" إلى جانب قوات البيشمركة الكردية ضمن محوري تلسقف والخازر شمال وشرق الموصل.

ولم يكن ظهور هذه الميليشيا مفاجئا، فقد سبق أن سلطت عليه وسائل إعلام غربية الضوء منذ 2015، في سياق رغبة الولايات المتحدة في أن يتولى المسيحيون العراقيون الدفاع عن مناطقهم أسوة بالمناطق الشيعية والكردية والسنية.

وقد تولت الولايات المتحدة بالتنسيق مع تركيا تدريب ميليشيا من العشائر السنية أطلق عليها اسم الحشد الوطني، لكن دورها ما يزال ثانويا في محاربة داعش.

وأشارت مجلة "نيوزويك" الأميركية في فبراير 2015 إلى أن الآلاف من المسيحيين العراقيين شكلوا ميليشيا خاصة بهم، تحت اسم "وحدات الحماية المسيحية في سهول نينوى".

وقالت المجلة إن "وحدات الحماية المسيحية في نينوى" (إن بي يو)، تطوع في صفوفها 3 آلاف من الشباب الآشوريين كي يتدرّبوا، وقد أسس الميليشيا حزب "الحركة الآشورية الديمقراطية" العراقي.

وكشفت "وول ستريت جورنال" من جهتها عن أن المئات من المسيحيين يتدربون في قاعدة سابقة للجيش الأميركي خارج مدينة كركوك التي تبعد 250 كيلومترا شمال غرب بغداد.

وذكرت الصحيفة أنه تمت المصادقة في الكونغرس الأميركي على تقديم 1.6 مليار دولار لتدريب وإعداد المقاتلين لمحاربة تنظيم "الدولة الإسلامية"، ونص قرار المساعدة على أنه يمكن استخدامها لتدريب الأقليات في سهول نينوى، كي تتمكن من الدفاع عن نفسها.

ويعيد تشكيل ميليشيا للمسيحيين في العراق التذكير بدور نظرائهم في سوريا المجاورة حيث شكلوا المجلس العسكري السرياني الذي يلعب دورا فاعلا إلى جانب حزب وحدات حماية الشعب الكردي.

وتعمل كل من تركيا وإيران على استقطاب التركمان ودعمهم ليكونوا قادرين على الدفاع عن مناطقهم، خاصة في كركوك الغنية بالنفط والتي يخطط الأكراد لإلحاقها نهائيا بإقليم كردستان العراق الذي يتجه للانفصال.

وقال مراقبون عراقيون إن الدول الأجنبية المتورطة في الملف العراقي تعمل على تسليح المجموعات العرقية المقرّبة منها، ما يسمح بظهور ميليشيات تعمل لفائدتها بالوكالة مثلما هو الأمر مع الحشد الشعبي الذي يعمل بتنسيق مباشر مع قيادات عسكرية إيرانية.

وأشار مراقب عراقي في تصريح لـ"العرب" إلى أن تنوع الميليشيات المسلحة سيجعل من الصعب تلافي التقسيم مستقبلا، فضلا عن أن الجميع سيجعل شعاره اعتماد القوة لتحصيل حقه، ومن ثمة من يمتلك القوة يمكن أن يحصل على مكاسب أكبر، ما يجعل الحل السياسي للخلافات أمرا صعبا.

وأضاف المراقب أن ضعف الحكومة المركزية في بغداد وارتهانها لخلفية طائفية ساعد على ظهور الميليشيات المسلحة، وسيزيد وجودها أكثر من عجز حكومة حيدر العبادي عن إيجاد فضاء للحوار بشأن مواطن النزاع خاصة مع الأكراد.

مصرع الخطيب العدناني النابح على الحضارات
أسعد البصري
ص 4 »

حزب الله يهدد جنبلاط علنا
أحمد عدنان
ص5 »

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

فرنسا تطرح نفسها وسيطا لحل الأزمة السياسية في ليبيا

باريس تحث حكومة السراج على تسوية مع البرلمان والفريق حفتر

يخشى المجتمع الدولي وبخاصة الأوروبيين من انفلات زمام الأمور أكثر في ليبيا في ظل الأزمة السياسية المزمنة التي تشهدها البلاد منذ العام 2011، وبات هناك شبه إجماع على أنه لا مناص من إعادة تصويب الأمور عبر إيجاد تسوية ترضي كلاً من البرلمان الشرعي وقائد الجيش اللواء خليفة حفتر وحكومة الوفاق.

مقارعة داعش لا تكون إلا بوحدة وطنية

❏ **طرابلس** – يثير عجز حكومة الوفاق الوطني الليبية على تحقيق الاستقرار السياسي للبلاد، بعد عدة أشهر من انطلاقة عملها، قلق الدول الأوروبية وبخاصة فرنسا.

وأبدى المجتمع الدولي والأوروبيون أساسا حرصا في الفترة الماضية على إعطاء حكومة الوفاق التي شكلها فايز السراج بموجب اتفاق الصخيرات، فرصتها لحلحلة الوضع السياسي المتأجج، بيد أن الأخير فشل في تحقيق ذلك من خلال اعتماده سياسة الهروب إلى الأمام سواء في تعامله مع البرلمان الشرعي المعترف به دوليا، أو مع الجيش بقيادة الفريق خليفة حفتر، الأمر الذي أبقى حالة الانقسام قائمة.

ويبدو أن هناك اقتناعا من أنه لا مناص من إعادة تصويب الأمور عبر دفع حكومة السراج إلى إيجاد تسوية مع البرلمان، لأن عدم حصول ذلك سيعني بقاء الوضع على ما هو عليه وهذا ما سيعرقل عملية مكافحة الإرهاب.

وحث وزير الخارجية الفرنسي، جون مارك إيرو، رئيس حكومة الوفاق الليبية فايز السراج، على "إيجاد تسوية مع البرلمان المنعقد في طبرق، شرقي البلاد، والجنرال خليفة حفتر، من أجل القضاء على داعش".

وقال إيرو خلال خطاب ألقاه مساء الجمعة، أمام عدد من السفراء الفرنسيين، بمقر وزارة الخارجية، إن "الخطر الإرهابي في ليبيا وانتشار السلاح، يمثلان تحديا عاجلا لبلادنا".

وأفاد الوزير الفرنسي بأن "القضاء على داعش، يقتضي من حكومة الوفاق، السيطرة على كل المؤسسات البلاد وكامل التراب الليبي، لكن عليه التوصل قبل ذلك إلى تسوية مع برلمان طبرق والفريق حفتر".

> فرنسا تحاول لعب دور الوسيط بين الأطراف الليبية، من أجل تجنب صدام في بلاد صارت أراضيها مستباحة من قبل مختلف الميليشيات (ذات الولاءات المحلية والإقليمية المتضادة) والجماعات الإرهابية

وأوضح الوزير الفرنسي أن "فرنسا على استعداد لدعم هذه الجهود مع القوى الإقليمية وأولها مصر" التي تدعم حفتر باعتباره عائقا أمام الإسلاميين.

وكان الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند قد أعلن في بداية الأسبوع أنه سيستقبل رئيس حكومة الوفاق الليبية فايز السراج في باريس في أقرب الآجال.

ويرى متابعون أن التصريحات الفرنسية تعكس رغبة باريس الملحة في إنهاء حالة الانقسام في ليبيا باعتبارها من الدول الأكثر تضررا منها.

وتحاول فرنسا لعب دور الوسيط بين الأطراف الليبية، من أجل تجنب صدام في بلاد صارت أراضيها مستباحة من قبل مختلف الميليشيات (ذات الولاءات المحلية والإقليمية المتضادة) والجماعات الإرهابية.

ويقول متابعون إن فرنسا على غرار غيرها من دول أوروبا باتت خائفة أكثر من أن يتسبب استمرار حالة الفوضى في ليبيا إلى مزيد تسهيل تدفق اللاجئين إلى سواحلها في ظل عدم وجود سلطة واحدة في البلاد يمكن التنسيق معها على مختلف الجبهات.

وتخشى باريس أن تؤدي حالة الانقسام خاصة بين الشرق وطرابلس إلى تسهيل طرق تدفق الإرهابيين إلى أراضيها عبر ليبيا خاصة وأن تنظيم الدولة الإسلامية الذي تبنّى مختلف العمليات الإرهابية التي جرت في أوروبا بات يعيش ضغوطا متزايدة في معاقله ما قد يرجّح إمكانية سعيه إلى البحث عن سبل تنفيذ هجمات انتقامية خارج قواعده الكبرى.

وشهدت العلاقات بين فرنسا وحكومة فايز السراج توترا خلال الفترة الأخيرة، إثر اعتراف فرنسا بتواجد قوات عسكرية لها في بنغازي تقاتل إلى جانب القوات الموالية لحفتر (قائد الجيش الذي يحظى بدعم البرلمان).

واحتجت حكومة الوفاق على الدعم العسكري الذي تقدمه فرنسا لحفتر، الرافض لها (باعتبارها لم تحصل على دعم البرلمان)، كما أكدت "الوفاق" أن التدخل العسكري الفرنسي تم دون علمها ودون التنسيق معها، واعتبرته "عدوانا" على الأراضي الليبية.

وكان الرئيس فرنسوا هولاند، قد أعلن في 20 يوليو الماضي، عن مقتل 3 جنود فرنسيين كانوا يقومون بعمليات استخباراتية في تحطّم مروحيتهم في بنغازي شرقي ليبيا، فيما اعتبر إعلان الرئيس الفرنسي بوجود قوات فرنسية في ليبيا، أول تصريح رسمي لباريس، بوجود قوات لها هناك، وهو الأمر الذي أكده في اليوم ذاته المتحدث الرسمي باسم الحكومة الفرنسية بشأن وجود قوات خاصة لبلاده في ليبيا.

وسبق أن نشرت صحيفة "لوموند" في 24 فبراير الماضي، تقريرا يفيد بوجود قوات خاصة فرنسية في الشرق الليبي، تقوم بعمليات سرية، مما استدعى قيام وزارة الدفاع الفرنسية بفتح تحقيق على خلفية "شبهة إفشاء أسرار عسكرية".

ويقول متابعون إن الرغبة الفرنسية لتسوية الأزمة السياسية في ليبيا تعاضدها المجموعة الدولية، حيث بدأ مبعوث الأمم المتحدة إلى ليبيا مارتن كوبلر تحركا جديدا انطلاقا من تونس، إحدى دول الجوار الليبي، لتقريب وجهات النظر بين الفرقاء الليبيين.

وقال كوبلر في تصريحات صحافية، مساء الجمعة، إن "هناك ثلاثة مسارات للتنمية في ليبيا، الأول هو مسار الحوار السياسي الأممي الذي تم تتويجه باتفاق الصخيرات بالمغرب في ديسمبر الماضي، والمسار الأمني الساعي إلى توحيد الجيش الليبي ليكون البلد أكثر استقرارا، والمسار الثالث هو المصالحة الوطنية".

وجاءت تصريحات المبعوث الأممي على هامش اجتماع نظمته الأمم المتحدة في العاصمة التونسية (بدأ الخميس وانتهى السبت) تحت عنوان "استكشاف الخيارات المتاحة لتحقيق المصالحة الوطنية في ليبيا". وأوضح كوبلر أن "هذا الاجتماع يندرج في إطار سلسلة من الاجتماعات التمهيدية التي تبحث المصالحة الليبية الشاملة، والتي ستكون عقدا اجتماعيا جديدا يجب من خلاله إنهاء الفرقة والانقسام الحالي الذي نراه على الساحة الليبية"، مبيناً أنه سيسعى أن يخرج هذا الاجتماع بتوصيات للفاعلين الليبيين.

وشارك في اجتماع المصالحة الليبية عدد من الخبراء المحليين والدوليين في موضوع المصالحة، وعدد من الفاعلين القبليين والسياسيين الليبيين، ونشطاء من المجتمع المدني، كما شارك في الاجتماع عضوا المجلس الرئاسي الليبي، موسى الكوني وعبد السلام كاجمان، (من أصل 9 أعضاء هم إجمالي أعضاء المجلس).

انطلاقة «الميركاتو» السياسي في المغرب مع اقتراب موعد الانتخابات التشريعية

محمد بن امحمد العلوي

❏ **الرباط** – مع اقتراب موعد الانتخابات التشريعية بالمغرب المقررة في السابع من أكتوبر المقبل، تزداد حمّى الصراع بين الأطياف السياسية لتتخذ أوجها وأشكالا مختلفة.

وفي ظل هذه الأجواء المشحونة برزت من جديد ظاهرة الترحال السياسي بعدما قدم 10 نواب مؤخرا استقالاتهم للاستعداد إلى جولة انتخابية أخرى تحت مظلة أحزاب جديدة في محاولة منهم لضمان كرسي برلماني لمدة خمس سنوات قادمة.

وجاءت استقالات هؤلاء النواب قبل انتهاء مدة انتدابهم ما يجدد الجدل القانوني والأخلاقي والسياسي حول ظاهرة الترحال السياسي، التي يقضي الفصل 61 من الدستور بمنعها، بأن "يجرد من صفة عضو في أحد المجلسين كل من تخلى عن انتمائه السياسي الذي ترشح باسمه للانتخابات، أو عن الفريق أو المجموعة البرلمانية التي ينتمي إليها".

واعتبر جواد الرباع أستاذ زائر بكلية الحقوق في مراكش، وباحث في العلوم السياسية، في حديثه لـ"العرب"، أن "تلك الاستقالات الجماعية عبث سياسي يفقد المؤسسات الدستورية والحزبية مصداقيتها، كما تؤشر على ممارسة سياسية هجينة تفتقد فيها الأحزاب السياسية إلى أيّ مرجعية أو برامج حزبية".

وأضاف الرباع، موضحا أنه حينما يتم انتخاب سياسي لمقعد برلماني فهو مطوّق بمسؤولية نحو من انتخبوه والتزام قانوني تجاه وطنه، ومثل هذا السلوك سيؤثر على المواطن ويفقده الثقة في هذه المؤسسات بعزوفه عن المشاركة السياسية والانتخابية.

وتنص المادة 20 من قانون الأحزاب المغربي على أنه "لا يمكن لعضو في أحد مجلسي البرلمان أو في مجالس الجهات أو مجالس الجماعات الترابية الأخرى التخلي عن الانتماء للحزب السياسي الذي ترشح باسمه للانتخابات، تحت طائلة تجريده من عضويته في المجالس المذكورة، وذلك طبق الشروط والكيفيات التي تحددها القوانين التنظيمية لمجلسي البرلمان، والقوانين المنظمة للجهات والجماعات الترابية. وتشدد المادة 21، على منع وعدم جواز الانخراط في أكثر من حزب سياسي في نفس الآن.

ويعتقد الباحث المغربي جواد الرباع أن الترحال السياسي الجماعي قبل حلول 14 سبتمبر تاريخ الشروع الرسمي في وضع اللوائح الانتخابية، يؤشر على أن هناك أعطابا بنيوية تعرفها العملية الانتخابية والمشهد السياسي منها تخفيض نسبة العتبة الانتخابية من 6 إلى 3 في المئة، والتي تخدم اللوبيات الانتخابية وتؤدي إلى مزيد من التشرذم الحزبي.

ويجمع متابعون للشأن السياسي المغربي على أن هذه الظاهرة تمسّ في العمق النموذج الديمقراطي الذي يسعى المغرب إلى ترسيخه وتؤثر سلبا على عمل مؤسسات دستورية كالبرلمان والحكومة.

وكان المجلس الدستوري قد رفض في العام 2011 استقالات جماعية بنيّة الترشح لمجلس النواب. ورغم أن الاستقالات جاءت قبيل نهاية الولاية الحالية لمجلس النواب (الغرفة الأولى) إلا أنها تضع أكثر من علامة استفهام حول هؤلاء السياسيين ومدى التزامهم بالانتماء السياسي والقناعات الأيديولوجية والاختيارات الاجتماعية والاقتصادية وأيضا الأخلاقية.

وشدد جواد الرباع على أن موافقة المحكمة الدستورية على هذه الاستقالات والترحال السياسي الجماعي فيه شرعنة مباشرة لهذه الظواهر التي لها طابع سياسوي انتخابي ستؤدي إلى مزيد من البلقنة للمشهد وتمييعه. ولكن هل بإمكاننا أن نعمم دوافع الترحال السياسي فقط في طابعها الانتهازي وغياب الممارسة السليمة للعملية السياسية فقط؟ وعن ذلك يقول محللون يمكن أن تكون هناك مبررات أخرى تتعلق ببحث السياسي عن مظلة حزبية غير التي كان يستظل بها هي بنظره أكثر شفافية وديمقراطية في الممارسة السياسية وتعبّر بالفعل عن توجهاته وقناعاته.

وعمل المشرّع المغربي من خلال منطوق فصول الدستور ومواد قانون الأحزاب على أن يطوّق ظاهرة الترحال السياسي تحصينا للعمل السياسي، بمنع أيّ نائب برلماني يتوفر على انتداب انتخابي من الانتقال من حزب سياسي إلى آخر خلال الولاية التشريعية أي خلال مدة الانتداب الانتخابي، وأكد مراقبون أن إقدام هؤلاء البرلمانيين على هذه الخطوة هو محاولة للالتفاف على قانون الأحزاب ما دامت فترة انتدابهم ستستمر حتى 6 أكتوبر أي ليلة الانتخابات المزمع إجراؤها في 7 من الشهر.

صولات السياسيين تهدد بعزوف المواطنين

ونظرا إلى أن الترحال السياسي في المغرب مرتبط أساسا بالمحطات الانتخابية فهذا يؤكد على أن السياسي يبحث له عن موقع قدم داخل المؤسسات المنبثقة عن العملية الانتخابية .

ولتجاوز هذه المعضلة يؤكد مهتمون بالشأن السياسي والدستوري أن تكون بداية الإصلاح من داخل الأحزاب نفسها بدمقرطة التدبير الداخلي وتطوير الخطاب السياسي وتأهيل العنصر البشري حتى لا تضطر إلى استقطاب الأعيان وأشخاص آخرين خارج الحزب للحصول على مقاعد.

وهناك من يرى في كثرة الأحزاب فرصة لانتعاش ظاهرة الترحال السياسي، مؤكدين أن التعددية السياسية ليست في تفريخ أحزاب جديدة بل الأولى عقلنة تواجد الأحزاب بالمغرب حتى تنتج لنا تحالفات غير مبسترة ونخبا سياسية معافاة في مجملها من أيّ جنوح نحو الفساد وقادرة على مواجهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية وتقديم حلول للأزمات والمشاكل وخدمة التنمية والإنسان المغربي.

وخلص جواد الرباع الباحث في العلوم السياسية والمهتم بقضايا التنمية السياسات العامة، في حديثه لـ"العرب"، على أنه لا يكفي في السياق المغربي أن نتوفر على وثيقة دستورية مكتوبة، كما لا يكفي وجود انتخابات دورية بتعددية حزبية شكلية، بل لا بد من وجود فاعلين ديمقراطيين وثقافة سياسية ديمقراطية.

وأوضح جواد الرباع أن مثل هذه الاستقالات الجماعية في الممارسة السياسية تكشف عن وجود تصرفات تتجاوز الدستور ومنطوقه بشكل مباشر، وهو ما يعني أن هناك معوقات بنيوية تحول دون الذهاب قدما نحو ممارسة سياسية سليمة وانتخابات ديمقراطية.

الصدر يجدد العهد مع التصعيد

رجل الدين الشيعي يدعو العراقيين إلى الإضراب عن الطعام والعمل

يضرب رجل الدين الشيعي مقتدى الصدر موعدا جديدا مع التصعيد، بعد شهر من الاستراحة خلت فيه معظم ميادين العراق من المتظاهرين، ويقول متابعون إن دعوات الصدر للعراقيين بالإضراب عن العمل والطعام لا تعدو كونها مجرد "شطحات" استعراضية، في ظل تحكم إيران بالمشهد العراقي.

عدنا والعود أحمد

□ **بغداد** – عاد رجل الدين الشيعي المثير للجدل مقتدى الصدر مجددا لدائرة الضوء، وسط مشهد سياسي عراقي متأزم تفوح منه روائح الفساد، في كل هيئة ومؤسسة.

وأعلن الصدر، عن سلسلة إجراءات تصعيدية ضد حكومة حيدر العبادي، على رأسها، دعوة موظفي الحكومة إلى الإضراب عن العمل الأحد والاثنين، وحث المواطنين على الإضراب عن الطعام.

وقد عاد أنصاره إلى الميادين مجددا، الجمعة رافعين شعارات تطالب بالإصلاح ومحاسبة الأطراف الضالعة في الفساد.

وقال زعيم التيار الصدري، في بيان، تُلي في ساحات التحرير وسط بغداد، "بعد انتهاء مهلة الشهر، صار لزاما علينا تفعيل الاحتجاجات السلمية والإصلاحية، وسنسلك الخيارات التي قد تكون بابا لإنهاء الفساد".

واهتز العراق مؤخرا على وقع فضيحتين الأولى فجّرها وزير الدفاع خالد العبيدي حين اتهم رئيس مجلس النواب سليم الجبوري بالضغط عليه لتمرير عقود تفوح منها رائحة الفساد، وتم على ضوء اتهاماته سحب الثقة منه، أما الثانية ففجرها وزير المالية هوشيار زيباري حين كشف أن مسؤولا سياسيا قام بتحويل مبلغ 6.5 مليار دولار إلى خارج العراق.

ودعا الصدر في بيانه إلى "إضراب الموظفين كافة –عدا الأجهزة الأمنية– عن الدوام الرسمي يومي الأحد والاثنين، والبقاء أمام دوائرهم لتمشية (تسيير) الأمور الطارئة والحساسة فقط، ليكون الإصلاح مطلبا من داخل الحكومة أكثر مما هو مطلب شعبي من خارج الحكومة".

كما دعا إلى "إضراب المواطنين عن الطعام ابتداءً من الجمعة المقبل وحتى صباح الأحد، الذي يليه داخل المساجد والحسينيات والكنائس ودور العبادة والمؤسسات الثقافية والاجتماعية".

ووجّه الصدر بجمع توقيعات "مليونية" تحت عنوان "الفاسد لا يمثلني" (دون تحديد شخص بعينه)، ابتداءً من العاشر من سبتمبر الجاري وحتى نهايته.

واحتشد مساء الجمعة، الآلاف من أنصار الصدر في ساحة التحرير ببغداد، وسط إجراءات أمنية مشددة، تمثلت بإغلاق القوات الأمنية الطرق المؤدية إلى الساحة والجسور المؤدية إلى المنطقة الخضراء المحصنة أمنيا، والتي تضم مقار الحكومة والبرلمان والبعثات الدبلوماسية.

وحمل المتظاهرون الأعلام العراقية، ورددوا شعارات "كلا كلا للفاسدين"، وحملوا لافتات كتب عليها "خرجنا طلبا للإصلاح ومكافحة الفساد".

وقال مهند الأنصاري أحد المتظاهرين إن "الآلاف من أنصار مقتدى الصدر تظاهروا في ساحة التحرير تلبية لدعوة اللجنة التنسيقية المركزية للثورة الشعبية (تابعة للتيار الصدري وتتولى تنظيم الاحتجاجات)، نتيجة عدم تحقق خطوات الإصلاح التي يراها التيار الصدري، والمتمثلة بمحاربة الفساد، وتشكيل حكومة تكنوقراط".

وأضاف الأنصاري أن "المتظاهرين انتقدوا بطء الإجراءات الحكومية المتعلقة بالإصلاح، وعجز الحكومة عن توفير الخدمات، وسوء إدارة مؤسسات الدولة".

كما شهدت العديد من المحافظات العراقية خروج تظاهرات لأتباع مقتدى الصدر، احتجاجا على "استشراء الفساد، وسوء الخدمات".

وكان الصدر قد دعا أنصاره إلى عدم التظاهر لمدة شهر، على أن يقوم خلاله حيدر العبادي بتشكيل حكومة تكنوقراط، يطالب بها زعيم التيار الصدري.

ومنذ نحو عام ينظم العراقيون مظاهرات في العاصمة بغداد ومحافظات جنوبية، مطالبين بـ"تشكيل حكومة تكنوقراط، وإنهاء الخلافات السياسية الدائرة في البرلمان، وتقديم الفاسدين إلى القضاء".

ويستبعد متابعون أن تأتي مثل هذه التحركات أكلها في ظل هيمنة الأحزاب الدينية وإيران، معتبرين دعوات الصدر لا تعدو أن تكون مجرد استعراض سياسي.

ويضيف هؤلاء أن جميع الساسة اليوم يحاولون النأي بأنفسهم عن الفضائح المتلاحقة، دون أن تكون لهم الإرادة الحقيقية للقطع مع حالة الانحلال التي تشهدها مؤسسات الدولة.

وقال رئيس الوزراء العراقي الأسبق إياد علاوي، السبت إن مجلس النواب "لم يعد قادرا على تنفيذ صلاحياته الرقابية والتشريعية".

وأوضح علاوي وهو زعيم ائتلاف الوطنية، إن "العمليات الأخيرة ضمن مجلس النواب (ما حدث مؤخرا من اتهامات لرئيس البرلمان من قبل وزير الدفاع ومن ثم استجواب الأخير وسحب الثقة منه وبعدها استجواب وزير المالية) لها دلالتان الأولى عدم قدرة المجلس وقيادته على ضبط الأمور والثانية اتخاذ قرارت تهم الشعب".

ويمتلك "ائتلاف الوطنية" بزعامة إياد علاوي، 21 مقعدا في البرلمان العراقي من أصل 328 مقعدا، وله حقيبة وزارة التجارة في الحكومة الحالية.

وقال علاوي إن محاولات العبادي "غير كافية لإدارة الملفات الشائكة"، مشيراً إلى أن من حوله مقصّرين تجاهه ويمارسون التضليل.

الكويت تحث على التثبت من محتوى الهواتف قبل التوجه إلى الولايات المتحدة

□ **الكويت** – ذكرت وسائل إعلام محلية السبت، أن الكويت نصحت مواطنيها بالتأكد من أن هواتفهم المحمولة لا تحتوي على أيّ مواد قد تعتبر ذات صلة بإسلاميين متشددين قبل السفر للولايات المتحدة بعد أن مُنع ثلاثة رجال من دخول الولايات المتحدة في يوليو.

وتدقق مطارات الولايات المتحدة بشكل كبير مع الزائرين العرب والآسيويين خاصة، بدعوى مكافحة الإرهاب، ويسبب الأمر في كثير من الأحيان مضايقات للزائر.

ونقلت وكالة الأنباء الكويتية عن بيان للسفارة الكويتية في واشنطن أن السلطات "في المطارات الأميركية قد تقوم في بعض الحالات بالاطلاع على محتويات الهواتف النقالة أو الأجهزة الذكية والمحمولة".

ونقلت عن البيان أن سفارة الكويت في واشنطن تدعو "المواطنين إلى التحقق ممّا قد تحتويه أجهزتهم المحمولة قبل دخولهم إلى الأراضي الأميركية والحرص على عدم احتوائها على مواد أو صور ذات طبيعة متطرفة أو متعلقة بمناطق الصراعات أو الجماعات الإرهابية أو مقاطع العنف بكل أشكاله".

وأضافت أن ذلك يأتي "حرصا على عدم تعرض المواطنين والطلبة للاستجواب من قبل السلطات الأميركية في المطارات وإمكانية اتخاذ إجراءات بحقهم قد تصل إلى إلغاء تأشيرة الدخول وبالتالي منعهم من دخول الأراضي الأميركية".

وذكرت صحيفة الرأي في يوليو أن ثلاثة من رجال الأعمال خضعوا للاستجواب لمدة 21 ساعة في مطار لوس أنجلس وجرى فحص هواتفهم قبل رفض دخولهم في ثاني واقعة من نوعها هذا العام.

والكويت حليف وثيق للولايات المتحدة وعضو في تحالف دولي تقوده واشنطن يقاتل تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا.

وكانت الإمارات العربية المتحدة وهي حليف أيضا للولايات المتحدة طلبت من مواطنيها الرجال في يوليو عدم ارتداء الجلباب الأبيض وغطاء الرأس التقليدي عند السفر للخارج بعد طرح رجل أعمال أرضا في فندق في أوهايو واحتجازه للاشتباه في انتمائه لتنظيم الدولة الإسلامية.

وتخشى الولايات المتحدة الأميركية من اختراق عناصر لتنظيم الدولة الإسلامية أراضيها، وهو ما يفسر تشديدها للإجراءات الأمنية في المطارات.

وكان داعش قد سبق وتوعد الولايات المتحدة بشن عمليات إرهابية داخلها.

ويشكل تنظيم الدولة تحديا كبيرا أمام المجتمع الدولي، رغم انحسار قوته في معاقله الكبرى في كل من سوريا والعراق وليبيا.

مرحلة «درع الفرات» الثانية تعزز مخاوف الأكراد من تخلي واشنطن عنهم

□ **دمشق** – بدأت تركيا المرحلة الثانية من العملية العسكرية "درع الفرات" التي تشنها داخل الأراضي السورية، وسط صمت أميركي من شأنه أن يعزز المخاوف الكردية من إمكانية تخلي واشنطن عنهم.

وأرسلت تركيا المزيد من الدبابات إلى شمالي سوريا السبت، متوغلة في مدينة الراعي بحسب وسائل إعلام حكومية، بدعوى قتال تنظيم الدولة الإسلامية.

ودخلت 20 دبابة على الأقل، وخمس ناقلات جند مدرعة، وشاحنات وغيرها من العربات المدرعة عبر الحدود، بحسب ما أفادت وكالة دوجان للأنباء.

وكانت العملية التي بدأتها تركيا الشهر الماضي الأوسع خلال الحرب السورية المستمرة منذ أكثر من خمسة أعوام، ويقول المسؤولون الأتراك إن من أهدافها طرد تنظيم الدولة الإسلامية، بيد أنّ متابعين يرون أن قتال التنظيم المتشدد ليس سوى مناورة تركية هدفها الرئيسي كبح نفوذ الوحدات الكردية، والترويج في الآن ذاته للعالم على أنها من تتصدر جبهة محاربة داعش.

وكانت انتقادات كثيرة قد طالت تركيا، على مرّ السنوات الثلاث الماضية، إزاء تهاونها في مواجهة التنظيم المتشدد، لا بل إن البعض ذهب حدّ الحديث عن تنسيق تركي مع الأخير، ولعل المرحلة الأولى لعملية درع الفرات في مدينة جرابلس تدعم الفرضية الأخيرة.

وكانت الدبابات التركية مدعومة بفصائل إسلامية سورية قد شنت عملية عسكرية خاطفة في جرابلس، لم تسجل فيها أيّ مقاومة تذكر لعناصر داعش.

وصرح أحمد عثمان القيادي في "فرقة السلطان مراد" المسلحة الموالية لتركيا في بيروت "الأعمال حاليا تدور على الأطراف الشرقية والجنوبية للراعي باتجاه القرى التي تم تحريرها من داعش غرب جرابلس".

وأضاف "هذه هي المرحلة الأولى والهدف منها طرد داعش من المنطقة الحدودية بين الراعي وجرابلس قبل التقدم جنوبا باتجاه الباب (معقل تنظيم الدولة الإسلامية في محافظة حلب) ومنبج (الواقعة تحت سيطرة الأكراد)".

وعقب نجاح الأكراد في منبج أعلنوا نيتهم عن التقدم وربط "كانتونين" آخرين يسيطرون عليهما في شمال سوريا هما كوباني وعفرين.

إلا أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قال الجمعة إن تركيا لن تسمح للأكراد بإنشاء "ممرّ إرهاب".

وتعتبر أنقرة وحدات حماية الشعب الكردي منظمة إرهابية ترتبط بحزب العمال الكردستاني الانفصالي في جنوب شرق تركيا، إلا أن الولايات المتحدة أمدّت هذه القوات بالتدريب والمعدات.

وتسبب التدخل التركي في سوريا الشهر الماضي بتعقيد الأمور بشكل أكبر في الحرب السورية المعقدة بطبعها، حيث تدعم أنقرة وواشنطن جماعات مختلفة تسعى إلى استعادة السيطرة على مناطق يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية.

ويخشى الأكراد من أن فرض أنقرة لسياسة الأمر الواقع قد يدفع واشنطن لإعادة خلط أوراقها وتبني خطط جديدة قد لا يكونون من ضمنها.

وقال صالح مسلم، رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري، مؤخرا، إن المواقف الأميركية الأخيرة تجاه "قوات سوريا الديمقراطية" و"وحدات حماية الشعب" الكردية أصبحت "غامضة وتثير العديد من علامات الاستفهام".

ولفت مسلم إلى "وجود تضارب كبير جدا بين تصريحات المسؤولين الأميركيين الذين يرفضون الهجوم على القوات الكردية باعتبارها الحليف الرئيسي للولايات المتحدة بالمنطقة وتدعو لتضافر الجهود لمواجهة تنظيم داعش، وبين ما يحدث على أرض الواقع من صمت على الحملة التركية شمالي سوريا والتي لا تستهدف مواقع داعش بقدر ما تستهدف المواقع الكردية أو المواقع التي تديرها مجالس محلية متحالفة مع قوات كردية".

> تركيا تهدف من عمليتها في الباب إلى وضع قدمها على سكة السيطرة على منبج وهذا سيكون ضربة قوية للطموح الكردي

وقال "الولايات المتحدة تحالفت معنا في الحرب ضد الإرهاب، وتدافع الآن عن جماعات متطرفة لا تختلف في فكرها عن داعش، من أمثال جبهة النصرة تحت مسماها الجديد فتح الشام وجماعة الحزب الإسلامي التركستاني وأحرار الشام والجبهة الشامية وألوية السلطان مراد ونورالدين الزنكي والمعتصم، وغير ذلك من فصائل متطرفة ممن جلبتهم واعتمدت عليهم تركيا خلال توغلها في الشمال السوري".

وأضاف مسلم "السؤال الذي يُوجّه إلينا كثيرا بشأن مدى التزام الولايات المتحدة في تحالفها معنا إجابته عند الأميركيين أنفسهم وعليهم تحديد موقفهم والالتزام به على أرض الواقع". إلا أن مسلم رفض في الوقت نفسه تصوير المواقف الأميركية على أنها "ضربة أو طعنة في ظهر حلفائها الأكراد"، وأبدى تفهما كبيرا لما وصفه "بالحسابات العميقة للدول الكبرى والبحث عن المصالح.. واحتمالية الرغبة في إبقاء التعامل قائما مع كل الأطراف".

ويرى محللون عسكريون أن تركيا تهدف من عمليتها في الباب إلى وضع قدمها على سكة السيطرة على منبج وهذا سيكون ضربة قوية للطموح الكردي.

ويعتبر هؤلاء أن الولايات المتحدة تبدو مترددة وربما غير مستوعبة لصدمة التدخل التركي في شمالي سوريا، وقد تضطر إلى المناورة مع تركيا عبر التخلي مؤقتا عن دعم الأكراد، ولكنها لن تسلّم بسهولة في هذه الورقة الثمينة.

الوجهة داعش والعين على الأكراد

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم

مختار الدبابي

كرم نعمة

تصدر عن

Al Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

Kensington Centre

66 Hammersmith Road

London W14 8UD, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

«تجديد الخطاب الديني» يضيع في متاهة الصدام بين المثقف ورجل الدين

أفكار المتشددين تمر من فراغات الصراع المستمر بين الأزهر ووزارة الثقافة

لم تستطع الدعوات المطالبة بتجديد الخطاب الديني وتحديثه بما يتناسب مع متغيرات العصر وتطوّراته، تجاوز حدود التأييد "المعنوي"، ولم تخرج استعمالات هذا المصطلح عن السياقات الإعلامية والسياسية، بسبب غياب المؤسسات والأطر الجريئة القادرة على وضع خطوطه العريضة والخروج به من سوق المزايدات والخلافات؛ فمن جهة المؤسسات الثقافية إما سايرت موجة التابو والمقدس الاجتماعي الديني أو قطعت صلتها الثقافية مع المنظومة الدينية، ومن جهة أخرى كرست المؤسسة الدينية الاستفادة من هذا التابو والمقدس الديني، وانغلقت على نفسها وانشغلت بالعلوم القديمة والتقليدية وقطعت جسور التواصل مع حاضرها؛ وعندما استوجب الأمر تلاقي هاتين المؤسستين في نقطة مشتركة كان الصدام هو المسيطر.

محسن عوض الله

«تجديد الخطاب الديني» مهمة سياسية أمنية نظرا لغياب أولي الأمر

❑ **القاهرة** – في قمة التصعيد الإرهابي في المنطقة والعالم، تعالت الأصوات منادية بتجديد الخطاب الديني، كحل رئيسي لوقف نزيف التحاق الشباب بالجماعات الجهادية. ولقيت هذه الأفكار تأييدا واسعا من مختلف التيارات السياسية والثقافية التي لم تتوقف عند ما يحمله مصطلح "تجديد الخطاب الديني" من غموض وعمومية في المعنى جعلته مصطلحا فضفاضا، وتناقلته في كل مناسبة أو مؤتمر أو برنامج تلفزيوني أو مقال يكتب بعد كل هجوم إرهابي.

وإذا كان "الخطاب السياسي يمضي على نسق الخطاب الديني في العالم العربي"، كما قال المفكر المصري الراحل نصر حامد أبوزيد، والمؤسسات الدينية المؤثرة في عموم العالم الإسلامي مرتبطة بالدولة، فيكف سيتم تجديد هذا الخطاب؟ ومن سيقوم به هل هي المؤسسات الثقافية والفكرية أم المؤسسات والجامعات الدينية؟

قد تكون الإجابة هي أن يتشارك الطرفان، الثقافي والديني، وبحياد عن الطرف السياسي، في محاولة إلقاء نظرة طويلة وفاحصة وموضوعية على تراثنا الديني، بعيدا عن الأحكام المسبقة ونوستالجيا المقدس، لكن ورغم أن هذه الإجابة هي الأقرب والأصح، فإنها تبدو بعيدة عن التحقق في ظل التباعد بين المؤسسات الثقافية والدينية في العالم العربي، ولنا في الخلافات المتجدّدة بين الأزهر ووزارة الثقافة في مصر خير مثال على ذلك، فيما تسود القطيعة وغياب الحوار العلاقة بين هذه الطرفين في الكثير من البلاد العربية والإسلامية.

كان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي من الأصوات المبادرة بالدعوة إلى تجديد الخطاب الديني لمواجهة المد الإسلامي المتشدّد وتصاعد الخطر الإرهابي في مصر. وتقف مهمة السياسي عند هذا الحدّ من الدعوة، لتبدأ مهمة المثقفين ورجال الدين، لكن ما حصل هو أن الدعوة وقفت عند الحدّ الأول ولم تنتقل إلى مرحلتها الثانية والرئيسية بسبب عجز المؤسسات الدينية والثقافية على التنسيق في ما بينها للخروج بأطروحة أو رؤية جديدة لطرح تجديد الخطاب الديني.

وعكست التصريحات الأخيرة التي نسبت إلى حلمي النمنم، وزير الثقافة حول دور التعليم الأزهري، في إفساد الفكر وانتشار العنف الديني، حجم الأزمة داخل المؤسسات المنوط بها المشاركة بفاعلية في المحاربة الناعمة للعنف والمساهمة في اقتلاع أفكار التنظيمات الإرهابية من جذورها وحواضنها المختلفة. وقبل أن ينفي وزير الثقافة أو يتراجع أو يعتذر عن التصريح المنسوب إليه، شنّ بعض مشايخ الأزهر هجوما شرسا على النمنم، واتهموه بالتقاعس عن القيام بدوره الثقافي والتنويري.

وفجّر التراشق الذي بدا مثل "كرة ثلج" تكبر مع الأيام، حنقا مكبوتا لدى الطرفين، اعتبره مراقبون "أكبر خدمة تقدمها مؤسسات رسمية لجماعات العنف والتطرف التي تقف الأدوات العسكرية بمفردها عاجزة عن اجتثاث أفكارها". ولم يكن التصريح الذي نسب إلى النمنم جديدا على الشارع المصري، فقد أضحى الصدام بين الأزهر ووزارة الثقافة أمرا معتادا، ومعظم من جلسوا على كرسي وزير الثقافة في مصر دخلوا في صدام مباشر أو غير مباشر مع الأزهر، كمؤسسة أو أفراد، تتحمل وزر جانب كبير مما وصل إليه حال المجتمع المصري الثقافي، وتغلغل الجماعات المتشددة.

جاء الكلام الذي قيل إن النمنم قاله في حق الأزهر في مؤتمر نظمته الهيئة الإنجيلية مؤخرا، واتهم صراحة التعليم الأزهري بالمسؤولية عن انتشار العنف والتطرف، ما أعاد للأذهان سجالات سابقة كثيرة، جرى احتواء بعضها لأسباب سياسية، وترك البعض الآخر روافد لا تزال تداعياتها مستمرة. وردّ أزهريون عن كلام النمنم (قبل أن يتراجع عنه) بأن انتشار التطرف هو نتاج غياب دور وزارة الثقافة التي يتولى أمورها، والتخلي عن دورها الحقيقي في مواجهة الفكر المتطرف، والتفرغ للصدام مع المؤسسة الدينية.

بين المنح والمنع

يشكو مثقفون من تغوّل الأزهر في كثير من مفاصل الحياة العامة وامتلاكه حق المنح والمنع لكثير من الإبداعات الثقافية، فضلا عن مقاضاة بعض المحسوبين عليه للعديد من المثقفين بصورة جعلت عددا منهم نزيلا في السجون. ويقضي الباحث إسلام البحيري حكما بالسجن لمدة ثلاث سنوات بعد رفض الطعون في قضية اتهامه بازدراء الأديان، كما

> مراقبون يعتبرون التراشق بين الأزهر ووزارة الثقافة أكبر خدمة تقدمها مؤسسات رسمية لجماعات العنف والتطرف التي تقف الأدوات العسكرية بمفردها عاجزة عن اجتثاث أفكارها

غادرت الكاتبة فاطمة ناعوت البلاد إلى كندا، عقب صدور حكم بحبسها بالتهمة ذاتها.

وأحال النائب العام المصري منذ أيام إلى نيابة أمن الدولة العليا بلاغا يتهم المفكر سيد القمني بتهمة ازدراء الأديان أيضا، على خلفية مشاركته في ندوة نظمتها منظمة أدهوك البلجيكية في بروكسل، قبل إنه تطاول فيها على الدين الإسلامي، وفقا للبلاغ المقدم ضده. وقضت محكمة جنح مستأنف بولاق أبو العلا بوسط القاهرة، السبت الماضي، برفض الاستشكال الثاني المقدم من الأديب أحمد ناجي لوقف تنفيذ حكم حبسه عامين بتهمة خدش الحياء العام، لنشره فصلا من رواية أدبية في صحيفة "أخبار الأدب" انطوت على عبارات حملت إيحاءات متباينة.

ودخلت العلاقة بين الأزهر والمبدعين نفقا مسدودا منذ فترة، وأصبحت التجاذبات موجودة بصورة مستمرة، بصرف النظر عن اسم شيخ الأزهر، كما كانت وزارة الثقافة تدخل طرفا، بإرادتها أو دونها، ودرج الكثير من الوزراء المتعاقبين على الخلاف مع الأزهر.

كان جابر عصفور وزير الثقافة السابق واحدا من أشهر الرموز التي اعتادت توجيه انتقادات لاذعة للأزهر، وتحميله مسؤولية الانسداد في الفكر الديني، لكن الضغوط والمواءمات السياسية كانت تجبره أحيانا على التراجع عن كثير ممّا يردده ضد الأزهر، وفي النهاية تبدو العلاقة بين الأزهر والثقافة وقطاع معتبر من المثقفين، كأنها حرب أو معركة صفرية، لا بد أن يكون فيها منتصر واحد، ويسعى كل طرف أن يربحها بالضربة القاضية.

ورفض عبدالمنعم فؤاد، عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر، وصف العلاقة بالعداء أو الحرب، وأوضح لـ"العرب" أن وزير الثقافة الحالي حلمي النمنم أخف وطأة على الأزهر من سابقيه.

وحول الاتهامات الموجهة للأزهر بممارسة سلطة كهنوتية والتسبب في صدور أحكام قضائية بحبس العديد من المثقفين، زعم أن الأزهر "ليس جهة قضاء، ولا يكفر أحدا وعلماؤه ليسوا خلفاء الله في الأرض، وكل إنسان يتحمل جرمه والأحكام الصادرة بحق المثقفين تأتي تنفيذا للقانون الذي يجب أن يحترمه الجميع".

وبرأي المفكر المصري مراد وهبة، مؤسس جمعية "ابن رشد للتنوير"، أن المثقفين يجب أن يعبّروا عن تيار فكري علماني يستطيع مواجهة مؤسسة الأزهر المهيمنة.

واعتبر في تصريحات لـ"العرب" أن الأزهر مطالب بتحديد موقفه من العديد من القضايا، أهمها فكرة الإيمان بالخلافة الإسلامية، والتاريخ يذكر أن الشيخ على عبدالرازق، أحد علماء الأزهر، تم تكفيره ومنع كتابه "الإسلام وأصول الحكم" بعد رفضه للخلافة الإسلامية ودعوته لمدنية الدولة.

وأشار وهبة إلى أن الأزهر كمؤسسة لا زال على نهجه الرافض لكتاب علي عبدالرازق، وبالتالي فهي تدعم الخلافة التي ينتهجها تنظيم مثل داعش، وناشد الأزهر إعادة النظر في هذه الأفكار، وإعلان موقفه منها، قبل الحديث عن أيّ قضايا أخرى.

تقاعس متبادل

توالي الأزمات بين الأزهر والمثقفين خرج من رحم جانبين، الأول تحميل كل طرف مسؤولية انتشار الأفكار المتشددة للطرف الآخر، ومحاولة التنصل من التهمة التي تتردد دوما أن الطرفين متقاعسين عن أداء الدور المنوط بهما القيام به.

والجانب الثاني أن هناك دورا تنويرا ومهام معينة يجب أن يقوم بها كل طرف لمساعدة الأجهزة الأمنية في الدور العسكري الذي تقوم به والذي يحتاج بالتوازي له دورا فكريا يقطع الطريق على احتمال تجديد دماء الخلايا الإرهابية التي تتعرض لضربات قاسية، وحيال الفشل التنويري، يسعى كل من الأزهر ووزارة الثقافة إلى رمي الكرة في ملعب الآخر.

تتطلب الحرب على الإرهاب في تقدير منير أديب، الباحث في شؤون الحركات المتطرفة، وجود رؤى مشتركة في المواجهة الفكرية، وتتمثل في خطاب ديني وثقافي جديد، ما يعني ضرورة التنسيق وليس التلاسن وتبادل الاتهامات بين المؤسسة الدينية والثقافة والمثقفين.

ودعا أديب، في تصريحات لـ"العرب"، إلى إعادة النظر في القائمين على هاتين المؤسستين، بما يتناسب مع طبيعة المرحلة الحرجة وتحدياتها الجمّة، لأنهما غير قادرتين على مواجهة الإرهاب، ولا توجد لديهما خطط أو استراتيجيات أو حتى أفكار مشتركة للمواجهة.

وأشار أديب إلى أن أكثر من 70 بالمئة من عملية القضاء على الإرهاب تعتمد على المواجهة الفكرية، التي من المفترض أن تقوم بها المؤسسات الدينية والثقافية، والنسبة الباقية (30 بالمئة) تقع على عاتق المواجهة الأمنية؛ فإذا كانت المؤسسة المتداول على أنها معتدلة تبدو قريبة من بعض أفكار المتطرفين، والوزارة المنوط بها نشر التنوير، غارقتان في الخلافات، فمن الذي سيحارب ضد التشدّد ويجدّد الخطاب؟

مصرع الخطيب العدناني النابح على الحضارات

أسعد البصري
كاتب عراقي

❑ أهنئكن يا فتيات لندن وباريس بمقتل العدناني خطيب الدواعش، النابح على القمر والجمال. أهنئ أصدقائي الشعراء في حانات الأرض، في صحة الأخطل وأبو نؤاس والمتنبي، ومَن أكثر بلاغة منا؟ قُتِل عدو من أعداء المرح. أهنئ بنات المدارس السافرات في تونس والمغرب والقاهرة، أسفرن بأبي أنتنّ وأمي، فقد قُتِل عدوٌ من أعداء المرأة.

أهنئ الفلاسفة والأحرار بمصرع عدوّ من أعداء الحرية. أهنئ المطربات والرسامين والموسيقيين والنحاتين، فقد قضى اليوم عدوّ من أعداء الفنون. أهنئكن يا فتيات الموصل والأنبار وتكريت الطيبات العربيات الماجدات، فقد رحل عدوّ الأغاني والحب والتعليم.

وعزائي للإخوان المسلمين والخمينيين والسيستانيين، عزائي لحسن نصرالله وخامنئي والوهابيين، فهذا عهد جديد يُعزّ الله فيه التنوير وأهله، ويُذلّ فيه التطرّف وأهله. وكالة أعماق تُعلن عن مصرع نابح على الحضارة الخطيب المفوه لـ"الدولة الإسلامية" أبو محمد العدناني بتاريخ 17-08-2016.

سقط الخطيب الإرهابي الذي كان يحرّض المسلم في الغرب على رفع حجر ليضرب به أيّ مواطن أجنبي على رأسه وقتله في البلد الذي أطعمه واستقبله وعلّمه اللغة والحياة الكريمة. العدناني قال في أحد خطاباته "يا رب هذه الطائرات فوقنا، وأنت فوق الطائرات". وها قد قتلته الطائرات ولم تتدخل السماء، بل تبدو ساطعة ومتلألئة أكثر في عيون الأطفال الآمنين في العالم بعد غيابه.

وقال العدناني في آخر خطاب له "اللهم إن كانت هذه الدولة دولة خوارج: فاقصم ظهرها واقتل قادتها، وأسقط رايتها، واهد جنودها إلى الحق"، وها هو الرب الرحيم يستجيب لدعائه.

لن يسمح العالم الحر بدولة دينية في القرن الحادي والعشرين، هذا هو الدرس النهائي من مصرع العدناني. وفي كل إصدارات الانتحاريين الدواعش، أولئك المجانين الذين يضحّون بشبابهم مع ابتسامة واثقة بالجنة. أسمع مقولة واحدة فقط مسكوت عنها منسوبة إلى الحسين بن علي "إن كان دين مُحَمّد لم يستقمْ، إلا بقتلي فيا سيوف خذيني". إن ثقافة التمرد والتضحية بالنفس لأجل الدين وتحدّي السلطان يجب أن تتوقف ويبدأ عصر جديد، عصر العقل.

المهم الآن أن يعي أتباع ولاية الفقيه الدرس. لا يمكن الاستمرار في تمجيد الخميني والخامنئي والسيستاني وولاية الفقيه. العرب فصلوا الدين عن السياسة ويحاربون الدواعش والإخوان وكل أشكال الإسلام السياسي. لقد وضعت مصر الشيخ القرضاوي على الإنتربول الدولي، ومرشد الإخوان المسلمين في السجن، بينما تستمر إيران بدعم الإسلام السياسي الشيعي وترهيب المنطقة ظنا منها بأن العالم سيسمح بدولة دينية من أيّ نوع وشكل.

إن فصل الدين عن السياسة ليس مزاحا، وتمتد جذوره إلى مؤسس علم السياسة في التاريخ العربي معاوية بن أبي سفيان، وهو نفس موقف الحكومات العربية اليوم. لم يكن تأسيس دولة دنيوية سهلا فقد كان على الدولة الأموية مواجهة إمام البلغاء وولده سيد شباب أهل الجنة، ومواجهة عبدالله بن الزبير وعدد كبير من الصحابة وأهل البيت. وكذلك فعلت الدولة العباسية. كان عبدالله بن الزبير خطيبا عظيما مثل العدناني وعنده ذات الأهداف المثالية الدينية، فانفض من حوله حتى أبناؤه طمعا بحياة دنيوية تعدهم بها دولة عبدالملك بن مروان.

يمر الحكام العرب اليوم بذات المحنة وعليهم أن يكونوا صارمين كالأمويين والعباسيين. المشكلة أن هناك دولة إسلامية في إيران خلطت الدين بالسياسة وحولت الفقهاء إلى سياسيين. هؤلاء سيأتي عليهم الدور فلا مستقبل لهكذا نموذج في العالم الحديث.

كانت حجة عبدالله بن الزبير في رفض البيعة ليزيد بن معاوية هي أنه شارب للخمر، وهي نفسها حجة الحسين ضد يزيد. كلها تمردات متعلقة بالورع الديني للحاكم، فانتصر الحاكم الدنيوي وتغلّب وهُزم المتشددون. وظل المرح ينتصر حتى مصرع العدناني. وربما الطيار الذي قصف العدناني أو الذي يتحكم عن بعد بالطائرة قد نال مكافأته ويرقص الآن مع حبيبته في شيكاغو ويشرب براندي.

> الحكام العرب يمرون اليوم بذات المحنة وعليهم أن يكونوا صارمين كالأمويين والعباسيين. المشكلة أن هناك دولة إسلامية في إيران خلطت الدين بالسياسة وحولت الفقهاء إلى سياسيين. هؤلاء سيأتي عليهم الدور فلا مستقبل لهكذا نموذج في العالم الحديث

مصرع العدناني في العراق مناسبة لنراجع كل أشكال الإسلام السياسي. لماذا يركض الناس خلف مقتدى الصدر؟ ما تفسير هذه الظاهرة؟ إنها تمثل غياب الفرد وغياب العقل، العقل غير موجود، لهذا لا يهتم الغرب بقتلانا، لأنه لا يوجد أحد ولم يولد الإنسان بعد.

تغيير النظام اللبناني.. على هامش انتخاب رئيس

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ هناك اليوم محاولة جدية لا يزال يقاومها اللبنانيون من أجل القضاء على ما بقي من مؤسسات الدولة اللبنانية. هناك بوضوح أكثر سعيٌ إيراني إلى السيطرة على البلد عن طريق تغيير النظام فيه والانتهاء من اتفاق الطائف وتحويل سلاح الميليشيا المذهبية المسماة "حزب الله" إلى "سلاح شرعي"، على غرار ما كان عليه السلاح الفلسطيني في الماضي القريب.

ظهر ذلك جليّا من خلال الخطاب الذي ألقاه رئيس مجلس النوّاب نبيه بري في اليوم الأخير من آب ـ أغسطس الماضي، في ذكرى غياب الإمام موسى الصدر في أثناء زيارة لليبيا عام 1978. تحدّث برّي عن ضرورة انتخاب رئيس للجمهورية اللبنانية، ولكن مع الاتفاق قبل ذلك على شكل الحكومة المقبلة وعلى نظام انتخابي جديد. مطلوب تغيير النظام لا أكثر ولا أقل وذلك على هامش انتخاب رئيس للجمهورية.

بات واضحا أن النظام اللبناني في شبه انهيار. هذا ليس عائدا إلى وجود سلاح "حزب الله" الذي لم يتطرّق الرئيس برّي إلى خطورته على مستقبل البلد وأبنائه فقط. هناك أيضا شبه حال انهيار في البلد لسبب في غاية البساطة يعود إلى أنّ انتخاب رئيس جديد للجمهورية صار مرتبطا بشروط يسعى "حزب الله"، بالتفاهم مع رئيس مجلس النوّاب، الذي هو في الوقت ذاته رئيس حركة "أمل" الشيعية، إلى فرضها على البلد وأبنائه.

لم يعد طبيعيا، كما في البلدان التي يحترم فيها نص الدستور، انتخاب رئيس للجمهورية لدى انتهاء الولاية الدستورية للرئيس الموجود في قصر بعبدا. صار كلّ شيء في لبنان من النوع غير الطبيعي، بما في ذلك وضع شروط على انتخاب الرئيس.

> تفاديا للسقوط في حال من اليأس في هذه المرحلة الصعبة التي يمر فيها الوطن الصغير، من المفيد التذكير بأن لبنان لا يزال، بعد أربعة وثلاثين عاما على اغتيال بشير الجميل، موجودا على خريطة العالم، فيما دول قريبة منه دخلت مرحلة التفتيت

لم تفهم القوى المسيحية في لبنان معنى هذا المأزق الذي غرقت فيه ولا أبعاده ولا النتائج المترتّبة عليه. ذهب المسيحيون ضحية التنافس في ما بينهم وغياب رجال الدولة القادرين على استيعاب ما يدور داخل البلد وفي محيطه.

ما لم يفهمه القادة المسيحيون في لبنان، والكلام هنا عن معظم هؤلاء القادة وليس عن جميعهم، أنّهم في مواجهة محاولة لفرض اتفاق القاهرة الجديد عليهم. لم يعرف اللبنانيون كيف التخلّص من اتفاق القاهرة القديم الموقع في العام 1969 مع الجانب الفلسطيني الذي جلب عليهم كل أنواع الويلات. لذلك نجدهم اليوم يخوضون معركة مصيرية تزداد ظروفها تعقيدا مع تحوّل لبنان دويلة في دولة "حزب الله" الذي لا يعترف بحدود لبنان أوّلا، إضافة إلى أنّه يسعى إلى تغيير طبيعة النظام من أجل أن يصبح سلاحه، وهو سلاح مذهبي في خدمة إيران، سلاحا شرعيا. كيف ذلك؟ يكون ذلك عبر اتفاق القاهرة الجديد الناجم عن نظام جديد هو نظام ما بعد الانتهاء من اتفاق الطائف.

يعتبر الحزب، الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، الرابط المذهبي أهمّ بكثير من الحدود الوطنية للدولة وسيادتها. من يحتاج إلى دليل على ذلك، يستطيع التمعن في مغزى التدخل العسكري لـ"حزب الله" في سوريا والمشاركة في حرب على الشعب السوري يخوضها النظام العلوي هناك..

هل على اللبنانيين الاستسلام لـ"حزب الله" والقبول بشروطه التي يرّوج لها رئيس مجلس النوّاب بطريقة ناعمة؟ يفترض بهم التعلّم من تجارب الماضي القريب، خصوصا أنّه كلما سنحت أمامهم فرصة، أكدوا بأكثريتهم الساحقة التعلّق بالدولة اللبنانية. حدث ذلك في العام 1982، لدى انتخاب الشيخ بشير الجميّل رئيسا للجمهورية في الثالث والعشرين من آب ـ أغسطس من تلك السنة.. في وقت كان الجيش الإسرائيلي داخل الأراضي اللبنانية.

ما لا يمكن الهرب منه أنّ المسيحيين دُفعوا وقتذاك دفعا الجيش في اتجاه إسرائيل، خصوصا عندما تبيّن أن النظام السوري قادر على استخدام المسلحين الفلسطينيين إلى أبعد حدود في غياب قيادات فلسطينية واعية تعرف أن لا مصلحة فلسطينية في تحوّل "الفدائيين" لجيش المسلمين في لبنان، مثلما لم تكن هناك مصلحة مسيحية حقيقية في إنشاء ميليشيات بحجة أن الجيش اللبناني لم يعد قادرا على تأدية الدور المفترض أن يؤديه على الصعيد الوطني.

كان دخول المسيحيين في لعبة الميليشيات من أكبر الكوارث التي حلّت بلبنان وكانت أكبر خدمة للنظام السوري الذي كان همّه محصورا في وضع اليد على البلد واستخدامه في مساومات ذات طابع إقليمي، على غرار ما تفعل إيران الآن.

في التاريخ دروس وعبر

توفّر ذكرى انتخاب بشير الجميّل رئيسا، قبل أربعة وثلاثين عاما من الآن، فرصة أمام المسيحيين وغير المسيحيين للتفكير مليًا في كيفية تفادي السقوط في أخطاء الماضي. وهذا يعني التفكير في الأسباب التي دفعت إلى اغتيال الرجل، وهي أسباب مرتبطة في أنّه صار في مرحلة معيّنة رمزا للالتفاف حول الدولة ومؤسساتها والإيمان بها. كان بشير في مأمن من الاغتيال عندما كان من رموز الحرب الداخلية والانقسامات اللبنانية. استُهدف عندما صار عامل توحيد بين اللبنانيين وعندما وضع مصلحة لبنان فوق مصلحة إسرائيل والنظام السوري.

بعد مرور كل هذه السنوات، أي أربعة وثلاثين عاما على اغتيال رئيس للجمهورية كان في الرابعة والثلاثين من العمر، لا يزال لبنان كدولة يواجه الخطر نفسه وذلك في وقت تنهار فيه الدولة السورية للأسف الشديد. من أراد القضاء على لبنان ولم ينجح، يعمل اليوم من أجل القضاء على سوريا.

قاوم لبنان ولا يزال يقاوم. صحيح أن مؤسسات الدولة اللبنانية اليوم أضعف بكثير مما كانت عليه قبل أربعة وثلاثين عاما، صحيح أن لا اهتمام عربيا بلبنان، كما كانت عليه الحال قبل أربعة وثلاثين عاما. لكنّ الصحيح أيضا أن هناك حاجة إلى تذكير اللبنانيين بأن الاستسلام لإيران التي تقف خلف "حزب الله" ليس قدرا. لا تزال في البلد مؤسسات تعمل. لو لم يكن الأمر كذلك، لما كان وزير الداخلية نهاد المشنوق استطاع القول من طرابلس، عاصمة الشمال، في يوم ذكرى انتخاب بشير الجميّل إنه لولا وجود الدولة لما كان في الإمكان كشف المجرمين الذين ارتكبوا جريمة تفجير مسجدي التقوى والسلام قبل ثلاث سنوات. لولا وجود النواة الصالحة في الدولة اللبنانية، لما كان في الإمكان توجيه الاتهام مباشرة إلى الذين يقفون وراء تلك الجريمة، أي للنظام السوري وحلفائه وأجهزته والتابعين لهذه الأجهزة.

> لم يعد طبيعيا، كما في البلدان التي يحترم فيها نص الدستور، انتخاب رئيس للجمهورية لدى انتهاء الولاية الدستورية للرئيس الموجود في قصر بعبدا. صار كل شيء في لبنان من النوع غير الطبيعي، بما في ذلك وضع شروط على انتخاب الرئيس

تفاديا للسقوط في حال من اليأس في هذه المرحلة الصعبة التي يمرّ فيها الوطن الصغير، من المفيد التذكير بأنّ لبنان لا يزال، بعد أربعة وثلاثين عاما على اغتيال بشير الجميل، موجودا على خريطة العالم، فيما دول قريبة منه دخلت مرحلة التفتيت. من كان يصدّق أن لبنان سيصمد فيما سيحل بسوريا والعراق، على سبيل المثال وليس الحصر ما حل بهما. من يصدّق أن لبنان ما زال يقاوم اتفاق القاهرة الجديد الذي تحاول إيران فرضه عليه..

هل في استطاعة القيادات المسيحية استيعاب خطورة الظروف التي يمرّ فيها البلد، فتتفادى، على الرغم من ضعفها، الوقوع في الفخ الإيراني المسمّى اتفاق القاهرة الجديد، وهو فخ لا يشبه سوى الوقوع في الفخّ العربي ـ الفلسطيني، أي في اتفاق القاهرة القديم الذي لم يكن من هدف له سوى تدمير البلد على رؤوس أبنائه.. كي يقول بعض العرب، الذين هزموا في العام 1967 إنّ هناك من لا يزال يقاتل إسرائيل.. حتّى لو كان ذلك حتّى آخر لبناني!

حزب الله يهدد جنبلاط علنا

أحمد عدنان
صحافي سعودي

❑ حين يكتب تاريخ لبنان الحديث، لن يغفل المؤرخون اسم الزعيم الوطني الكبير وليد جنبلاط. وسيرد اسم البيك الدرزي في صفحات كثيرة، خصوصا في أزمنة التحولات والانعطافات. سنراه يوما أول الشجعان. وفي يوم آخر سنجده أول الواقعيين. وهناك من قال ذات زمن "كمال جنبلاط يصرف من رصيده الدرزي لمصلحة رصيده الوطني، أما وليد جنبلاط فيصرف من رصيده الوطني لمصلحة رصيده الدرزي"، وهذه مقولة بحاجة إلى دراسة جادة ومنصفة لاتخاذ موقف نهائي منها.

قبل أيام ليست بعيدة، نشرت صحيفة ناطقة باسم حزب الله تهديدا علنيا بالاغتيال لجنبلاط، والفزاعة الجديدة هي داعش. وهنا أمر غريب، فقبل الثورة السورية المجيدة، تفرغت إسرائيل لتصفية خصوم حزب الله وتحقيق أهدافه. وبعد الثورة انتقلت هذه المهام إلى داعش، هذا هو كلام حزب الله، فأيام 14 آذار اتهم حزب الله الإسرائيليين باغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري ورفاقه من شهداء ثورة الأرز، واليوم يرمي مشروع الاغتيالات التي تستهدف خصومه حصرا على الدواعش، فسبحان القادر على كل شيء.

ووفق المختصين، فإن تهديد ما يسمى بحزب الله لجنبلاط له سببان، الأول إعلان جنبلاط عن استعداده للتصويت رئاسيا من أجل الجنرال ميشال عون، تابع حزب الله، فكان التهديد رسالة واضحة بأن الحزب ليس لديه مرشح إلا الفراغ، وأن عون أداة لا أكثر.

أما السبب الثاني فقد جاء من سوريا، من منطقة السويداء تحديدا، فإيران تسللت إلى هناك، وتعمل على إعادة رسم المشهد الدرزي فيها من أجل موطئ قدم دائم يقدم لها نقطة تماس جديدة مع إسرائيل، ويمثل جنبلاط وأنصاره عقبة جدية أمام المشروع الإيراني.

أيا كان سبب التهديد الذي يستهدف جنبلاط، فهو يعبّر عن وقاحة غير مسبوقة للحزب الإلهي، والسبب أنه ليس هناك من يتكلم فضلا عن غياب من يحاسب ومن يعاقب ومن يردع.

وفي رأيي المتواضع، أن سياق التهديد الجنبلاطي يجب تحليله بمنظور أوسع، فبعد انتخابات 2009 النيابية قام جنبلاط بانعطافة سياسية انسحب عبرها من تحالف التيار الاستقلالي (قوى 14 آذار) إلى منطقة قريبة من القوى الموالية لإيران وبشار الأسد (قوى 8 آذار)، وبعد أن أعاد تموضعه، أعاد تموضعه مجددا إلى موقع وهمي يسمى التيار الوسطي، يقول فيه إنه ليس 14 آذار وليس 8 آذار، وربما يكون التوصيف الدقيق لهذا الموقع هو: لا أحب حزب الله لكني عاجز عن مواجهته، ورغم كل ذلك، لم يتوقف الحزب عن تهديد جنبلاط كلما لاحت له ضرورة أو فرصة.

يجب أن يدرك جنبلاط، أن حزب الله وبشار الأسد لن ينسيا أبدا، أن جنبلاط هو بطل الاستقلال اللبناني الثاني. بدأت القصة من منابع عدة، مطالبة جنبلاط بإعادة انتشار القوات السورية بعد انتخابات الألفين، ومصالحة الجبل مع بطريرك لبنان مار نصرالله بطرس صفير، ثم تصعيده ضد التمديد لرئيس الجمهورية إميل لحود، وفوق ذلك المطالبة بالقصاص من قتلة الرئيس الشهيد رفيق الحريري، أي حزب الله وبشار الأسد.

لن يغفر الحزب الإلهي وطاغية دمشق لوليد جنبلاط أنه حمل مسؤولية 14 آذار على كتفيه في عامها الأول وبعض عامها الثاني، ربما كلما قرأ أمين الحزب السيد حسن نصر الله اسم جنبلاط تذكر التصريح الجنبلاطي "السيارة التي استهدفت الرئيس الحريري انطلقت -بعد تجهيزها- من الضاحية الجنوبية"، لن يسامح نصر الله جنبلاط على إصدار القرارين الشهيرين في مايو 2008، تفكيك شبكة الاتصالات غير الشرعية التابعة لحزب الله وإقالة مدير أمن مطار بيروت نظير اكتشاف كاميرات تابعة للحزب في حرم المطار.

ولن ينسى بشار الأسد كلمة جنبلاط في ساحة الشهداء "يا بيروت بدنا الثار من لحود لبشار". وفي هذا السياق يجب أن نؤكد أنه كما كانت لجنبلاط حسنات عظيمة في تلك المرحلة، كانت له أخطاء فادحة، كالحلف الرباعي في انتخابات 2005، وإصراره على تحييد سلاح حزب الله من النقاش الدولي، وهذه أخطاء ندفع ثمنها إلى اليوم.

> ليس المطلوب أن يحمل جنبلاط على عاتقه مواجهة عسكرية ضد حزب الله وإيران منفردا، لكن المطلوب أن يعود جنبلاط إلى موقعه الأصل، وهذه معركة وجودية فرضت نفسها على الموحدين الدروز، ولنا فيما يجري للعلويين في سوريا المثل والعبرة

خلاصة هذا الحديث، أنه مهما حاول جنبلاط إعادة التموضع، فلن ينسى محور طهران-دمشق-الضاحية، مواقفه الوطنية التي أجهضت مشروعهم ذات يوم، ورغم تغول مشروعهم هذه الأيام نظريا، إلا أنهم يدركون تماما قدرة البيت الجنبلاطي على المواجهة، والدليل على ذلك دور جنبلاط المحدود والنوعي في الثورة السورية.

أتمنى أن تكون هذه الحادثة فرصة لوليد كمال جنبلاط من أجل مراجعة مواقفه وسياساته كلها بعد سنة 2009، فمكان جنبلاط الطبيعي، ومن ورائه طائفة الموحدين الدروز الكريمة، هو في قلب معركة العروبة، وفي صلب مسيرة الاستقلال اللبناني المختطف من ميليشيا إيرانية.

ليس المطلوب أن يحمل جنبلاط على عاتقه مواجهة عسكرية ضد حزب الله وإيران منفردا، لكن المطلوب أن يعود جنبلاط إلى موقعه الأصل، وهذه معركة وجودية فرضت نفسها على الموحدين الدروز، ولنا فيما يجري للعلويين في سوريا المثل والعبرة، فرغم الحلف المتين والقديم بين بعض العلويين وبين إيران، إلا أن دولة الولي الفقيه تسعى لتشييعهم، وتدمر مصيرهم ومستقبلهم باستعمالهم وقودا ضد السنة وضد العرب، وفي رأيي أن هذا ما يحاك للسويداء إضافة إلى الأهداف السياسية الانتهازية.

في سيرة القادة والعظماء، يركز التاريخ على الصفحات الملحمية، ولید جنبلاط قائد 14 آذار الذي انزوى بعد 2009 شكل تراجعه خسارة للبنان الدولة والوطن قبل أي تحالف إقليمي أو محلي، وحين يعود جنبلاط سيتنفس لبنان الموجوع والجريح والمختنق.

التقارب المستحيل

آخر سفراء نظام صدام في طهران يكشف خفايا تطبيع العلاقات بين العراق وإيران

عبدالستار الراوي: إن قبلت طهران باتفاقية سلام دائمة مع بغداد لما تمكنت اليوم من دخولها

- العقل السياسي الأيديولوجي الإيراني يرفض مبدأ حسن الجوار لأنه يناقض مشاريعه
- طهران كافأت العراقيين الذين حاربوا معها بالزج بهم في قوات بدر والسجن والطرد
- فرق الموت الإيرانية تواطأت مع الاحتلال الأميركي لإفراغ البلاد من عناصر القوة فيها

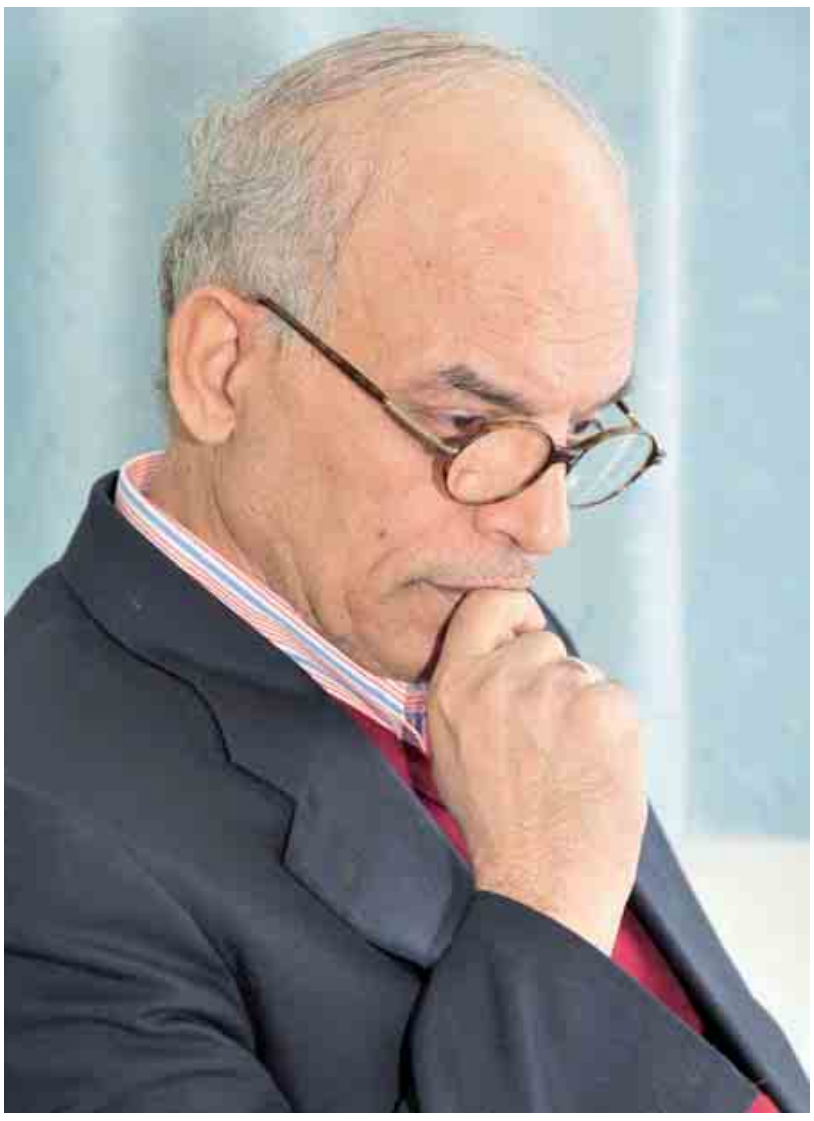

جهود التقريب باءت بالفشل لأن إيران كانت تريد الاحتلال لا حسن الجوار

في 4 سبتمبر 1980 بدأت إيران عدوانها على العراق الذي رد عليه يوم 22 من الشهر نفسه ونتج عنه ما سمّي حرب الخليج الأولى التي دامت 8 سنوات، وقد سبقها تاريخ طويل من النزاعات الحدودية، ثم أعقبتها سنوات أطول من الخلافات التي دفعت إيران إلى التعاون مع الأميركيين الذين تلقبهم بـ"الشيطان الأكبر"، من أجل الإطاحة بالنظام في هذا البلد الذي يمثّل عند منظري الثورة الإيرانية الرأس العربي الذي تنبغي الإطاحة به أوّلا قبل الشروع في اجتياح الخليج العربي، والمضي قدما إلى اختراق مصر والوصول إلى شمال أفريقيا، وفق ما صرّح به الدبلوماسي العراقي عبدالستار الراوي، آخر سفراء نظام صدام حسين في إيران، كاشفا، في حوار مع "العرب" خفايا العلاقات بين العراق وإيران بعد حرب الثماني سنوات وكيف وصل الحال بالعراق إلى ما هو عليه اليوم من حرب أهلية وفوضى وانهيار وسيطرة إيران عليه.

سلام الشماع
كاتب عراقي

❑ **المنامة** – كشف آخر سفراء نظام صدّام حسين في إيران عبدالستار الراوي عن أن العراق كانت لديه إرادة سياسية ورغبة حقيقية لإيجاد مخارج إيجابية لتطبيع العلاقات مع طهران بعد انتهاء الحرب التي دامت ثماني سنوات (1980 – 1988) بينهما بقصد الوصول إلى اتفاقية سلام دائمة.

وقال، في حوار أجرته معه "العرب"، من مقر إقامته في العاصمة البحرينية المنامة، إنه تم تشكيل خمس لجان مشتركة تلتقي دوريا لحل ومعالجة الملفات العالقة بين البلدين، مشيرا إلى أن تلك اللجان قطعت شوطا في ذلك. وكان لقاء الرئيس الراحل صدام حسين وزير الخارجية كمال خرازي في بغداد في العام 2001 إيجابيا للغاية. واستغرق أكثر من ساعتين بحضور وزير خارجية العراق، آنذاك محمد سعيد الصحاف.

رفسنجاني يرفض التطبيع

أوضح السفير الراوي، الذي شهد عن قرب ولامس، بحكم تواجده في إيران، طبيعة سياساتها تجاه العراق، أنه بالقدر الذي كان فيه الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي يبدي رغبة (وإن كانت مترددة أحيانا) لإنهاء الأزمة بين البلدين، كان التيار المحافظ يقف في السرّ والعلن ضد تطبيع العلاقات ويختلق الأزمات بين البلدين. وكان الحرس الثوري ووزارة الأمن يقفان أيضا مع التيار المحافظ لإعاقة أيّ تقدم أو تطوير للعلاقات الثنائية.

وكشف الراوي، الذي أمضى في وظيفته الدبلوماسية بطهران نحو أربع سنوات وسبعة أشهر (1998 – 2003)، أن هاشمي رفسنجاني تجاهل مذكرات السفارة العراقية المتكررة في تحقيق لقاء معه.

وأضاف قائلا "حضرت حفل استقبال أقامه الرئيس خاتمي لرؤساء الجامعات الإسلامية، وكنت برفقة الدكتور ناجح خليل الراوي، رئيس المجالس العلمية في العراق، وضمن المدعوين رأيت رفسنجاني وقدمت نفسي إليه، وأبديت رغبتي في لقائه، لكنه نظر إليّ بنصف ابتسامة وقال كلمتين 'يصير خير' وطبقا لمعلوماتي يعدّ رفسنجاني أحد الممانعين في قضية تطبيع العلاقات بين البلدين".

وزعم الراوي أن السفارة العراقية، طوال مدة عمله فيها سفيرا، كادت تكون من السفارات القليلة التي أشرعت أبوابها أمام مواطنيها من العراقيين كافة.

وقال إن الخارجية العراقية حذّرت البعثة الدبلوماسية في طهران من مغبة فتح باب السفارة، خشية اقتحام المعارضة للسفارة وتنفيذ عمل عدائي ضد رئيسها وأعضائها. لكن البعثة تمسّكت بموقفها، على الرغم من أنه سبق أن تعرضت لهجوم عنيف شارك فيه فيلق بدر والحرس الثوري في العام 1999.

وتحدث السفير الراوي عن قضيتين كانتا تؤرقان السفا، إثر حرب الثماني سنوات، هما عودة "أسرى الحرب العراقية الإيرانية" و"حل قضية اللاجئين" الذين تعرض الكثيرون منهم للمهانة والإذلال على يد القوات الأمنية ودائرة الإقامة، مشيرا إلى أن بعض اللاجئين كتب رسائل احتجاج على سوء المعاملة ونشرتها في حينها صحيفة "الوفاق" الإيرانية.

وورد في هذه الرسائل ندم العراقيين لأنهم تخلوا عن نصرة بلادهم أثناء الحرب ووقفوا يقاتلون إلى جانب القوات الإيرانية، وكانت مكافأتهم إما الانضمام إلى قوات بدر، أو السجن أو الطرد من البلاد. وقال الراوي "حين توضّحت هذه الحقيقة أصدر العراق عفوا غير مشروط بعودة كافة اللاجئين العراقيين إلى وطنهم. وكان من بين فقرات قرار العفو إصدار جوازات سفر جديدة بدلا من المزورة".

وأضاف الدبلوماسي العراقي السابق "ردا على قرار العفو، ثارت ثائرة المجلس الأعلى، الذي كان يتزعمه محمد باقر الحكيم وقوات بدر ومنظمة العمل والدعوة وبعض التنظيمات الصغيرة، فشنوا عبر جرائدهم والإذاعة الموجهة حملة تشكيك إعلامية صاخبة ضد السفارة. وأصدروا بيانات يحذرون فيها العراقيين من التوجه إلى السفارة، لأنهم سيحملون في صناديق إلى بغداد".

لكن "هذه الحملة لم تؤت أكلها" وفق الراوي، الذي يؤكد "حدث العكس فكان الإقبال على السفارة ملحوظا وأخذ يتضاعف يوما بعد يوم، وأشهد أن كافة موظفي السفارة كانوا على وعي تام بالمسؤولية، وأحسنوا معاملة جميع المواطنين، وكتبت الصحف الإيرانية والعربية عن ظاهرة إقبال العراقيين على سفارة بلادهم".

واستحضر الراوي في هذا السياق ثلاثة أحداث "الأول أن أحد المواطنين كتب في جريدة الوفاق مدّعيا سوء معاملة أحد موظفي السفارة، فكتبت في اليوم التالي رسالة اعتذار له في الجريدة نفسها، والثاني أن السفارة جددت جواز سفر شقيقة السيد محمد باقر الحكيم، وجاء مندوب جريدة القبس الكويتية، وسأل السفير عن مدى صحة تجديد جواز السيدة من آل الحكيم؟ فأجابه السفير بالإيجاب، ثم ألقى ما في جعبته 'هل تمنح السفارة السيد الحكيم جواز سفر في حال طلبه؟' فأجاب السفير: نعم، إذا جلب معه الأوراق الثبوتية: (شهادة الجنسية والبطاقة الشخصية) حاله حال غيره من العراقيين، ونشرت القبس بالخط العريض صياغة مثيرة للخبر! أما الثالث، فقد تلقيت اتصالا هاتفيا من مواطن عراقي مقيم في مدينة يزد، أغرقني بالشتائم، وهو يهدد ويتوعد، وذكر بأنه ضابط في الجيش العراقي، ويبيع السجائر لكي يقيم أوده، وأنه يعلم أن قرار العفو مكيدة للإيقاع باللاجئين ولذلك فإنه على الرغم من حاجته إلى جواز سفر لن يجازف بحياته ويأتي إلى السفارة، فبادرته بالقول: ألست عراقيا كما تقول، فأجاب نعم، وهل تفتح باب بيتك إذا جاءك ضيف؟ فأجاب بالتأكيد، فقلت له ما رأيك لو أنني أرسلت إليك ابني لينزل ضيفا عليك، وتبقيه في يزد، وتأتي لانجاز معاملتك؟ وفي صباح اليوم التالي، اعترضني وأنا أهم بدخول السفارة، رجل في نحو الأربعين، وهو واقف على بابها وقال: أنا من كلمك مساء أمس وجئت أقدم اعتذاري ودخل وأنجز معاملته في أقل من ساعة، وهو يقسم أن يعود إلى الوطن".

السفير الفيلسوف والفنان

أكد عبد الستار الراوي أن البعثة الدبلوماسية العراقية في إيران، في تلك الفترة، عملت جاهدة على تخفيف التوتر لتوطيد أسس العلاقات بين البلدين على قاعدة الحوار العقلاني المتكافئ، وحل جميع الإشكاليات وفقا لمبادئ حسن الجوار والمصالح المشتركة، والكف عن التدخل بالشأن الوطني، تمهيدا لإقامة اتفاقية سلام حقيقية، ينصرف من خلالها البلدان إلى التنمية والبناء. وقال "صفتي كأكاديمي كانت تسبق أحيانا الصفة الدبلوماسية، فشاركت بصفتي الشخصية كباحث في مؤتمرات مركز ملا صدرا للدراسات الفلسفية، وقدمت بحوثا في طهران وأصفهان وكيش، وألقيت محاضرات في مركز حوار الحضارات، وقدمت دراسة لمؤتمر الفيروز أبادي الدولي بجامعة شيراز، وكتبت عن الشاعر العظيم سعدي شيرازي وعن مرثيته لبغداد، يوم كان يتلقى علومه في المدرسة المستنصرية، وكان شاهدا على سقوط بغداد على أيدي المغول في العام 1258".

وأضاف الراوي "على القاعدة الثقافية نفسها بادرت إلى التنسيق مع بيت الحكمة في بغداد للمشاركة في المؤتمرات الفلسفية، وتمت بالفعل دعوة بعض الشخصيات من بينهم مهدي محقق، رئيس مركز المفاخر الثقافية في طهران، وفي الاتجاه نفسه وجدت أن الفضاء الثقافي بين البلدين يفوق السقف السياسي ويتجاوزه، ولذلك بادرت إلى إقامة معرضي الشخصي للفن التشكيلي في قاعة نياوران في طهران واخترت عنوانا متفائلا 'الغد-فردا' الذي لقي إقبالا من البعثات الدبلوماسية ومن المواطنين الإيرانيين، واحتفظ متحف نياوران للفن التشكيلي بلوحتين من أعمالي، وأهديت ثالثة للرئيس محمد خاتمي، والرابعة إلى مركز الدراسات الاستراتيجية التابع للخارجية الإيرانية، ووجدت مكانا لها في مكتبة المركز، وقدمت اللوحة الخامسة إلى مركز الحوار بين الحضارات".

واعترف الراوي، السفير الفيلسوف والفنان، أنه كان مدفوعا، لحظتها، بفضول الصحافي الذي يبحث في تعاكسات الأشياء وتناقضاتها، فجاءت المفارقة على درجات، إذ أن الفنان صاحب المعرض ليس عراقي الجنسية وحسب، وإنما القائم بأعمال سفارة بلده في طهران.

انتقد الراوي القيادة الإيرانية التي بدلا من أن تلتمس منهجا واقعيا في بناء وتوطيد العلاقات السوية وتبادل المصالح والمنافع واحترام خيارات الدول، حسب مبادئ القانون الدولي، الذي يحرّم اللجوء إلى استخدام العنف، أو اللجوء إلى القوة المسلحة لتسوية المنازعات أو الخلافات الثنائية فإنها تجاهلت القانون الدولي وأهملت الأعراف الدبلوماسية، فكان البديل هو النزوع إلى فرض أيديولوجية الولي الفقيه على دول الجوار العربي، وكان العراق في مقدمة أهداف المشروع التوسعي.

وبالقدر الذي حاولت فيه بغداد تصويب العلاقات بين البلدين على قاعدة حسن الجوار والمصالح المشتركة، فإن الجواب الإيراني كان للأسف قاطعا في سلبيّته، فالعراق لدى منظري الثورة وقادتها يمثل الرأس العربي الذي تنبغي الإطاحة به أولا، قبل الشروع في اجتياح الخليج العربي، للمضي إلى اختراق مصر والوصول إلى شمال أفريقيا.

واستشهد الراوي بما أكده علي يونسي، وزير الاستخبارات السابق ومستشار الرئيس روحاني في مؤتمر الهوية الإيرانية في 8 مارس 2015، بأن "كل منطقة الشرق الأوسط إيرانية"، وأضاف في ذات المؤتمر "سندافع عن كل شعوب المنطقة، لأننا نعتبرهم جزءا من إيران، وسنقف بوجه التطرف الإسلامي والتكفير والإلحاد والعثمانيين الجدد والوهابيين والغرب والصهيونية".

أشار الراوي إلى أن العقل السياسي قد تماهى في الانسياق الأيديولوجي إلى حد التصريح الفاضح بأن "بغداد أصبحت عاصمة للإمبراطورية الإيرانية"، كما جاء على لسان يونسي أيضا، والذي قال "جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة وثقافتنا غير قابلة للتفكيك، لذا إما أن نقاتل معا أو نتحد"، وأضاف "إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي".

العقيدة العسكرية للدولة الدينية

قال الراوي، في تعليقه على مثل هذه الأفكار، إن توسيع رقعة الحلم الإيراني عن طريق القوة المسلحة بات عقيدة راسخة في وجدان الطبقة الثيوقراطية الحاكمة، وألقت هذه العقيدة بظلالها من قبل على دستور الدولة، وأصبحت جزءا من عقيدة إيران العسكرية في الهيمنة والتوسع.

وأضاف "صوت إيران المجلجل بشعارات تحرير المسجد الأقصى والاحتفاء بيوم القدس العالمي، هو الصوت الذي سمعنا أصداءه على مشارف كابول مساندا للعدوان الأميركي. وعند غزو العراق لم تتردد الجمهورية الإسلامية في تسهيل مهام الولايات المتحدة".

> العراق لدى منظري الثورة الإيرانية وقادتها يمثل الرأس العربي الذي تنبغي الإطاحة به أولا قبل الشروع في اجتياح الخليج العربي، والمضي قدما إلى اختراق مصر والوصول إلى شمال أفريقيا

وأكد الراوي أن "إيران هي أول دولة في العالم الإسلامي سارعت قياداتها إلى إضفاء الشرعية على الاحتلال الأميركي، عن طريق اعترافها بحكومة المندوب السامي بول بريمر، وذهبت إلى أبعد من ذلك عندما قدمت دعمها السياسي اللامحدود لسلطة مجلس الحكم الانتقالي وأعلنت تأييدها لمشروع المحاصصة العرقية والطائفية".

وتطرق السفير الراوي إلى الأساليب المتدنية التي اتّبعها حرس الثورة والتي عبّر عنها الانتقام الوحشي من كل عراقي شارك في الدفاع عن بلاده في حرب الثماني سنوات، "حيث جرى اغتيال أعداد غفيرة من منتسبي القوات المسلحة والقيادات المدنية، وانحدرت فرق الموت الإيرانية إلى قاع العالم السفلي في تواطئها مع المحتل الأميركي، وجرى تزويد الـ"سي أي إيه" بكل ما تحتاج إليه من معلومات تم وضع اليد عليها عبر أحزابها الموالية لتغذية النزعات الانقسامية وإيقاد نار الحرب الأهلية وتنفيذ سلسلة طويلة من عمليات التصفية الجسدية من اغتيال وقتل وإعدام، على وفق قاعدة معلومات تفصيلية أعدتها مؤسسة إطلاعات الإيرانية بمعاونة أحزابها التي تتربع على عرش الحكم في العراق".

وختم عبد الستار الراوي حواره، مذكّرا بتأكيدات المنظمات الدولية وجمعيات حقوق الإنسان ومراكز الرصد الوطني بأن "عمليات تصفية الكفاءات العلمية تدل أرقامها وكيفياتها على تواطؤ قوات الولايات المتحدة مع جهاز الموساد الإسرائيلي والأحزاب الدينية، بتوفيرها الأجواء المناسبة أمام قوات حرس ولاية الفقيه في إعداد فرق الموت وتدريبها وتسليحها لاغتيال العلماء والأكاديميين وذوي الكفاءات المعرفية، لإفراغ البلاد من عناصر القوة القادرة على إعادة البناء والتنمية".

● الحرب العراقية الإيرانية (1980–1988): أحلام صدام حسين بالزعامة العربية وأوهام آية الله الخميني بتصدير الثورة الإيرانية كلفت حربا باهظة يدفع ثمنها العراقيون إلى اليوم

طبيب يبتكر معادلة سياسية معقدة عشية الانتخابات الأردنية

خالد الكلالدة
النطاسي المطعون بداء السياسية

محمد قبيلات

❑ **عمان** – من أكبر التحديات التي يواجهها خالد الكلالدة، كونه طبيبا جرّاحا غادر غرف العمليات الجراحية في مستشفى لوزميلا تاركا الطب، ربما إلى الأبد، ليلتحق بكادر مطبخ صناعة القرارات السياسية الصعبة. وبذلك يكون أيضا قد انتقل من غرف عمليات المعارضة السياسية، التي تستهدف كراسي السلطة، إلى غرف السلطة التي تُعدّ الخطط للإطاحة بالمعارضة.

التحدي الأول؛ ليس بالشائك إلى الحد الذي قد يمثله التحدي الثاني، حيث يمكن أن تُعتبر المهارات، التي يتقنها الجرّاح النطاسي البارع، من المميزات التي تُسهم في تقدمه في عالم السياسة، وتجعله يملك المنطق السياسي الذي يؤهله لأن ينسّق مواقفه وتصريحاته بشكل دقيق متجانس ومعبر عن وجهة نظر منسجمة لا يداخلها التناقض.

> قانون الانتخاب الذي يعتبر الكلالدة أبا له، يتيح توصيل نائب غير مرغوب به ممن يمثلهم، أو بعدد الأصوات الأقل وليس الأكثر؛ وفي معرض تباهي الكلالدة بالقانون الجديد قال إنه يمكن لمرشح أن يفوز من دون الحصول على أي أصوات

أما الانتقال من صفوف المعارضين إلى مراكز صنع القرار؛ فلا شك أنه لن ينقذه من ملحوظات المترصدين، خصوصا أن الكلالدة ليس من أولئك الذين يمارسون عملهم بهدوء، بل إن تحركاته ونشاطاته غالبا ما تحاط بالكثير من الجلبة والصخب، فهو من عشاق الحركة في عين العاصفة.

اليسار الاجتماعي

كان هذا دأبه، عندما مارس النشاط الحزبي، خصوصا في مرحلة انخراطه في تيار اليسار الاجتماعي، حيث سطع نجمه معارضا مقبولا لدى مراكز صناعة القرار، وهذا ربما ما فتح باب الخلافات مع رفاقه. فخطاب البيانات النارية التقليدي لا يليق بمعارض يتحاور مع السلطة، ولا بد من تليين اللغة والتركيز على النقاط المشتركة، إضافة إلى ضرورة تشذيب المصطلح السياسي، بحيث يتقبله الطرف الآخر، هذا كله سبّب بعض الخلافات التي أخرجت الكلالدة من الأطر السياسية، لكنه حافظ على صلته بالحراك الشعبي خصوصا في مدينته الجنوبية –الطفيلة– التي كانت من أهم حواضن الحراك الشعبي مع بدايات الربيع العربي.

لكن ما سلف لم يُفلت عبره الكلالدة من سهام النقد التي وُجهت إليه من أكثر من جهة، خصوصا أنه انتقل إلى "كابينة" القيادة في فترة توتر، فجاء من دائرة كان فيها المعارض الذي يدعم الحراك الشعبي بشعاراته الحادة، التي طالت أعلى مستويات الدولة، إلى مدافع عن السياسات الرسمية، فهاجمه الكثير من رفاقه الحراكيين، وفي الوقت نفسه، لم يسلم من سهام المحافظين الذين لم يستوعبوا وجود يساري بين ظهرانيهم.

وزارة التنمية السياسية

دخل الكلالدة الوزارة في التعديل الأول على حكومة عبدالله النسور بتاريخ 21 أغسطس 2013 حاملا حقيبة التنمية السياسية، التي سمّيت لاحقا وزارة الشؤون السياسية والبرلمانية، هذه الوزارة، منذ تأسيها صممت للحزبيين اليساريين، فقد تعاقب عليها وزراء أتوا إليها جميعا من خلفيات وأحزاب يسارية.

من مهام وزارة الشؤون السياسية والبرلمانية مأسسة التنمية السياسية، بحيث يتحقق تقسيم العمل السياسي، بما يحافظ على مصالح الفئات والطبقات جميعها، في إطار من الشراكة الحقيقية بين مؤسسات الدولة والمجتمع، من خلال توسيع المشاركة السياسية؛ باعتبارها المرجعية الأعلى لصنع القرار، والتوعية والتثقيف المجتمعي بالحقوق والواجبات المدنية والسياسية، وتطوير الحياة الحزبية.

ومن المفروض أن تعمل هذه الوزارة على إرساء وتعميق أسس التنشئة السياسية والتربية الوطنية والمدنية وتوطينها في البيئة المجتمعية في أنحاء المملكة كافة، من خلال تعميق حوار وطني حقيقي، يضمن مشاركة فاعلة للفئات الاجتماعية كلها في الحياة السياسية. ومن مهامها أيضا، توفير بيئة سياسية حيوية لمجتمع مدني نشط قادر على خلق تيارات حزبية برامجية، ومنابر سياسية فكرية لخدمة الوطن، والمساهمة في بناء مجتمع مدني متماسك منفتح يجسد التحولات الديمقراطية.

وليس مصادفة أن يكلف المطبخ السياسي يسارياً مثل الكلالدة بالتصدي لهذه المهام المتعلقة بشعارات لا يمكن إحصاؤها كميًا، فمنذ تأسيس هذه الوزارة إلى هذه اللحظة والوزراء المتعاقبون عليها يأتون من خلفيات حزبية ويسارية، كجائزة ترضية لهذا التيار على ما واجهه خلال العقود الخمسة الماضية، وعلى ما يقوم به من دور سياسي جديد.

قانون انتخاب غير عادي

هاجم رئيس مجلس الأعيان السابق، السياسي المخضرم عبدالرؤوف الروابدة مشروع قانون الانتخاب، في جلسة معلنة لمجلس الأمة، ووصفه بأنه قانون لا أب له، حيث "سُلق" مشروع القانون ودُفع به إلى المسارات التشريعية على عجل، وتمت الموافقة عليه من قبل النواب والأعيان بأكثر من الأغلبية المطلوبة، وربما كان النواب الذين صوتوا عليه، من المرشحين الآن للمجلس الثامن عشر، هم من أشد النادمين على تمريره خلال عهدهم السابق.

برغم تصفيق قطاعات واسعة لقانون الانتخاب الجديد، الذي ستجرى عليه الانتخابات المقبلة –في شهر سبتمبر الجاري– إلا أن القانون مُرّر بسرعة قياسية، ويرى من يؤيد القانون أنه يعتبر خطوة متقدمة على قانون الصوت الواحد، الذي فرضه التيار المحافظ لأكثر من عشرين عاما، وهو قانون مصمم للحد من وصول بعض التيارات السياسية إلى البرلمان.

في إطار التقاذف مع التيار المحافظ، قال الكلالدة إنه هو الأب لهذا القانون الجديد، وكان حينها وزيرا للشؤون السياسية والبرلمانية، على سبيل الدفاع عن قانون الانتخاب، فنتج عن هذه المعركة استقالة رئيس مجلس الأعيان، الروابدة، واستقالة الكلالدة من الوزارة بعدها بحين، وتم تكريسه أبا فعليا للقانون، حيث تم تعيينه رئيسا للهيئة المستقلة المشرفة على الانتخابات.

القانون الجديد يواجه حالة غير مسبوقة من المعارضة، مع أن الكلالدة يقول بأنه تم التشاور مع قطاعات واسعة حول بنود مشروع القانون، ولم يُقدّم لمجلس النواب إلا بعد أن استوفى شروط نجاحه، لكن الملحوظات على القانون كثيرة، والقطاعات التي تعارضه لا تُقتصر على من تتعارض مصالحهم الفئوية مع بنوده، بل إن هناك ملحوظات قانونية ودستورية وجيهة عليه.

بعض القانونيين رأوا أن القانون يخالف الدستور، من حيث أنه لا يمتثل لآلية الانتخاب المباشر، حيث أن الناخب لا يصوّت مباشرة للنائب الذي يريد، بل يصوت لقائمة، ثم يؤشر اسم النائب داخل هذه القائمة، كما يفوض القانون الحكومة بإصدار نظام الانتخاب الذي قد يُقيد مقاصد القانون الدستورية.

القانون أيضا قد يتيح توصيل نائب غير مرغوب به ممن يمثلهم، أو بعدد الأصوات الأقل وليس الأكثر؛ وفي معرض تباهي رئيس الهيئة المستقلة بالقانون الجديد قال إنه يمكن لمرشح أن يفوز من دون الحصول على أيّ أصوات. لكن كيف؟

في حال تشكلت كتلة من أربعة مرشحين، أحدهم عن مقعد إسلامي والآخرون عن مقاعد ما يُسمّى بالكوتات، وحصلت هذه القائمة على أعلى الأصوات، فإن هذا المرشح يفوز حتى لو حصل على صوت واحد، بغض النظر عن عدد الأصوات التي يحصل عليها منافسوه في القوائم الأخرى، حتى لو حصل أحدهم على عشرين ألف صوت. كما أن النائب عن المقعد المسيحي أو الشركسي يمكن أن يُحسم أمره من قبل الناخبين من غير القطاعات التي يمثلها، ومن دون أن يتكلف هؤلاء الناخبون شيئا، فلكل ناخب مهما كانت ديانته أو قوميته إمكاناته أن يؤشر اسم المرشح عن هذه الفئات بعد أن يصوت للنائب الذي يمثله، ما يعني أنه هو من يحدد لهم نائبهم.

جاء القانون حلا وسطا بين الصوت الواحد والقائمة النسبية، جاءت الهيئة المستقلة للانتخاب أيضا بناء على المطالبات بعدم إشراف وزارة الداخلية على الانتخابات، وأن تقوم بدلا عنها بذلك وزارة العدل، فتم تشكيل الهيئة المستقلة لتقوم بالإشراف على تنفيذ الاستحقاقات الدستورية المتعلقة بانتخابات مجلس النواب والبلديات والمجالس المركزية.

تأسست الهيئة المستقلة للانتخاب عام 2011 كجهة مستقلة تعنى بإدارة العملية الانتخابية والإشراف عليها من دون تدخل أو تأثير من أيّ جهة، بهدف ضمان توافق سير العملية الانتخابية مع المعايير الدولية، بما يحقق إعادة الثقة بالعملية الانتخابية لضمان جودة مخرجاتها، ومعالجة تراكمات الماضي السلبية المتمثلة بعمليات التزوير أو التأثير في إرادة الناخبين، والبناء على ما تمّ تحقيقه من إنجازات وخطوات إصلاحية.

وبالرجوع إلى المعلومات التي تنشرها الهيئة على موقعها الإلكتروني، نجد أنها باشرت عملها في شهر مايو من عام 2012 وتمكنت خلال فترة قياسية من العمل على بناء هيكلها المؤسسي وتوفير ضمانات استدامته، والإعداد لإجراء انتخابات مجلس النواب الأردني السابع عشر التي جرت مطلع عام 2013 كأول انتخابات تديرها الهيئة بعد إنشائها.

في عام 2014، وبموجب التعديلات الدستورية، تم توسيع دور ومسؤوليّات الهيئة المستقلة للانتخاب، لتشمل إدارة الانتخابات البلدية وأيّ انتخابات عامة، إضافة إلى ما تكلفها به الحكومة من إدارة وإشراف على أيّ انتخاباتٍ أخرى.

أشرفت الهيئة بعد ذلك على عدد من الانتخابات الفرعية، وانتخابات المجالس البلدية ومجلس أمانة عمّان الكبرى. إضافة إلى ما تقدم؛ تجاهد الهيئة من أجل شرح قانون الانتخاب وتوضيح النقاط التي بات يثار حولها الكثير من التساؤلات، حتى من قبل المرشحين للانتخابات، فأهمّ ما يميز القانون الحالي؛ أن هناك إجماعا على عدم فهم آلياته من قبل المختصين والمعنيين والجمهور على حدّ سواء. ولعل هذا ثمن طبيعي لحالة عدم الاستقرار الدستوري والتعديل المستمر على القوانين الانتخابية.

من أجل هبوط آمن

الآن؛ بدأت المرحلة الأخيرة من العملية الانتخابية، وازدحمت شوارع عمّان والمدن والبلدات الأردنية بالشعارات الانتخابية، وبرغم توقعات بعض المهتمين بأن قانون الانتخاب سيفجّر الكثير من الزلازل المحلية، التي قد تعصف بالسِّلم الأهلي المحلي، إلا أن القوائم ما زالت متماسكة إلى حد يحافظ على مستوى معين من ثقة قلقة بين أعضائها.

ولعل أكثر الناس قلقا من أحداث يوم 20 سبتمبر المقبل، الذي ستجرى فيه الانتخابات العامة النيابية، هو خالد الكلالدة المتطوع لدور الأب الروحي للقانون، فأكثر الناس توترا في يوم تخرّج الأبناء هم الآباء والأمهات، كما أن الأكثر قلقا من الركاب، بعد إقلاع الطائرة والرحلة الطويلة، هو القبطان الذي يجب أن تكلّل جهوده بالهبوط الآمن.

● النائب عن المقعد المسيحي أو الشركسي يمكن أن يحسم أمره من قبل الناخبين من غير القطاعات التي يمثلها، ومن دون أن يتكلف هؤلاء الناخبون شيئا، فلكل ناخب مهما كانت ديانته أو قوميته أو إمكاناته أن يؤشر اسم المرشح عن هذه الفئات بعد أن يصوت للنائب الذي يمثله، ما يعني أن القانون هو من يحدد للناس نائبهم.

نساء عربيات يضغطن من أجل إعادة كتابة القوانين

جندرة الدستور
التغيير الذي قد تحدثه المرأة

كندة قنبر

❑ **باريس** – أكثر من إحدى عشرة اتفاقية دولية من بينها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بدءا من العام 1948 واتفاقية الحقوق السياسية للمرأة في خمسينات القرن الماضي، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإعلان القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وإعلان حماية النساء والأطفال في حالات الطوارئ النزاعات المسلحة وغيرها، كل هذا وما زالت المرأة في العالم، وخاصة في العالم العربي، تناضل من أجل إحقاق المساواة الكاملة مع شريكها الرجل، نضال شابه العنف والأذى النفسي والجسدي والتنكيل في أحيان كثيرة.

ولكن المرأة العربية ما زالت متفائلةً بالوصول إلى المبتغى، وهو أن تكون شريكا حقيقياً وفعالا ونديا يطمح إلى المناصفة في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية. ولأنها أثبتت ومن خلال نضالها عبر عقود من الزمن بأنها الأجدر والأقدر لتكون قائداً للتغيير في مجتمعات انتفضت على الدكتاتورية والاستبداد. استطاعت النسويات العربيات أن يضعن قضية النوع الاجتماعي أو ما يعرف بـ "الجندر" على أولويات التغيير في بلاد تشهد انتفاضات جاءت على شكل ربيع وإعصار دموي.

وتحت عنوان "بناء الأمم"، ترى النسويات أن البداية ستكون عبر الإصلاح القانوني وإعداد دساتير حساسة للنوع الاجتماعي (الجندر). مما يؤمن اللبنة الأساسية للمضي قدماً للحصول على مجتمع صحي ومتعافٍ اقتصادياً و تنموياً لتحقيق دولة المواطنة.

الوجه التونسي الرائد

تونس كانت قد شهدت في زمن ما قبل الاستقلال ولادة حركة نسوية قوية ناضلت جنبا إلى جنب مع جميع المنظمات الوطنية آنذاك. وبعد تقلد الرئيس الأول الحبيب بورقيبة منصب رئيس الجمهورية، تم إصدار ما يعرف بـ"مجلة الأحوال الشخصية" ثم "قانون الأحوال الشخصية" أو "قانون الأسرة".

تلك الخطوات اعتبرت الأولى من نوعها في العالم العربي، فقد سنّت منع تعدد الزوجات والطلاق التعسفي وشجعت على الزواج التوافقي وضمنت إجراءات الطلاق المبنية على المساواة بين كل من المرأة والرجل.

تعزّزت حقوق المرأة بعد إجراء بعض التعديلات على قانون الأحوال الشخصية وقانون العمل والقانون الجزائي لاحقاً. وفي عهد الرئيس زين العابدين بن علي، برز توجة نسوي جديد. ولكن هذا التوجه كان يتحرك تحت رعاية الدولة التي أقصت العديد من المنظمات غير الحكومية والأحزاب السياسية المعارضة والتي لم تكن قادرة على العمل أصلاً.

بعد الإطاحة بحكم بن علي في يناير 2011 تم التوصل إلى دستور جديد عرف بأنه متطوّر من منظور المساواة لحماية حقوق المرأة وتعزيز مكانتها في المجتمع. وليكون حجر الأساس لعملية التحول الديمقراطي في تونس والتي لم تكتمل بعد. دستور تونس هذا استحوذ على عنوان الصحف الدولية التي اعتبرته الثورة الحقيقية في العالم العربي والإسلامي أجمع.

الدكتورة سلسبيل قليبي وهي أستاذة القانون الدستوري في كلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية بتونس، تقول لـ"العرب" إن وضع المرأة في تونس من الناحية القانونية بالمقارنة مع دول المنطقة والدول العربية متقدم ومنذ عقود. وتؤكد قليبي أن الأحوال الشخصية تدّعمت تدريجياً و طرأ عليها العديد من التعديلات حتى في ظل النظام الأسوأ في تاريخ تونس وهو نظام بن علي. على حد تعبيرها.

وترى قليبي أن الثورات العربية والتي تشهدها بعض دول العالم العربي هي فرصة لكل الأطراف، ليس فقط للأطراف التقدمية والحداثية، ولكن لكل أطراف المجتمع لكي تعيد توزيع فضاءات السلطة وتوزيع الأدوار داخل المجتمع، سواء على مستوى السلطة أو مواقع القرار.

ومن هذا المنطلق في تونس وبسبب ظهور حركة نسوية قوية تطالب بمزيد من الدفع نحو دعم مكانة المرأة ليس فقط على صعيد مكانتها في الأسرة ولكن في ما يخص الفضاء العام ودعم حضورها في أماكن صنع القرار ومراكز السلطة في فترة شابها البعض من الخطابات الرجعية والتي كانت على صعيد محدود، وبسبب مناقشة النص الدستوري الجديد، تقول قليبي "حرصت القوى التقدمية على الإقرار بضرورة التزام الدولة بدعم مكاسب المرأة. والتي دعي إليها في الخمسينات من القرن الماضي، ولكي لا تشهد المرأة التونسية من الناحية القانونية حالة من الانتكاسة"، وتضيف "دعت هذه القوى التقدمية إلى ضرورة الوعي بأن هذه المكاسب لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تتحول إلى سقف. وإنما وعت الحركة النسوية التونسية أنها فقط الخطوة الأولى، أو نقطة الانطلاق لمزيد من الدعم. لذلك يوضح النص الدستوري التونسي ضرورة الحفاظ عليها، ودعم المكاسب بنصوص قانونية أخرى، تزيد من مكانة المرأة".

أهم إضافة جاءت في الدستور التونسي الجديد وفي فصله الـ46 هو المساواة في الحقوق السياسية. إذ ينص على التزام الدولة بحماية الحقوق المكتسبة للمرأة والعمل على دعمها وتطويرها. وكذلك تضمن الدولة تكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة في تحمّل مختلف المسؤوليات وفي جميع المجالات. وتسعى إلى تحقيق "التناصف بين المرأة والرجل في المجالس المنتخبة". وتتخذ الدولة التدابير الكفيلة بالقضاء على العنف ضد المرأة.

هذه الإضافات من وجهة نظر قليبي كانت نتيجة للضغط الكبير التي قامت به الحركات التقدمية في تونس وهو تأكيد على المساواة في الحقوق السياسية.

قليبي تختم بأن التزام الدولة بمكافحة كل أشكال العنف ضد المرأة أمر هام للغاية. وهذه القضية ليست خاصة بتونس أو العالم العربي فقط ولكنها قضية تحظى باهتمام كبير على الصعيد العالمي.

الوجه السوري الدامي

رغم كل الدمار والفشل الدولي على كل المستويات سواء السياسية أو الإنسانية لوقف المأساة السورية، تنطلق سلسلة من اللقاءات والمؤتمرات في عدد كبير من الدول الأوروبية ودول الجوار السوري بين جميع أطياف المجتمع الدولي من المجتمع المدني السوري وقوى المعارضة والتيارات المقربة لنظام الأسد لمناقشة قضية هامة وجامعة لجميع أطياف المجتمع السوري أي "الدستور".

وفي منصف شهر أغسطس وفي العاصمة باريس، عقد مؤتمر تحت اسم "مؤتمر عالي المستوى، بناء دستور شامل متوافق مع النوع الاجتماعي (الجندر): طريق سوريا نحو الديمقراطية" والذي يعتبر حلقة من عدة لقاءات قام بها تجمع سوريات من أجل الديمقراطية بالتعاون مع المبادرة النسوية الأورومتوسطية. يشارك فيها عدد كبير من السياسيات والسياسيين من أصحاب التوجه العلماني المدني.

وقد نوقش في برنامج المؤتمر الكثير من القضايا الحساسة التي تتعلق بالدستور، وكيفية جندرة الدستور وتشريعات الديمقراطية والمبادئ الدستورية المتوافقة مع النوع الاجتماعي للمرحلة الانتقالية وكأساس للدستور الدائم والتحديات الاجتماعية والقانونية والثقافية والاقتصادية وإعادة الإعمار.

المؤتمر الذي حضرته "العرب"، تطرّق إلى عدد كبير من الملفات القانونية ذات الحساسية الدينية والتي ترتبط بالفقه الإسلامي، ومنها ما تعلق بالقوامة والولاية، ونقاش صياغة القانون التي اعتبرت مجحفة بحق النساء وخاصة في التعابير ذات الصياغة العنفية.

وفي دراسة صدرت عن اللوبي النسوي السوري قامت بها الباحثة والخبيرة الجندرية لمى قنوت أوضحت أن المرأة السورية تعاني من تمييز و قهر عبر مجموعة من القوانين ومنها قوانين الأحوال الشخصية وقانون العقوبات ومنح الجنسية، وعدم الاحترام لاتفاقية القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة "سيداو".

تقول قنوت "إن الدستور السوري الذي أقرّ عام 2012 في مادته الثالثة وفي الفقرة الأولى والثانية والثالثة لا يمكن أن يحقق التحول الديمقراطي في سوريا، أو المساواة بين المرأة والرجل. وينص على حرمان المرأة من حقها في تولي منصب رئيس الجمهورية.

تكريس الطائفية

الفقرة التي تنص على أن "الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية"، تصفها قنوت بأنها تشريع لترسيخ الطائفية في المجتمع ودسترتها. وتضيف أن "هناك ثمانية قوانين أحوال شخصية تكرس التمييز ضد النساء وبينهن وتحرمهن من حقوقهن المدنية وتسلط المرجعيات الدينية على حياتهن".

مية الرحبي المنسقة العامة لتجمع "سوريات من أجل الديمقراطية" تقول إن هذا الحوار مع عدد كبير من التيارات السياسية والجهات القانونية والمجتمع المدني للوصول إلى مبادئ لدستور دائم متوافق مع النوع الاجتماعي (الجندر) يهدف إلى تحقيق المساواة والعدالة للمرأة السورية التي تستحق أن تحصل عليه ولأنها دفعت ثمناً كبيراً في الحرب الطاحنة وعبر النضال الطويل.

وتؤكد الرحبي لـ"العرب" أن جندرة الدستور لا تأتي بإضافة مادة أو مادتين تتعلق بحقوق المرأة وإنما هي عملية قانونية وحقوقية كاملة تهدف إلى تحقيق المساواة الكاملة من منظور المساواة الجندرية.

وتعتبر الرحبي دستور العام 2012 دستورا لا يمكن أن يؤمن التحول الديمقراطي في سوريا، وخاصة في ما يتعلق بدين الدولة، والتي تعدّ مسألة ذات حساسية بالغة، زادها العنف الطائفي والصراع الذي أخذ منحىً دينياً ما ساهم في تعقيد الحالة السورية. أما قضية المساواة فلم يكفلها الدستور الذي تم تعديله في عهد الأسد الابن وفي ظل المجازر والبراميل المتفجرة والكيميائي والتهجير والتعذيب.

وتوجه الرحبي انتقادات حادة إلى الدستور السوري الحالي، وتضيف "تجدر الإشارة إلى أن مبادئ المساواة المنصوص عليها في الدستور تتعارض مع نصوص أخرى، على سبيل المثال، يعتبر الدستور أن دين رئيس الدولة هو الإسلام، وأن الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع، فيحرّم على غير المسلمين الترشح لمنصب رئاسة الجمهورية. ويشتمل أيضاً على بعض أحكام الشريعة الإسلامية، أو بعض التفسيرات الدينية لهذه الشريعة وتطبيقاتها الحالية في سوريا كما في بقية بلدان العالم العربي، وفي هذا انتهاك لمبدأ المساواة بين المرأة والرجل من ناحية، وبين المسلمين وغير المسلمين من ناحية أخرى".

وتدرك النسويات السوريات التحديات التي تواجههن في المطالبة بإعداد دستور حساس للجندر، وأن هذه العملية هي عملية نضالية تشوبها الكثير من العقبات. تقول الرحبي إنهن ليست لديهن أوهام بعدم وجود تحديات وتحديات كبيرة أمام هذا المشروع. وتعترف بأنهن ربما لن يصلن إلى ما يطمحن إليه، وأنهن ربما سيخضعن للمساومات السياسية، ولكنها تؤكد أنه لا يجوز للنسويات إلا أن يطرحن مشروعاً كاملاً ومتكاملاً.

وعلى الرغم من اتّباع النظام السوري لسياسة الأرض المحروقة ضد شعبه، لا تزال التجمعات النسوية متفائلة وترى فرصة بالوصول إلى إبرام عقد اجتماعي جديد.

تقول الرحبي إن هناك تجارب لدول تمكن الاستفادة منها من بينها راوندا التي ذهب ضحية صراعها القبلي مليون إنسان، لكنها استطاعت التوصل إلى دستور يكفل حقوق المواطنات والمواطنين وتطبيق الكوتا النسائية والتي وصلت إلى 50 بالمئة من التمثيل في البرلمان.

الوجه اليمني المنشطر

مشهد دموي آخر يعصف ببلد عربي ولكن في شبه الجزيرة العربية. إنه اليمن الذي انضم إلى البلاد الثائرة ضد الدكتاتورية والفساد. اليمن الذي كان حراكه السلمي مدعّما بمشاركة نسوية قوية استطاعت أن تقف مع الرجل في الانتفاضة ضد الاستبداد. لكن تسارع الأحداث والحرب الناشبة جعلت من العمل المدني والقانوني عائقاً لذلك الحراك.

في لقاء مع العرب أكدت وزيرة حقوق الإنسان السابقة وعضو الحوار الوطني في اليمن السفيرة أمة العليم السوسوة، أن مشروع الدستور والذي انتهت من إعداده لجنة صياغة الدستور في شهر يناير من العام 2015 لم يتم الاستفتاء عليه بسبب التطورات السياسية والعسكرية المؤسفة والتي كانت عبارة عن عجلة طاحنة وسريعة.

تقول السوسوة إن "مشروع الدستور اليمني هو من أكثر الدساتير التي جاءت على الأقل بعد الوحدة اليمنية جندرة، فهو يكفل حقوق المواطنات اليمنيات. وبالنظرة إلى التاريخ الدستوري لليمن يعتبر دستور اليمن الجنوبي آنذاك من الدساتير، وخاصة في ما يتعلق بمدونة الأحوال الشخصية، الأقرب إلى نموذج تونس . تضيف السوسوة أنه عندما تم إعداد مسودة الدستور الحالي، "كانت الصياغة تعتمد على صياغة حساسة للنوع الاجتماعي آخذة بالاعتبار ما يكفل حقوق المرأة، لا سيما في التخصيص والإشارة إلى كل مواطن ومواطنة يمنية. ففي المادة الـ75 يتضح التزام الدولة بدعم ورعاية المرأة وسن القوانين التي تكفل حمايتها ورفع مكانتها في المجتمع والقضاء على الثقافة السلبية والعادات الاجتماعية التي تنتقص من كرامتها.

> وزيرة حقوق الإنسان اليمنية السابقة أمة العليم السوسوة تؤكد لـ«العرب» أن كثيرا من مواد الدستور اليمني واجهت اعتراضا كبيرا وحملات ترهيب وتكفير ضد كثير من النسويات. إذ يحدد مشروع الدستور اليمني الجديد سن الزواج بسن الـ18 حيث يعرف اليمن بارتفاع نسبة زواج القاصرات

وتوضح السوسوة أن مشروع الدستور اليمني يقدم مجموعة من المواد تظهر تخصيصاً وتحديداً واضحين. ففي المادة الـ57 والتي تندرج تحت بند الحقوق والحريات، ينص الدستور على أن المواطنين متساوون في الحقوق والحريات العامة دون تمييز بسبب الجنس او اللون. وفي المادة الـ76 يبرز تفعيل لمبدأ المواطنة المتساوية، حيث "تعمل الدولة من خلال سن تشريعات وتتخذ إجراءات لتحقيق مشاركة سياسية فاعلة للنساء بما يضمن الوصول إلى نسبة لا تقل عن 30 بالمئة في مختلف السلطات والهيئات".

وتؤكد السوسوة أن هذه المادة رغم أنها غير محددة لنوع السلطات والهيئات واجهت اعتراضاً كبيراً وحملات ترهيب وتكفير لدى الكثير من النسويات. ويحدد مشروع الدستور اليمني الجديد سن الزواج والذي حدد بسن الـ18 عاما حيث يعرف اليمن بارتفاع نسبة زواج القاصرات. هذه القضية التي لم يتناولها مجلس النواب من قبل ولم يستطع تحديد العمر إلا بسن الـ15 عاما، بينما استطاعت نسويات اليمن وبالضغط والنضال الوصول إلى تحديد سن الزواج في الدستور.

ورغم تعديل المادة في دستور العام 1994 التي تعتبر "النساء شقائق الرجال" بحيث أضيفت إليها جملة "ما تكفله الشريعة"، ورغم إعداد مشروع دستور جديد حساس إلى حد ما إلى النوع الاجتماعي "الجندر"، فإن المشروع لم ير النور بسبب الحرب الناشبة منذ ثمانية عشر شهراً. لذلك لا ترى الوزيرة السوسوة أن هذا المشروع سيتم التوافق عليه بين الأطراف المتنازعة حتى إذا ما توصلوا إلى اتفاقية ما.

● سلسبيل قليبي أستاذة القانون الدستوري في كلية العلوم القانونية والسياسية والاجتماعية بتونس ترى أن الثورات العربية فرصة لكل الأطراف، ليس فقط للأطراف التقدمية والحداثية، ولكن لكل أطراف المجتمع لكي تعيد توزيع فضاءات السلطة.

مثقف السلطة الجزائرية رحيله يهز أركان النخبة الحاكمة

بوعلام بالسايح

حكام في الجزائر من القصر إلى القبر

صابر بليدي

❑ **الجزائر**– رغم النموذج النادر الذي سنّه الرئيس الجزائري الأسبق اليامين زروال، لما طلّق قصر المرادية في 1999 بمحض إرادته، واتجه بعد تسليم المهام للرئيس الحالي عبدالعزيز بوتفليقة إلى مسقط رأسه بمحافظة باتنة (شرقي العاصمة) حيث يقيم إلى حد الآن، إلا أن الآخرين في مفاصل الدولة يسيرون عكس ذلك، فالرئيس بوتفليقة يغامر بإدارة البلاد على كرسي متحرك رغم قضائه لأربع ولايات متتالية، ووزير الدولة ومستشاره الخاص بوعلام بالسايح غادر الحياة مؤخرا عن عمر الـ86 عاما، وليس من البيت أو التقاعد، بل من منصبه في الرئاسة، الذي عين فيه منذ شهرين فقط.

تلقى معارضون سياسيون وناشطون على شبكات التواصل الاجتماعي، خبر تعيين المجاهد والدبلوماسي والوزير الراحل بوعلام بالسايح، في منصب كبير مستشاري رئيس الجمهورية منذ أسابيع، باستهجان وانتقاد شديدين، بسبب العمر المتقدم للرجل وتمسك رجالات السلطة بمناصب المسؤولية حتى في أراذل العمر، ولولا موقف الموت وابتعاد الرجل عن حلقة المغضوب عليهم في السلطة، فإن نفس الموقف كان سيسجل وربما أكثر من طرف هؤلاء، فالرجل البالغ من العمر 86 عاما، غادر الدنيا بعد شهرين من تعيينه في منصب المستشار.

> معارضون سياسيون وناشطون على شبكات التواصل الاجتماعي، يتلقون خبر تعيين الوزير الراحل بوعلام بالسايح، في منصب كبير مستشاري رئيس الجمهورية منذ أسابيع، باستهجان شديد، بسبب العمر المتقدم للرجل وتمسك رجالات السلطة بالمناصب حتى في أراذل العمر

ورغم أن الراحل يعد واحدا من الشخصيات المخضرمة، وأن التعيين كان بمثابة المكافأة من طرف الرئيس بوتفليقة، وربما حتى رغبة منه للاستفادة من خبرته الكبيرة في المجالات السياسية والدبلوماسية وحتى الفكرية، ووضعها في خدمة قصر المرادية والبلاد عموما، في ظل الظروف المشحونة التي تمر بها السلطة في الجزائر، والمنطقة عموما تحت ضغط التهديدات الأمنية والأجندات الإستراتيجية، فإن التعاليق وصفت القرار بـ"تعنت السلطة ورفضها خيارات التغيير والتجديد، بما أن البلاد تعج بالكفاءات المهمشة في مختلف المجالات".

لا توجد أجيال في نظر السلطة

مع تقلص حظوظ التغيير وتسليم المشعل من جيل ثورة التحرير إلى جيل الاستقلال، فإن الناشطين على شبكات التواصل الاجتماعي، يعوّلون على دور ملك الموت في أداء دوره، وانقراض جيل الشرعية الثورية، ولا ضير بالنسبة إليهم لانتظار سنوات أخرى لتؤدي دورة الطبيعة فعلتها، وانتهاء احتكار جيل الثورة لمفاصل ومؤسسات الدولة، ورحيل بوعلام بالسايح نموذج حيّ لعقدة السلطة من القصر إلى القبر.

وإذ يعاب على جيل ثورة التحرير عدم تحكمه في تطورات العصر، بما أن فيهم من لم تطأ قدماه أدراج الجامعة، فإن بالسايح يشذ عن القاعدة، فهو حامل لشهادة دكتوراه في العلوم الإنسانية، ويعد مثقف السلطة الذي خاض في السياسة والدبلوماسية، بالموازاة مع التأليف والكتابة، وهو من القلائل من جيله ومن رموز السلطة الذين ألّفوا في التاريخ والأدب والسينما.

أبرز ما يحسب للرجل، أنه رغم اشتغاله ومعاصرته لمختلف السلط التي حكمت الجزائر منذ الاستقلال إلى رحيله، فإنه ظل بعيدا عن حلقات المغضوب عليهم من طرف المعارضة أو الشعب، وعن أضواء الانتقاد أو الضلوع في المآزق التي مرت بها الجزائر طيلة العقود الماضية، بسبب أنانية وإخفاقات السلط المتعاقبة، فكان بمثابة القطعة التي تصلح لجميع المحركات، فرغم تباين وحتى تناقض رؤى حكام البلاد بين مجموعة وأخرى ومن زمن إلى آخر، إلا أن بالسايح ظل محافظا على انتمائه لطابور السلطة.

وجاءت برقية التعزية للرئيس بوتفليقة، مؤكدة تلك العلاقة وذلك النسق في تركيبة وتفكير رموز السلطة، حيث ورد فيها قوله "خرست لعمر الله ألسننا، لما تكلم فوقها القدر، وما عساي أن أقول بعد سماعي نبأ انتقال صديقي العزيز ورفيقي في النضال السياسي والدبلوماسي المغفور له بإذنه تعالى وزير الدولة الممثل الشخصي والمبعوث الخاص المجاهد بوعلام بالسايح، إلى رحمة الله وعفوه".

قال بوتفليقة أيضا "ما عساي أن أقول في ذلك النبع المتدفق بالحكمة والحنكة، بالأدب والفن، بالشعر والذوق الرفيع بالدبلوماسية المهذبة والسياسية الحكيمة، بالتجربة الطويلة والخبرة الفائقة، بالوفاء للصديق والإخلاص للوطن، بشمائل حلوة وخصال حميدة، جعلت منه رجلا عظيما عظمة المهام التي أداها على أحسن ما تؤدى المهام، والمسؤوليات التي قام بها خير قيام في كل المناصب النبيلة التي تولاها باقتدار،

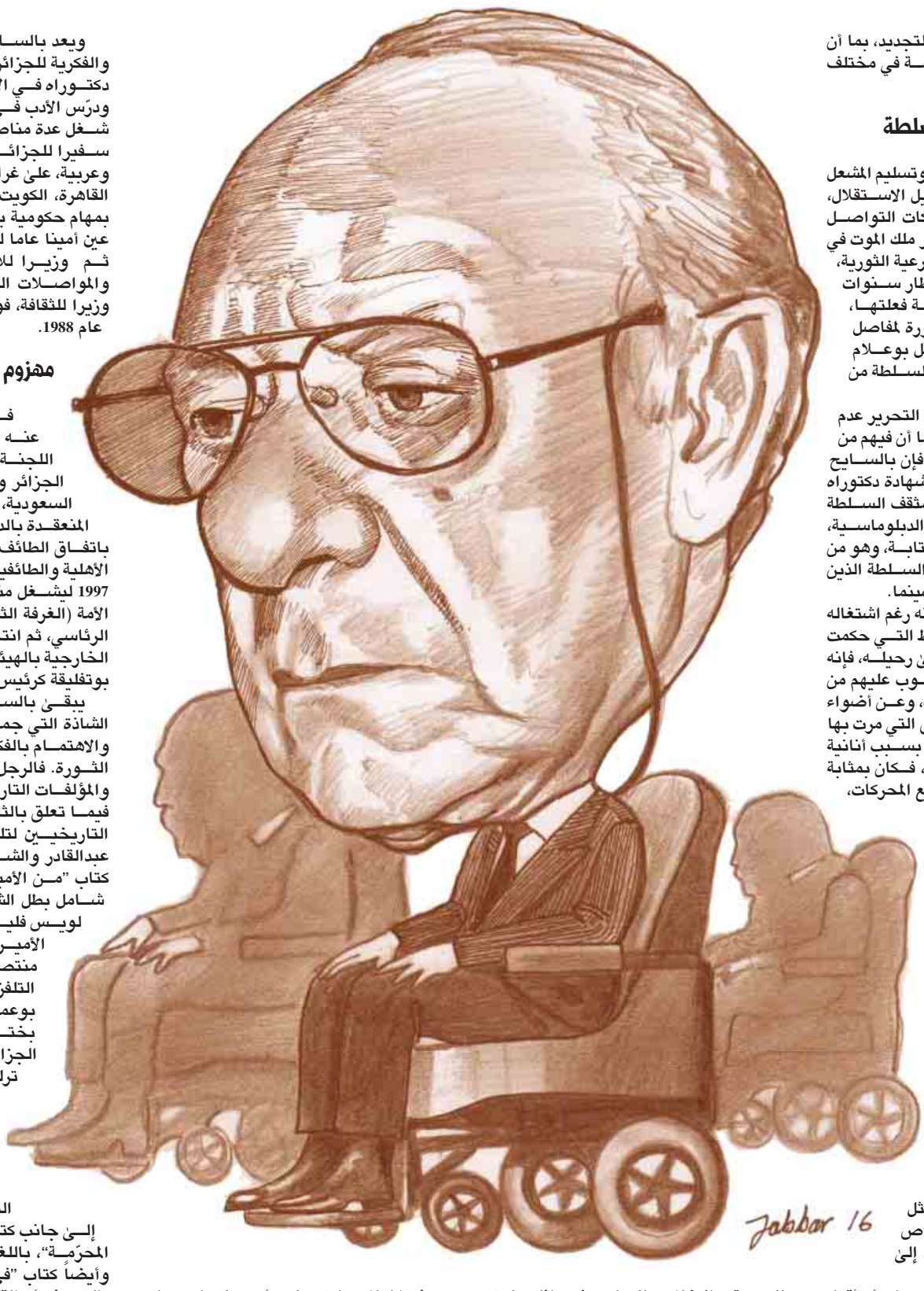

ويعد بالسايح من الكفاءات العلمية والفكرية للجزائر المستقلة، حيث حاز على دكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، ودرّس الأدب في الجامعة الجزائرية، كما شغل عدة مناصب دبلوماسية، حيث عيّن سفيرا للجزائر في عدة عواصم غربية وعربية، على غرار بون الألمانية، الفاتيكان، القاهرة، الكويت والرباط، قبل أن يضطلع بمهام حكومية بداية من العام 1971، حيث عين أمينا عاما لوزارة الشؤون الخارجية، ثم وزيرا للإعلام، ووزيرا للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، ثم وزيرا للثقافة، فوزيرا للشؤون الخارجية عام 1988.

مهزوم لكن منتصر

في هذا المنصب عرفت عنه جهوده الحثيثة، ضمن اللجنة الثلاثية المتكونة من الجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية، المنبثقة عن القمة العربية المنعقدة بالدار البيضاء، والتي توجت باتفاق الطائف، الذي وضع حدا للحرب الأهلية والطائفية في لبنان. وعاد في العام 1997 ليشغل منصب عضو في مجلس الأمة (الغرفة الثانية للبرلمان) ضمن الثلث الرئاسي، ثم انتخب رئيسا للجنة الشؤون الخارجية بالهيئة، وفي 2005 عينه الرئيس بوتفليقة كرئيس للمجلس الدستوري.

يبقى بالسايح حالة من الحالات الشاذة التي جمعت بين الانتساب للسلطة والاهتمام بالفكر والتأليف عند جيل الثورة. فالرجل ترك العديد من الكتب والمؤلفات التاريخية والأدبية، لا سيما فيما تعلق بالثورات الشعبية، والقادة التاريخيين لتلك المقاومات، كالأمير عبدالقادر والشيخ بوعمامة، حيث ألف كتاب "من الأمير عبدالقادر إلى الإمام شامل بطل الشيشان والقوقاز"، و"من لويس فليب إلى نابليون الثالث؛ الأمير عبدالقادر، مهزوم لكن منتصر"، كما ألف المسلسل التلفزيوني التاريخي "الشيخ بوعمامة" للمخرج بن أعمر بختي، من إنتاج التلفزيون الجزائري العام 1985.

ترك بالسايح كتاب "الجزائر الجميلة والثائرة من يوغرطة إلى نوفمبر"، الذي تولى الرئيس بوتفليقة كتابة مقدمته بمناسبة عيد خمسينية الثورة في العام 2014، إلى جانب كتاب "محمد بلخير، الراية المحرّمة"، باللغتين العربية والفرنسية، وأيضاً كتاب "في جذور الأصالة، المقاومة بالسيف أو القلم"، وكتاب "عبد الله بن قريو، شاعر الأغواط والصحراء" الذي طبع في باريس باللغتين العربية والفرنسية.

وإذ يسلم الجزائريون بالاحتكام إلى قاعدة قانون الطبيعة في تسليم واستلام المشعل بين الأجيال، في ظل غياب الآليات السياسية الحديثة، فإن فَقْد النخبة الحاكمة للدبلوماسي والوزير والمثقف بالسايح كبير، ويشكل انهيارا لواحد من الأعمدة التي حملت ثقل جيل الثورة على الجزائر المستقلة، حيث لا زال التهميش والإقصاء يطاردان الكفاءات الفكرية والأكاديمية الشابة، نظير أزمة تواصل وثقة بين الأجيال.

> بالسايح يعد من الكفاءات العلمية والفكرية للجزائر المستقلة، حيث شغل العديد من المناصب الدبلوماسية، وعين سفيرا للجزائر في عواصم غربية وعربية، على غرار بون الألمانية، الفاتيكان، القاهرة، الكويت والرباط، قبل أن يعين وزيرا للإعلام، ووزيرا للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، ثم وزيرا للثقافة، فوزيرا للشؤون الخارجية

بعيد عن الأضواء

وإذ ظل بالسايح بعيدا عن الأضواء، ومتحفظا في حياته، فلم يعرف عنه الخوض في المسائل العامة أمام الرأي العام ووسائل الإعلام، فإن رفيقه الرئيس بوتفليقة رثى فيه الشخصية التي تكيفت مع جميع الأوضاع، ولم يشهد لها الانحياز لهذا الطرف أو ذاك، رغم التجاذبات التي نشبت بين عصب السلطة الحاكمة.

وينحدر بوعلام بالسايح من محافظة البيض بالجنوب الغربي للبلاد، التي تعد إحدى مواطن المقاومة الشعبية للاستعمار الفرنسي، حيث خاض أهالي المنطقة بقيادة الأمير عبدالقادر وبوعمامة العديد من الثورات الشعبية ضد التواجد الفرنسي، وهناك ولد الرجل في العام 1930 من عائلة مناضلة.

والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني، بالناحية الثامنة من الولاية الخامسة مطلع عام 1957، حيث تقلد رتبة ضابط، وأسندت له مهام سامية في صفوف الثورة التحريرية، كعضوية الأمانة العامة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية، إلى جانب كونه من المؤسسين لوزارة التسليح والعلاقات العامة، التي أطلقت النواة الأولى لجهاز الاستخبارات الجزائري، رفقة قياديين آخرين كعبدالحفيظ بوصوف، ودحو ولد قابلية، وهو الجهاز الذي عرف بنجاعته وفعاليته في حماية ثورة التحرير من اختراقات الفرنسيين لصفوف الثورة.

● جيل ثورة التحرير يعاب عليه عدم إلمامه بتطورات العصر، لكن بالسايح يشذ عن القاعدة، فهو حامل لشهادة دكتوراه في العلوم الإنسانية، ويعد مثقف السلطة، الذي خاض في السياسة والدبلوماسية، بالموازاة مع التأليف والكتابة.

دعوة عامة ومجانية للشعر

صلاح فائق
شاعر المناسبات الشخصية التي تشبه المعجزات

فاروق يوسف

❑ **لندن** – رهائن هم البشر. الحيوانات ليست كذلك. بداهة عيش وخيال شعري يمتزجان عبر مسيرة سنوات من الشقاء والألم والعذاب والتأمل المضني لينتجا شاعرا، قرر منذ أيامه الأولىٰ ألاّ يكون سوى ذلك الفرد الذي لا يشبه أحدا ولا أحد يشبهه.

الشعر بضحكة إنسان حزين

من كركوك إلىٰ واحدة من جزر الفلبين مرورا ببغداد ودمشق ولندن مسافة يمكنها أن تخلق ماركو بولو جديدا. أما صلاح فائق فإنه رحالة من نوع مختلف. خياله يخترع قارات من الكلام التي يمكنها أن تسلمنا في النهاية إلىٰ ضحكة قنفذ، تبيض أسناننا بعدها.

يفرض عليك كثافة حزنه فيما خفته وكأنه شخص لا يُرى تقول شيئا مختلفا.

ما فعله من أجل الشعر فعله الفرنسي رامبو من قبل. الفرق بينهما أن الأخير هرب من الشعر فيما ذهب الأول إلىٰ الشعر بقدميه. وهو كلام مجازي، ذلك لأن صلاح فائق وصل الفلبين محلقا بجناحي شاعر.

لقد تمكّن منه الشعر. من الصعب ألاّ تراه طفلا لا تزال الزرافة تدهشه بعنقها الذاهب إلىٰ السماء. يُقال لك إنه كان حزبيا. يُقال إنه كان يساريا. ولكن صلاح نفسه يسلم يساره إلىٰ يمينه حين يتعلق الأمر بالشعر. ما يكتبه يؤكد أن ليس للعقائد من معنىٰ. الإنسان وحده يلهو خارج القفص. أهناك ما لا يسر في تلك المعادلة؟

قد تخطئ الوصول إليه حين تبحث عنه علىٰ خارطة الشعر العراقي. عربيا يمكننا أن نخطئ أيضا. صلاح فائق هو نموذج للشاعر اللامنتمي. أسلافه موزّعون علىٰ خارطة الإدريسي، في أماكن، البعض منها خيالي ولم يكتب فيه أحد شعرا مأثورا.

إنه قديم بحداثته، كما لو أنه شارك في البحث عن الذهب أو مرّ بالباحثين عنه مثل شبح. أخذ من سركون بولص (1944 ـ 2007) حضوره ومن جان دمو (1942 ـ 2003) غيابه، وهما شقيقا روحه.

شاعر الجزر البعيدة

ولد صلاح فائق في كركوك، شمال العراق عام 1945. في وقت مبكر من حياته انخرط في العمل السياسي فكانت حياته التي عاشها في العراق مجموعة متلاحقة من الاختفاءات القسرية. عام 1963 بدأ كتابة الشعر وبعدها بعام انضم إلىٰ حلقة الأدباء المحليين التي عرفت في ما بعد بالاسم الشهير "جماعة كركوك"، بسبب ما حققه أفرادها من شهرة. في بداية سبعينات القرن الماضي استقرت به الحال في بغداد وعمل في مصلحة السكك الحديدية وكان قد تعرض قبلها لعملية اختطاف لأسباب سياسية.

عام 1974 قرر أن يغادر العراق. غير أنه لم يكن يملك جواز سفر، فساعده الشاعر عبدالوهاب البياتي في الحصول عليه. فكانت دمشق وجهة سفره الأولىٰ، حيث استقر هناك ونشر ديوانه الأول "رهائن" عن اتحاد الكتاب العرب. عام 1979 غادر دمشق إلىٰ لندن، حيث عمل مترجما ومحررا في عدد من المجلات. انخرط فائق في الحياة الثقافية البريطانية فكانت له علاقات متينة بعدد من الرسامين والشعراء الإنكليز وترجمت كتبه الشعرية إلىٰ اللغة الإنكليزية، غير أنه ولأسباب سيشرحها في ما بعد شعرا، قرر الرحيل إلىٰ الفلبين عام 1993. ومن يومها وهو يقيم في إحدى الجزر هناك، متلذذا بعزلته. تلك العزلة التي صارت بمثابة جنة لشعره الذي يعج بالكائنات وبالوقائع المتخيّلة. لا يُعرف عن حياته الشخصية في الفلبين الكثير. غير أنّ ما ينشره من أشعار يوحي بنوع غرائبي، فريد من نوعه من الحياة.

ليس من اليسر تصنيف شعر صلاح فائق مدرسيا. هناك مَن يعتبره سرياليا لغرابته، غير أنه غالبا ما يقع بعيدا عن شروط الكتابة السريالية، وبالأخص حين يجد في اليوميات الشخصية مادته التي يلتقطها كما لو كانت لقية. وهو يلجأ في ذلك إلىٰ مزج الواقعة بخيالها، فيراها في مرآة ذلك الخيال واقعة أخرى، عاشها بعمق وقوة ما تنطوي عليه من مشاهد لا تظهر بشكل مباشر، غير أنه لا يعيننا علىٰ رؤيتها وحسب، بل يسعىٰ إلىٰ أن يشركنا في تأثير تلك المشاهد عليه.

شعر هو أشبه بالرسم التعبيري الذي لم يعط ظهره للانطباعية. وهنا بالضبط يكمن سر وضوحه المفرط في إنسانيته. هذا شاعر تتساوى أمامه الكائنات والأشياء. يرتجل أناشيده كمن يحكي لجارته وقائع ما جرى لقطته التي هجرت المنزل. هناك ألفة، مصدرها العيش العميق والثقة بالحياة. ما من شيء غامض. الحياة كلها غامضة. وفي قلب ذلك الغموض الأزلي هناك الكثير من الوضوح. وهي واحدة من أعظم وظائف الشعر. نزعة صلاح فائق الإنسانية تقف وراء أنسنة الحيوانات والأشياء والوقائع المتخيلة التي يضمها إلىٰ ذكرياته.

"حبا بشكسبير جئت إلىٰ لندن
صادفت ذات ظهيرة في حديقة هاميستد
أليوت واقفا علىٰ مصطبة يتطلع إلىٰ
مظلات تتساقط علىٰ المدينة".

يمكننا أن ننسب تلك الواقعة للشاعر باعتباره رائيا، غير أنها واقعة يمكن أن يعيشها أيّ فرد آخر في لحظة إلهام. وهنا بالضبط يكمن معنىٰ الشعر لدى صلاح فائق. وهو شعر لا يجانب الحقيقة ولا يكذب ولا يبالغ، غير أنه في الوقت نفسه يضفي علىٰ أشيائه الصغيرة هالة المعجزة. لذلك يبدو مفاجئا بما يكتنزه من مشاعر حب تفتك بالعادي والمباشر والصريح، عاصفة بالقناعات النثرية. "هناك شعر في مكان. حتىٰ وإن كان ذلك المكان حجرا لم يشق العشب صممه" هنا بالضبط تكمن رسالة صلاح فائق الشعرية.

شاعر المناسبات المضادة

في حسابه علىٰ فيسبوك يضع صلاح فائق صورة تجمع بين سركون بولص وجان دمو بدلا من أن يضع صورته. لم يُعرف عن الشاعرين الراحلين أنهما عملا إلا في ما ندر من أجل أن يكسبا قوت يومهما. كانا عاطلين إلا من الشعر. وهو شعر، تظل قيمته موضع التباس بالنسبة إلىٰ دمو الذي لم يكتب إلا القليل، غير أنه عاش حياته بعبث شاعر.

ولأن شاعرا بحجم صلاح فائق لا يفعل شيئا بطريقة مجانية فإن استذكاره الدائم لصديقيه هو بمثابة ثناء علىٰ تلك التضحية الفريدة من نوعها. أن يهب المرء حياته كلها للشعر. أهذا ما دفعه إلىٰ الفرار من حياته الرتيبة في لندن باحثا عن المعجزات في آخر الأرض، مقتفيا أثر الرسام الفرنسي بول غوغان الذي أنهىٰ سنواته الأخيرة في تاهيتي؟

سيكون ممتعا للقراء لو أنهم قرأوا مذكرات الشاعر التي لا أظن أنه سيكتبها نثرا. ليس لدى صلاح فائق استعداد لاستهلاك مغامرته في الحياة من خلال تحويلها حكاية للتسلية. هناك ما يود قوله شعرا. وهو يبدو مستعدا للدفاع عن حصانة ألمه بما يملك من روح دعابة. لقد سخرت منه الحياة بما يكفي لكي يرتدّ بالسخرية علىٰ الحياة. في كل ما يقوله هناك نوع من الدعابة الجارحة التي تضع الحياة كلها علىٰ ميزان حرج.

أجمل ما في صلاح فائق أنه لا يزال يعتبر نفسه شاعر الهامش. ومن أجل أن يؤكد تلك الحقيقة فإنه يلجأ أحيانا إلىٰ نشر كتابه من خلال دور نشر هامشية. فعل يبدو عبثيا لمَن هو بحجمه، غير أن ذلك الفعل يريحه في ظل رغبته في أن لا يتحول إلىٰ صنم شعري كما هو حال صديقه ومعلم قصيدة النثر اللبناني أنسي الحاج.

لقد نجح صلاح فائق في أن يكون أيقونة مضادة. الشعر بالنسبة إليه مائدة شخصية، الدعوة إليها عامة.

> صلاح فائق ورغم مكانته الأدبية، إلا أنه لم يكن يملك جواز سفر عراقي. وفي عام 1974 قرر أن يغادر العراق. فساعده الشاعر عبدالوهاب البياتي، وكانت دمشق وجهة سفره الأولى، حيث استقر هناك ونشر ديوانه الأول «رهائن» عن اتحاد الكتاب العرب

من شعر صلاح فائق

عازفُ بيانو تحتَ حافر حصان

الحصان: هذا عقابك لأنك لم تعزف لي
العازف: كان مزاجي قد هربَ
لذا انقلبت المعاني حول أصابعي.
الحصان: والآن؟
العازف: أعد إليَّ مزاجي قبلَ أن يلتهمهُ
ثعلبٌ أو جمل.
الحصان: لا أظنّكِ مستاء من حافري،
حافري من قطن.
العازف: لكنَّ آلام ظهري شديدةٌ. القطن
يؤذي.

* * *
جئتُ أنقلُ أدوات لتهريب سجناء
وجدتهم يرقصونَ في باحةِ المعتقل

* * *
في وقت متأخر
اقتحم أَبي مكتَبتي
ونهبَ ما في "ألف ليلة وليلة"
من ملاعق فضية وأقداح من ذهب

* * *
طلبني مديرُ السجن
– هل نصحتَ النهر، ليلة أمس، أن
يهجر هذه المدينة؟
– علاقتي غير جيدة مع الأنهار. أعيش
وسط محيط، في جزيرة وقربَ بركان.
– سمعكَ حُرّاسٌ تنادي النهر وتنصحهُ
بالهجرة أو الهرب.
– أنا موقوفٌ هنا لأنّي أنقذتُ فراشة
من سائح أجنبي في المطار.
– أين النُهر الآن ؟ أين يختبئ؟
– لا أعرف.
– لا تعرف؟ يصرخُ المديرَ خذوه، خذوه.
أخرج من هنا.
ضعوه في زنزانة انفرادية. لدينا
هليكوبترات، سنعثر عليه
لا يمكنِ أن يكون بعيداً، سوف نرى،
سيعترف عليكِ
أخرجوه من هنا، يصرخُ.

* * *
أطرقُ باباً وأسألُ:
– تعرفون صلاح فائق؟
– نعم نعرفهُ، تُجيبُ امرأةٌ متأنقةٌ.
– أين يسكنُ؟
– في الفلبين.

* * *
مهيبٌ جفاف الأرياف
يؤذي الكهوف وملائكة عصاة
يختفونَ فيها
هدّدني حاكمٌ حشّاش
باعتقالي في مصعد
إذا أخبرتُ أحداً بذلك.

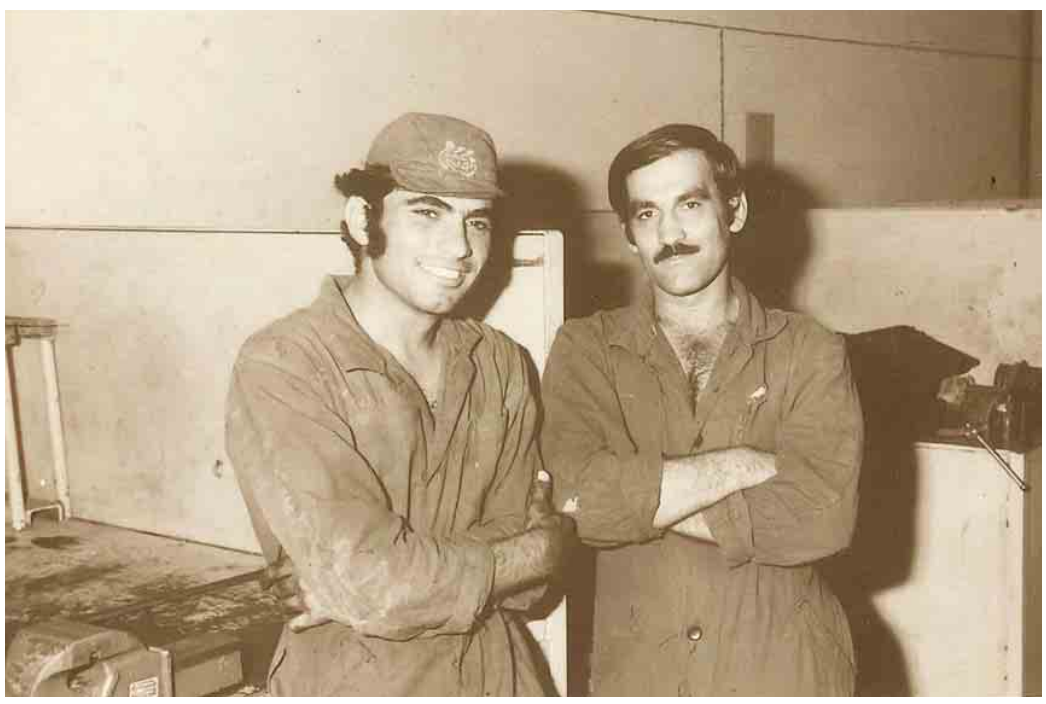

● "جماعة كركوك" هي المنطلق الذي بدأ منه فائق، وبسبب ما حققه أفرادها من شهرة، استقرت به الحال في بغداد، بداية سبعينات القرن الماضي، لكنه عمل في مصلحة السكك الحديدية بعد أن تعرض لعملية اختطاف لأسباب سياسية.

ملف خاص
ينشر بالاتفاق مع «الجديد»

صورة الكاتب في طفولته

كاتبات وكتاب عرب في آلة الزمن

في هذا الملف تنشر "العرب" مختارات من ملف أوسع تنشره "الجديد" هذا الشهر تحت عنوان "صورة الكاتب في طفولته" ويضم 65 كاتبة وكاتبا من لبنان ومصر وسوريا وفلسطين والأردن والمغرب والعراق وتونس والجزائر وبلدان عربية أخرى رووا وقائع وحوادث ومشاهدات وذكريات عاشوها أو كانوا شهوداً عليها في مراحل مبكرة من طفولتهم قبل سن الثالثة عشرة.

مشاهد وذكريات سعيدة وأخرى قد تكون أليمة. وقائع من الحياة المبكرة في البيت وخلال سنوات الدخول الأول إلى المدسة، وأخرى من الشارع والجوار في المدينة والناحية والقرية، بعضها يتصل بالأب والأم، وبعضها بالمعلمين ورفاق المدرسة، وبعضها الآخر بالجيران والشارع، بالسلم والحرب، بالفقر والغنى، بالجمال والقبح، بالعنف والرقة وبالحضور والغياب، بالطقس الطبيعي والطقوس الاجتماعية، وغيرها من العناصر والظواهر التي عادة ما تشكل (وتتشكل من) منظومة الوقائع والقيم والأعمال والميزات بالنسبة إلى الأطفال المرهفين المنفتحين على العالم بحواس جائعة وانتباهات حادة.

نتعرف من خلال هذه النصوص التي كتبت خصيصا لـ"الجديد" على خلفيات مهمة تمكننا من معرفة أفضل بأصحاب الأقلام التي كتبتها، بل ربما تضيء بشكل ما جوانب من شخصياتهم وأدبهم، سيما وأن غالبية المشاركين في هذا الملف هم من القاصين والروائيين والشعراء والنقاد العرب، بينهم من حاز على الشهرة، وبينهم من هم من الطالعين. وهو ما درجت عليه «الجديد» في مجاورة نصوص الطالعين بالراسخين على صفحاتها كل شهر، انطلاقا من إيمان بقيمة النص قبل الإسم، وبالإبداع الجريء والمبتكر، أولا وأخيرا، أيا يكن مصدره، مادام يستجيب للتطلعات التي ولدت «الجديد» لتكون منبرها.

* قلم التحرير

حادثة سعيدة حقا

أيام المطالعة الطفولية

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق مقيم في لندن

❑ الكتابة عن حادثة أثّرت فيك وأنت طفل ليست بالسهلة. أرى أن الانطباعات التي مر عليها الزمن إنما تكون استعادية أكثر من حقيقة كونها مفصلية ومؤثرة في وقتها. ربما من الأفضل الكلام عن سلسلة حوادث متعاقبة أو متزامنة.

تزامنت «حادثتان» مؤثرتان لا أزال أذكرهما تماما. الأولى إصرار معلمة الروضة على أن تدرسنا كتاب القراءة ونحن لا نزال بعمر خمسة أعوام، وبطريقة مكثفة وسريعة. والثانية حزمة مجلات من القصص المصورة أهداني إياها والدي. خلال أشهر قليلة حلت عقدة القراءة والمطالعة لطفل ما زال لم يبلغ السادسة من العمر.

حجّة المعلمة كانت أن الكثير من الأطفال يسجلون مبكرا في المدارس الابتدائية كـ"مستمعين" أي دون السن القانونية لعمر الأول الابتدائي، ثم ينطلقون في التعليم أسوة بغيرهم. ما كان ثمة حاجة للانتظار سنة إضافية للوصول إلى الأول الابتدائي لكي نتعلم القراءة. كانت المعلمة ذكية لأنها ركزت على القراءة ولم ترهق أيدينا الصغيرة بتحدي الكتابة. تركت القلم لسنوات قادمة.

القصص المصورة، أو المجلات كما كنّا نسميها اختصارا، كانت حلاً سحرياً لمعضلة التعثر في فهم الكلمات الكثيرة في النص المكتوب من دون صور. «الكوميكس» كما عرفناها لاحقا باسمها العالمي، ترسم القصة أولا ثم تضع فقاعة أو أكثر قرب أفواه الشخصيات لتقدم الحوار. الصور كانت تصف المشهد فكنّا كمن يشاهد فيلما أجنبياً ممتعاً ولا تخرب علينا مشاهدته و"فهمه"، فقط لأننا كنا قد نفوت بعض الجمل المترجمة أسفل الشاشة. فجأة صرنا نقرأ. لا نقرأ فقط «دار داران دوري" من منهج كتاب «القراءة الخلدونية" وهو أول كتاب للمرحلة الابتدائية في العراق، بل نقرأ قصصا كاملة. يا لها من متعة. متعة ترافقني إلى اليوم وأحس بها في كل مرة يقع كتاب «كوميكس» بين يدي.

بدأ الأمر مع شخصيات مغامرة بقوى خارقة: سوبرمان، والوطواط، والرجل المطاط، والبرق. ثم تطور إلى الطرافة مع شخصية لولو وعالم ديزني. في الصف الثالث الابتدائي دخل مكتبتي الخاصة (قاع دولاب الملابس) مجلة تان تان التي ترجمت في مصر إلى جنب مجلة سمير التي كانت مصرية بشكل شبه كامل. كانت تصل إلى العراق على شكل مجلدات. اكتشفنا أيضا معهما تاريخاً من الكوميكس المصري مع مجلة سندباد وإلى جانبها أول محاولات العراقيين دخول عالم الكوميس في مجلة «مجلتي».

لكن النهم للمطالعة ما عادت تكفيه القصص المصورة، وبدأت كتب المغامرات والجريمة والروايات العالمية المبسطة تأخذ حيزاً يوميا: المغامرون الخمسة المصرية، والشياطين 13، وأرسين لوبين، وشكسبير للأطفال. هذه كتب نصية عليك أن ترسم قصصها في مخيلتك، وهو أمر يمكن أن تتقنه جيداً بعد الآلاف المؤلفة من التخطيطات التي اعتدت على مشاهدتها في مجلات الكوميكس.

في الصفين الرابع والخامس الابتدائي صار النص أكثر حضورا من الصورة في الكتب. سلسلة العظماء في العلم والأدب (أعتقد كانت 20 كتابا)، وسلسلة معجزة (بالنسبة إلى طفل) مترجمة عن سلسلة ليدي بيرد البريطانية تحوي كل ما يخطر على بالك عن المعارف. كان التتويج في الجرأة على تمضية العطلة الصيفية بين الصفين الخامس والسادس الابتدائي في مطالعة موسوعة كاملة اسمها الموسوعة الذهبية (مترجمة في مصر أيضا) والبدء بشراء مجلدات موسوعة أخرى (مترجمة في لبنان) من تجميع مجلات بدأت تصل واسمها «المعرفة». أقرب وصف للمتعة في مطالعة هذه الموسوعات هو كأنك

لوحة: حسام بلان

قرأت كل ما يأتي لك به محرك غوغل اليوم خلال أشهر الصيف والإجازة.

أجمل ما في هذا العالم السحري من «حوادث» المطالعة هو عالم مواز من الصداقات تشكل بسببها. فميزانية الطفل، مهما كانت أسرته متمكنة ماديا، تبقى محدودة. والحل يكمن في سلسلة من الصداقات المباشرة أو غير المباشرة التي أساسها تبادل الكتب والمجلات والمجلدات. هذه كانت أول حلقة «مثقفين» تعرّفت عليها، وأطرف ما فيها أنها خارج التراتبية التقليدية التي تقوم على الأعمار، خصوصا في المدرسة الابتدائية، لتكون بين أعمار مختلفة تتراوح بين 8 سنوات و12 سنة. يمكن أن يكون لديك صديق أكبر منك بسنتين أو ثلاث سنوات، دون إشكال طالما يجمعكما الاهتمام بالكوميكس أو كتب الألغاز. كان هناك لقاء شبه يومي قبل ساعات الحر القائظ لتبادل الكتب والمجلات، ثم قتل ساعات الظهيرة بالمطالعة، للعودة وتبادل الكتب ثانية عصراً استعدادا للفترة المسائية.

تبادل الكتب والمجلات كان، أيضاً، حلا لتعويض النقص المتاح منها في المكتبات بعد قرار رسمي عجيب يمنع استيرادها لأنها تشجع على البطولات الفردية. أغلب ما كنا نشتريه هو مجلات مستعملة تدور بين مكتبات بيع الكتب.

المطالعة، أيضاً، تؤمنك من تشدد الأهل. «إنه يقرأ. أتركوه». لا أحد يعترض على الإكثار من المطالعة مثلما يتم الاعتراض على الإكثار من اللعب أو عند المبالغة في التجول بالدراجة الهوائية.

«حوادث» الطفولة التي شكلت حياتي كانت سعيدة. كنا سعداء حقا.

صورة أخي

مريم حيدري
شاعرة ومترجمة من إيران

❑ كانت الحرب قد ولدت قبلي، ومثل طاعون وعدوى كانت تلحق عائلتي كما العوائل الأخرى التي كانت تسكن في المدن الواقعة بالقرب من الحدود الإيرانية العراقية. وعائلتي تهرب منها من مدينة إلى أخرى، وبين هذه المدن المؤقتة ولدت أنا، وكان قد مرّ على الحرب أربع سنوات.

في العام ذاته (1984) كان أخي الأكبر (16 عاما) يذهب للقتال دون علم العائلة قائلا لهم إنه يذهب إلى مدينة أخرى من أجل الدراسة، يمرّ بين حين وآخر بالبيت لزيارة الأهل وخلال هذه الزيارات كانت ولادتي، فسمّاني «مريم» وغادر ثانية.

وفي العام ذاته أيضا ذهب ولم يعد، ثم عرف الأهل أنه كان يذهب إلى جبهات القتال محاربا. في البحث عنه لم يصلوا إلى خبر سوى أن قريبا منا كان قد رآه في الخطوط الأمامية من القتال، ثم لا خبر أو عنوان منه إلى زمن طويل. انتهت الحرب عام 1988، وكان أخي مازال «مفقود الأثر»، لا تعرف عائلتي إن كان قد استشهد أم مازال حيا وقد أسر. في عام 1990 بدأت عملية تبادل الأسرى بين البلدين. كان يعود من العراق إلى إيران العشرات من المحاربين السابقين وقد تم الإفراج عنهم. بابتسامات كبيرة ملؤها الشوق والفرح، يلوّحون لأهلهم من بين شبابيك الحافلات.

وقبل دخول كل قافلة منهم، كانوا يكتبون أسماءهم آنذاك في جريدة ما. تنشر الجريدة وتوزع في أنحاء البلاد ليعرف أهالي الأسرى ويأتون لاستقبالهم. وأمي التي من عادتها أن تذهب إلى السوق صباح كل يوم، كانت تخرج تلك الأيام وتعود إلى البيت مالئة سلتها بالخضار والفواكه وألعاب لنا، وواضعة فوق كل ذلك «جريدة». ثم تبدأ وتستمر طوال النهار عملية البحث عن اسم أخي بين القوائم الطويلة لأسماء الأسرى المفرج عنهم أو كما كان يطلق عليهم «آزادكان» بالفارسية أي «الأحرار».

وكل مرة لم تنجح العملية ولم يتم العثور على اسم أخي بينهم. أمي كانت تنتظر، وكنت أنتظر معها دون أن يكون لي شعور كبير نحو أخي. كنت أتمنى أن يعود من أجل أمي فقط. من أجل أن تفرح أمي وتستطيع أن ترتدي ثيابا ملونة، هي التي لم تلبس منذ غياب أخي سوى الأسود.

كانت أمي تحتفظ بصورة لأخي في الخزانة واضعة إياها بين قماش أخضر ناصع، وفي كثير من الأحيان حين تجد البيت فارغا من أفراد العائلة، تجلس على الأرض مقابل الخزانة المفتوحة كما المحراب، تخرج الصورة، تزيل عنها الحجاب الأخضر الجميل، وتأخذ بالبكاء.

كنت أتبع أمّي حينها، أجلس إلى جنبها. أشهد على تلك اللحظة الخرافية لإزالة الأخضر وإشراق وجه أخي من خلفها، مراقبة وجه أمي، وما أن تبدأ هي بالبكاء، حتى تسقط دموعي وأبكي معها بصوت عال. باكية كانت تتحدث معه، ترجوه، تعاتبه، تدعو له وأنا أسند رأسي إلى كتفها، أبكي من أجل بكائها، وأتمنى من كل قلبي أن ينتهي حزن أمي وكآبتها.

بعد ساعة من البكاء تقبلني أمي، تعيد الصورة إلى بيتها، وأعود ثانية إلى طفولتي المفعمة باللعب والدلال. ألعب طوال النهار في البيت والشوارع، إلى حين الموعد المقبل مع أمي والصورة.

هكذا مرت السنوات، ولا خبر من أخي لا في الجرائد ولا عن أفواه الآخرين من أصدقائه الذين عثروا عليهم أهلي في ما بعد.

ثم ذات يوم كنت عائدة لتوي من المدرسة، وجدت في بيتنا ضيوفا لا أعرفهم، جالسين في غرفة الضيافة. كنت في باحة البيت حين خرجتْ أمي من الغرفة باكية بصوت عال وصارخة: «يمّا». كان عام 1995. وفي ذلك العام، ذلك اليوم الدافئ، وفي تلك اللحظة، شعرت أن شيئا ما قد انهار. انهار دون أن يسقط على الأرض؛ حجمه الثقيل وقع على بيتنا، على أيامنا التي تلت تلك اللحظة وعلى أرواحنا جميعا.

كان الضيوف قد قالوا لأمي وأبي إنه أثناء البحث عن جثامين الشهداء في المناطق الحربية، وجدوا عظاما تدل السلسلة التي كانت بالقرب منها أن تلك العظام هي لأخي. خفت من حديث العظام وقد كنت أخاف حينها حتى عند النظر إلى الهيكل العظمي في المدرسة. خفت أن أسأل أيّ شيء، وفي الأيام اللاحقة كنت أرى أمي تشيب بسرعة غريبة، يغيب البريق من عينيها، ووجهها الأبيض والأحمر يشحب سريعا يوما بعد يوم.

تلك الصورة وضعت بعد سنوات على الجدار وانتقلت طقوس أمي من محراب الخزانة إلى محراب آخر: القبر. رغم أن أمي كانت تحلم أحيانا بهاتف ما، يقول لها في الحلم إنه ليس أخي! وتحير أمي لفترة بين أن تنتظر ثانية خبرا عنه أم أنها هي بالفعل عظام أخي التي دفنت تحت التراب؟ مصدقة الحلم وغير مصدقة، تعود أمي إلى زيارة قبره، وفي بعض الأحيان كنت أذهب معها مصرّة ورغم امتناعها إلى المقبرة. أحزن معها وأبكي، ثم لدقائق أتناول طفولتي التي كانت تحب الحركة كثيرا وأذهب بها إلى فوق تلّ على جانب المقبرة، أظن أني تسلقت جبلا، أشعر بسعادة صغيرة إلى أن تناديني أمي ونعود إلى البيت.

تاريخ العائلة والمدينة والبلد كان مرتبطا بالحرب منذ ولدت وقبل أن أولد. بالقصف والهروب المستعجل من الخراب، ومرتبط بالدموع. وكانت طفولتي وسعاداتها البسيطة في صراع كبير ومستمر مع الحزن وأحاديث الحرب والفقدان والبكاء. آلذلك مازلت أبكي سريعا؟ ألذلك أصبح الأخضر لوني المفضل، والصور، أحبها ولا أحبها؟!

انتحار مؤجّل

كاتيا الطويل
كاتبة من لبنان

❑ كنت في الحادية عشرة من عمري عندما قرّرتُ الانتحار. كنتُ قد قرأتُ آنا كارنينا لكنّني لسوء حظّي ولدتُ في بلاد لا قطار فيها، فكان لزامًا عليّ أن أبحث عن طريقة أخرى أرمي بها نفسي إلى الموت. ولمّا كنتُ أعاني رهاب الأماكن المغلقة والاختناق البطيء كان من المتعذّر عليّ أن أستفيد من تجربة رجال كنفاني وأن أترك نفسي تختنق داخل جحيم خزّان صدئ. كنتُ كذلك، وللأسف الشديد، أخشى الحبوب المنوّمة والأدوية شرّ خشية ما جعل طريقة إيما بوفاري في الانتحار بعيدة المنال، هذا على أنّ أحد النقّاد اتّهمني تهمة جميلة بأنّني رومانسيّة مثلها إنّما تُهمته هذه لن تجعلني أعانق الموت بشجاعة وتصميم كما فعَلَتْ.

لقد أصابتني كارثة وجوديّة إنسانية شخصيّة حميمة عندما بلغتُ الحادية عشرة من عمري وقرّرتُ على إثرها الانتحار. فهل ألجأ إلى قسوة الطبيعة وأترك نفسي تحت رحمتها؟ عوامل الطبيعة التي عدَّدها باشلار لم تكن فعلًا على قائمة أموري المفضّلة، فكنتُ أكره النار وأنفر منها، أمقت الاختناق، أخشى أن أدفن حيّة تحت التراب،وأجزع من الغرق وأشعر بالاختناق ما أن يبلغ مستوى الماء خصري، فلم يكن خيار فرجينيا وولف بالموت غرقًا مطروحًا على الطاولة أصلاً. فأظلَمَ الموت في وجهي من بعد أن كانت قد أظلمت الحياة.

كنتُ في الحادية عشرة من عمري عندما بدأتْ مصائبي وقرّرتُ الانتحار. أردتُ أن أنتحر وأن أكتب رسالة كما فعَلَتْ داليدا، رسالة يقرؤها والداي بعد أن يجدا جثّتي الزرقاء مستلقيةً برهبة وأرستقراطيّة. رسالة يفتحانها ويقرآن فيها جُمَلي الحزينة التي تحمل spleen بودلير وسوداويّة أبي العلاء المعرّي. أردتُ الانتحار والموت والرسالة أكثر من أيّ أمر آخر. كنتُ أقف كلّ مساء إلى نافذتي وأُحدّث الله متمنّية أن يرشدني إلى الصراط السهل الذي يقودني إلى الموت بلا ألم أو وجع أو تشوّه.

وقد تتساءلون عن سبب حزني الجارف هذا وبؤسي النيتشاويّ، قد تتساءلون بحشريّة أو غضب حتّى، عمّا قد يدفع فتاة في الحادية عشرة من عمرها إلى الانتحار، فأجيبكم أنّ اكتشافًا فظيعًا زعزعني.

كنتُ في الحادية عشرة من عمري عندما اكتشفتُ أنّني فتاة. نعم، فقبل ذلك كنتُ مجرّد مخلوق يلعب ويدرس ويخرج ويدخل ويقفز في أرجاء البيت محطمًا نصف الأشياء. قبل الحادية عشرة كنتُ مصيبةً متنقّلة يتجنّبني أشقّائي الصبيان الثلاثة ولا أنفكّ أتشاجر مع أمّي في كل صغيرة وكبيرة. كنتُ كائنًا بلا جنس ولا هموم ولا متطلّبات ولا تقلّبات في المزاج. ثمّ فجأة صرتُ فتاة.

ولمَن بدأ يفكّر بأنّني سأتحدّث عن التطوّر الجسديّ للفتاة في هذا العمر، لمَن يظنّ بأنّني أقصد في حديثي هذا مسألة اكتشافي أنوثتي ذات صباح فهو مخطئ. لا. لقد اكتشفتُ أنّني فتاة عندما أدركتُ أنّ أمورًا كثيرةً ممنوعةٌ عليّ. اكتشفتُ أنّني فتاة عندما حرمتني أمّي السهر مع أصدقائي كلّ يوم، أو الخروج عند صديق بعد المدرسة، أو مشاهدة حفل موسيقيّ صاخب يمتدّ إلى منتصف الليل. اكتشفتُ أنّني فتاة في يوم مشؤوم لم يُسمَح لي فيه بالمبيت في نزل قديم مع أصدقائي، في ليلة عدتُ فيها متأخّرة إلى البيت، في شتاء لم يُسمح لي فيه بالتزلج مع صديق مقرّب، في يوم اكتشفتُ فيه أنّني مغرمة وأنّ الذي أحبّه لن يروق محيطي. اكتشفتُ أنّني فتاة عندما راحت نظرة أمّي تقسو وممنوعاتها تكثر وقوانينها العوجاء تتضاعف وأصبح الجيران على حين غرّة عنصرًا مهمًّا في حياتي يكرّرون عدّية «صرتِ صبيّة، نفرح منك» كأمثولة قميئة.

كان سقوطي من عدن. أذكره ذاك الشتاء بشكل دقيق، كنتُ ناقمة على أمّي وعلى الجيران وعلى الله. كنتُ في كل مساء أقف إلى نافذتي وأروح أبرم في رأسي الاحتمالات وأبحث في قصص أبطالي المفضّلين عن طريقة لذيذة للانتحار، حتّى أنّني وصلتُ ذات مساء في أبحاثي إلى يهوذا الأسخريوطيّ ووجدتُ في انتحاره مصدر إلهام.

نسمع بالسيارة ونتخيل بغداد بالألوان

رشيد الخيون
كاتب من العراق مقيم في لندن

ولدت ونشأت بقصبة قصيبة جنوب العراق، وسط الأهوار، كل ما حولنا ماء بماء، لا نعرف اليابسة إلا لماما، ولو وصل ابن بطوطة (ت 779هـ) إلى هذا المكان لقال فيها ما قاله بغوطة دمشق لكثرة مياهها «قد سئمت أرضها كثر الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ فتحاك تنادياً بها الصم والصلاب أرضٌ برجلك هذا مغتسل بارد وشراب» (الرِّحلة).

فتحنا عيوننا على القارب وسيلة مواصلات. كنا نسمع بالسيارة ونعطيها أشكالاً في مخيلتنا، حتى صورتها لم تصل إلينا، فلا فوتوغراف ولا تلفزيون، مع وجود قليل من أجهزة الراديو. فالأهوار التي حظيت مؤخراً باعتراف اليونسكو إحدى المناطق الأثرية والحضارية، عاشت في عزلة طويلة عن المدن، وصلها الرحالون العراقيون، ومن كتب عنها من الأكاديميين العراقيين، وأخذ فيها شهادة الدكتوراه العربية، عاش هذا الباحث ردحاً من الزمن في بيت من قصب، وحظي بضيافة أهلي، وذلك العام 1953، وظلت الصلة قائمة معه، وبعد حين التقيت به وكنت بمعية والدي ببغداد.

حتى ذلك الزَّمن لم نكن نعرف السَّيارة إلا بالاسم، بقص عنها من سافر إلى مدينتي البصرة والنَّاصرية، والمدن التي كنا نتخيلها بالألوان، ولا أدري لماذا تخيلنا بغداد حمراء والبصرة زرقاء.

كان العام 1961 عاماً فاصلاً في ثقافتي، وثقافة جيلي بتلك المنطقة، يوم وصلت أول سيارة محمولة على سفينة حديدية (دوبة)، يوم جازفت بلدية المنطقة بشرائها وجلبها عبر الفرات، يقودها سعيد آل جوعيد، أحد شباب المنطقة، وكان سائقاً ببغداد مع الشَّيخ سالم الخُيُون.

تجمعنا على الشاطئ حيث رست السَّفينة، في شمال المنطقة، وتجمع رجال الحكومة المحلية، وفي مقدمتهم عمّي رئيس البلدية طارق الخُيُون (ت 1993)، يتداولون مع نوخذة السَّفينة وسائق السَّيارة كيفية إنزالها، ولم يكن هناك طريق معبد ولا ترابي تسلكه عند نزولها، سوى أرض يحيطها الماء، وطريق ضيق مُدّ بواسطة قوافل الحمير.

كنا مشغولين بالنَّظر إلى هذا الكائن العجيب السَّيارة (القلاب)، ولونها الأحمر، كي تبدأ بحمل التُّراب لمد شارع وسط القصبة.

نزلت السَّيارة وسط اليابسة، تجمع عدد غفير من أهالي المنطقة، وتهاليل بالصلوات، وصعد السَّائق، وكان مضطراً، يدور محركها ليتجه بها صوب بناية البلدية، ونحن نتقافز حولها، مع عصبية نرى كائنا جديدا، يسير بين بيوتنا، قبل أن نرى العجلة الهوائية أو النَّارية. كنا نصحن على صوتها، ولا نهدأ إلا بعد ركنها في كراجها، ونتظر لسعيد جويعد (أول سائق بالمنطقة) كرائد فضاء.

غيّرت السَّيارة مخيلتنا عن الآلات والأدوات التكنولوجية، وأن العجلة ليست مختصة بماكنة الطحن فقط التي يمتلكها والدي بالمنطقة، ويدور وسطها دولاب ضخم. أخذنا نُقلد السيارة بالعابنا، المصنوعة باليدينا، بتشكيل الأسياخ على عجلات، نحركها بقصبة تُربط في وسطها. كذلك غيرت السَّيارة مخيلتنا عن الزمن، فما عدنا نحسبها بالأيام، إن نسيت لا أنسى وصية العجوز جارتنا الخالة سكنة، ونحن ننتظر وصول السيارة «لا تركضوا أمامها فتدوسكم، أركضوا بجانبها»، وقد التزمنا بالوصية، فنحن أمام كائن لا يضاهى بسرعته.

كانت قفزة في حياتي، وحياة أترابي، أن نرى كائنا جديدا، يسير بين بيوتنا، قبل أن نرى العجلة الهوائية أو النَّارية. كنا نصحن على صوتها، ولا نهدأ إلا بعد ركنها في كراجها، وننظر لسعيد جويعد (أول سائق بالمنطقة) كرائد فضاء.

غيّرت السَّيارة مخيلتنا عن الآلات والأدوات التكنولوجية، وأن العجلة ليست مختصة بماكنة الطحن فقط التي يمتلكها والدي بالمنطقة، ويدور وسطها دولاب ضخم. أخذنا نُقلد السيارة بالعابنا، المصنوعة باليدينا، بتشكيل الأسياخ على عجلات، نحركها بقصبة تُربط في وسطها. كذلك غيرت السَّيارة مخيلتنا عن الزمن، فما عدنا نحسبها بالأيام، إن نسيت لا أنسى وصية العجوز جارتنا الخالة سكنة، ونحن ننتظر وصول السيارة «لا تركضوا أمامها فتدوسكم، أركضوا بجانبها»، وقد التزمنا بالوصية، فنحن أمام كائن لا يضاهى بسرعته.

الصياد التائه

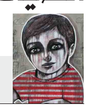

إبراهيم عبدالمجيد
كاتب من مصر

كنت في الثانية عشرة من عمري وفي السنة الأولى بمدرسة طاهر بك الإعدادية بمنطقة الورديان بالإسكندرية. كانت مدرسة حكومية ولا زالت حتى اليوم. كانت مدرسة في ذلك الوقت، أي في الخمسينات، كانت مدارس حقيقية، بل كانت ليست مجرد مدرسة لتلقي العلم لكن مركزا ثقافيا حيث بها مكتبة جميلة يدخل إليها كل فصل من الطلاب مرة في الأسبوع لمدة ساعتين للقراءة الحرة. أي يختار كل تلميذ كتابا يقرأ فيه وفي النصف ساعة الأخير نلتف جميعا حول المدرس وكل يحكي ما قرأه أو أعجبه أو يسأل المدرس فيما قرأ، وكانت دائما الإجابات عند المدرسين متوفرة. كانوا نوعا من المدرسين يجيدون اللغات الأجنبية وعلى ثقافة عالية تعلموا في الفترة الملكية قبل يوليو 1952 واستيلاء الجيش على السلطة. وكان إلى جوار القراءة هناك جماعات للموسيقى والشعر والسينما والمسرح والرحلات وغيرها من الأنشطة الثقافية والرياضية. كما كان فناء المدرسة به ملاعب للكرة الطائرة والسلة وكرة القدم وأماكن للجمباز. كل ذلك انتهى وصارت الأفنية فصولا مع التخلف في العملية التعليمية وازدحام الفصول. فصولنا كنا لا نزيد فيها عن عشرين تلميذا في المرحلة الابتدائية والإعدادية. الآن ستون وسبعون تلميذا وأحيانا مئة في المدارس الحكومية. كنت أحب السينما وأذهب إليها تقريبا كل يوم. السينما الشعبية في حي كرموز حيث كانت أسرتي تسكن أو حي القباري في الطريق إلى الصحراء وكانوا يبحثون عنه. رأيي المدرس أبكي فتقدم مني وسألني لماذا تبكي يا إبراهيم. هل القصة لا تعجبك. هل لا تريد أن تقرأ اليوم؟ قلت له «الصياد تاه ولا يجدونه وخايف يكون جرى له شيء» ابتسم المدرس وقال لي هل صدقت يا إبراهيم؟ هذه حكاية من تاليف المؤلف ولا يوجد في الأصل صياد ولا رحلة صيد حقيقية. نظرت إليه في دهشة فقال هذا هو التأليف الجميل يقنعك أنه حقيقة. سني إلى اثني عشر عاما بعد أن قرأت رواية أطفال صغيرة عنوانها «الصياد التائه» للأسف نسيت اسم مؤلفها مع الزمن لكني عدت إلى الويكيبيديا وأنا أكتب هذا المقال فعرفت أنها كانت للراحل العظيم محمد سعيد العريان الذي قرأت له روايات تاريخية جميلة بعد ذلك. تذكرت ذلك الآن، أي قراءتي لرواياته التاريخية لكني لم أنس أبدا ما جرى لي وأنا أقرأ رواية الصياد التائه ولا ما جرى لي بعدها. ما أذكره منها أنني بكيت حين ضل الصياد طريقه في الصحراء وكانوا يبحثون عنه. رأيي المدرس أبكي فتقدم مني وسألني لماذا تبكي يا إبراهيم. هل القصة لا تعجبك. هل لا تريد أن تقرأ اليوم؟ قلت له «الصياد تاه ولا يجدونه وخايف يكون جرى له شيء» ابتسم المدرس وقال لي هل صدقت يا إبراهيم؟ هذه حكاية من تاليف المؤلف ولا يوجد في الأصل صياد ولا رحلة صيد حقيقية. نظرت إليه في دهشة فقال هذا هو التأليف الجميل يقنعك أنه حقيقة. انتبهت لما قال. بعدها اندفعت في قراءة القصص بشكل رهيب وعلى رأسها قصص محمد سعيد العريان التاريخية ثم محمود تيمور ونجيب محفوظ ومشيت في الطريق الذي لم أرجع عنه. لقد وجدت نفسي مندفعا في القراءة لأستمتع وأفكر أن أكتب مثل هؤلاء الناس. وبالفعل مع بلوغي الرابعة عشرة من عمري بدأت في التأليف الجميل الذي كان يسعدني جدا رغم سذاجته ولم أتوقف عن ذلك إلا بعد خمس أو ست سنوات حين قرأت لطه حسين مقالات أدبية وعرفت أن للأدب مدارس وطرقا وأشكالا فاندفعت في قراءة تاريخ الأدب والنقد والفلسفة وغيرها مما رأيته لازما للكتابة والمعرفة المفيدة للكاتب. كان الصياد التائه سبب تحولي العميق للأدب والكتابة فيما بعد رغم أني كنت أشطر تلميذ في الفصل في الرياضيات. كانت كتابة محمد سعيد العريان الجميلة التي جسدت متاهة الصياد هي السبب في أني كتبت فيما بعد.

صور باهتة

رؤوف مسعد
كاتب من مصر

ما الذي يعلق من أحداث طفولة شيخ ثمانيني في ما تبقى من ذاكرته التي تتهرأ يوميا؟

***

فاجأني السؤال حيث كنت أحاول أن أعمل في تنقيح وترتيب مادة طويلة اكتبها من سنوات عني وعن شخوص أعمالي، وعن حياتي بطولها وعرضها.

عن أناس عبرتُ بهم وعبروا هم بي خلال رحلة حياة تدهشني تنوعاتها ويدهشني طولها وعرضها وأحذر كثيرا في الادعاء بعمقها..

ساعتها أخذت أفكر: هل من الممكن أن أتذكر الطفل الذي كنته؛ ملامحه الخارجية وتركيبه الجسدي؟ وكذا ذاكرته أو ما تبقى منها؟

***

بدت لي بعض صور الطفولة باهتة مراوغة.

***

أسترجع في دهاليز الذاكرة بيتا واسعا بحديقة وفيها ورد قليل وخضروات كثيرة. إنها حديقة بيتنا الكبير في مدينة «ود مدني» السودانية حيث عمل أبي وأقام كقس إنجيلي بروتستنتي.

هناك وعيت طفولتي بالرغم من أني ولدتُ في مدينة أخرى وعلى ضفاف مياه البحر الأحمر. مدني -كما نطلق عليها- على ضفاف النيل الأزرق القادم من الحبشة.

***

زراعة الحديقة كانت فكرة أبي وهو علّمني -في طفولتي وصباي- كيف أعتني بها. هو فلاح أصلا ثم أصبح قسا وكاهنا.

لوحة: علي علي

مسبح الفقراء

عواد علي
كاتب من العراق مقيم في عمان

قضيت طفولتي وصباي في منزل عجيب من المستحيل لأحد أن يتخيّله، وكأنه متاهة من متاهات بورخس. يجعل لكبر الرجال فطنة يحذر ولوجه، مع وجود إشاعة تقول إنه مسكون بالجن. كان منزلا واسعا مكونا من طابقين وإحدى عشرة غرفة وثلاثة سراديب مظلمة، اثنان منها بلا نوافذ، وادراج حجرية مثلمة، يقع في حي شعبي بمدينة كركوك يُدعى «برياري»، يقطنه خليط من التركمان والكرد والعرب، أغلبهم نازحون من القرى المجاورة.

علمت، بعد بلوغي سنّ الرشد، أن المنزل كان في الأصل مدرسة يهودية، يعود بناؤها إلى بداية القرن العشرين، ضمّنتها دائرة الأوقاف إلى ممتلكاتها عقب هجرة اليهود إلى فلسطين. ولمّا كان والدي فلاحا نازحا، ضعيف الحال، فقد أشفقت عليه وآجّرت له المنزل بخمسة دنانير في الشهر. وقبل أن ننتقل إليه أتى برجل يدّعي أنه ساحر يستطيع طرد الجن منه، وأخذ ينصحنه فاسكن في غرفه الفائضة أزواجاً نازحين، حديثي الزواج، او مسّن لا تزيد ذريّتهم عن طفلين، مقابل ثلاثة دنانير في الشهر للغرفة الواحدة، وبذلك تحوّل المنزل إلى ما يشبه فندقا او خانا من خانات أيام زمان، يدرّ علينا بما يتناسب مع وظائفنا، كان ذلك عام 1961 وأنا في سن الرابعة.

على مبعدة نحو ميلين عن منزلنا هذا كانت تحيط المدينة، من جهة الشرق، هضاب صخرية قليلة الارتفاع، تنتشر فيها المقالع الحجرية ومعامل الجص. بمرور الوقت كانت مواقع التفجير تتحوّل إلى حفر كبيرة يصل عمق بعضها إلى ستة أو ثمانية أمتار، وما إن يحل موسم الأمطار حتى تمتلئ تلك الحفر وتغدو بركا ماؤها داكنة الخضرة. وحين يحل الصيف يلوذ صبيان الأحياء القريبة بالبركة الأكبر، التي يسمونها، مجازا، بـ«مسبح الفقراء» نكاية بمسابح النوادي الرياضية والاجتماعية التي لا يستطيعون الاشتراك فيها.

بدأت أقصد ذلك «المسبح» المجاني عندما صرت في أواخر عامي الثاني عشر، رفقة صديقي الحميم «نهاد»، الذي أطلق شعلة نشاط لافتة، اقترح مدير المدرسة -الذي لم يكن شخصا آخر سوى والدي العزيز- على هيئة التدريس منح أبناء شهداء حرب الصحراء، جوائز تحفيزية، في حفلة نهاية السنة؛ جنبا إلى جنب مع المتفوقين من التلاميذ، كان لديه إيمان داخلي عميق وهو المتديّن الحافظ للقرآن، أن تلك الهدايا ستدرأ الشر عن أبنائه (الحقيقيين والمجازيين)، في البيت والمدرسة. لا أدري حتى اليوم، عبارة عن منشورات عبارة عن كتب، فالحلوى او الملابس او لعب الأطفال، بدت على الدوام أكثر جلبا لمشاعر الحبور لدى الطفل الذي كنته، إنما لم تكن تسوّني أيّ كتب أتلقاها هدية، من أساتذتي أو أقاربي، وفي النهاية كانت الجوائز التي منحت لإبراهيم وزملائه الأيتام والمتفوقين، عبارة عن منشورات مصرية ولبنانية: قواميس صغيرة، وكتب تعليمية، مع عدد كبير من قصص الأطفال، من تأليف الكاتب المصري المعروف في أوساطنا محمد عطية الأبراشي من مثل « الأخ النبيل» و"الأميرة الحسناء و"الراعي الشجاع و"السلطان المسحور" وغيرها.

منح إبراهيم هديته لتتلقفها أيدي أصدقائه في ذات اليوم، متناوبين على تصفحها وقراءتها، من دون إحساس بالذنب، وإنما بنزعة طفولية إلى تأميم الهدية التي قصد بها تبديد المشاعر الأسيَة وجرّ صاحبها إلى عوالم خيالية تنتشله من وهدة الحزن الحالك. من وقتها ركبني شبه يقين أن الحكاية والقصة والرواية يمكن أن تكون وقاية من الفقد أو مواساة له، لا أدري هل لذلك دخل في مساري النقدي أم لا! لكني وجدتني في مرحلة اختيار موضوع أطروحتي للدكتوراه منحازا لنص "ألف ليلة وليلة" الذي تقوم فيه الحكايات بتاجيل الموت.

اليوم حين أستعيد ولعي المبكر بفنّ الرواية لا أستطيع فصله عن قدرتها على مجابهة الفقد والخسارة والموت، واستنباء حيوات انتهت إلى مجرد صور في الذاكرة، واستعادة فضاءات تلاشت وأقاربَ قضوا تباعا وأصقاعا اختفوا، يبدو النص تعويضا وتعزية وأملا في خلود افتراضي.

لهذا أصدق بعمق اعتراف عشرات الروائيين بأن الرواية حمتهم من الانتحار، أو الجنون أو اللاجدوى، واهتدوا القدرة على تحمل عيش تنجاب من حنايا الأفراح مثلما تهرب السنوات والشهور والأيام من رصيد العمر.

هدية للنسيان

شرف الدين ماجدولين
كاتب وأكاديمي من المغرب

أذكر جيدا ذلك اليوم البعيد من طفولة تسكن خلايا الذاكرة، يتعلق الأمر ربما ببدايات صيف سنة 1977، كنا مقبلين على امتحانات نهاية السنة، عندما طلب منا مدرس الفرنسية أن نقف لزميلنا إبراهيم الخالدي، الذي حضر متأخرا وباكيا رفقة عمه ووالدته المنشحة بالبياض، أذكر لهجة الأستاذ الآمرة وتجهمه الغريب عن أجواء دروسه في حصة الفرنسية المكتفئة دوما بمسببات الدعابة والهزل، حين طلب منا أن نقرأ الفاتحة على روح والد زميلنا إبراهيم، الذي استشهد في حرب الصحراء. كنا في الصف الرابع الابتدائي في مدينة صغيرة بالجنوب المغربي اسمها "سيدي إفني"، لم تمض أكثر من ثماني سنوات على استعادتها من المستعمر الإسباني، وكان أكبرنا لا يكاد يتجاوز عقده الأول إلا بسنة أو سنتين، حين رفعنا أكفنا الصغيرة لقراءة الفاتحة بخشوع، لإرضال والد زميلنا الجثة.

وقف بعدها مدرسنا ليتحدث عن فضل الشهيد ومرتبته عند الله، لم نكن نفهم من معنى الشهيد سوى أنه محارب قضى في الصحراء، ولم تكن المسألة جديدة علينا إذ فقد أزيد من ربع زملائي آباءهم في تلك الحرب التي امتدت لسنوات طويلة. وطالما تكررت لحظات الغياب غير المبرر لزملاء عديدين خلال المواسم الدراسية اللاحقة، لكن لحظة بكاء إبراهيم كانت فارقة، إذ كان محبوبا لمواهبه العديدة من صيد العصافير إلى حفظ صبغ تصريف الأفعال بالفرنسية إلى حكاية وقائع خيالية مدهشة، كان وحيد والديه دونما أخوة أو أخوات، مما جعله يعوّض ذاك الفقد بنسج علاقات صداقات متينة مع جلّ زملائه في الفصل، وفي النهاية كان هو من يحرز المرتبة الأولى بعد إعلان نتائج الامتحانات.

ولمواساة إبراهيم وزملائه التلاميذ المكلومين بهذا الفقد، الذي أطفأ شعلة نشاط لافتة، اقترح مدير المدرسة -الذي لم يكن شخصا آخر سوى والدي العزيز- على هيئة التدريس منح أبناء شهداء حرب الصحراء، جوائز تحفيزية، في حفلة نهاية

كانت تخشى عليّ من الغرق ولسعات حشرات الماء، وربما من أطماع المنحرفين أيضاً، خاصة أنني ولدها الوحيد، فقد كان جلدي أبيض البياض. وبالفعل كدت أغرق أكثر من مرة في البداية، لولا أن انقذني الأكبر مني سناً، فطنة بحذر ولوجه، مع وجود إشاعة تقول إنه مسكون بالجن. كان منزلا واسعا مكونا من طابقين وإحدى عشرة غرفة وثلاثة سراديب مظلمة، اثنان منها بلا نوافذ، وادراج حجرية مثلمة، يقع في حي شعبي بمدينة كركوك يُدعى «برياري»، يقطنه خليط من التركمان والكرد والعرب، أغلبهم نازحون من القرى المجاورة.

ذات يوم، لن يغيب عن ذاكرتي أبداً، فوجئت بمجيء أمي إلى «المسبح»، لمحتها وأنا وسط ما يربو عن أربعين صبيا وشاباً، فغطست إلى فلسطين. ولمّا كان والدي فلاحا نازحا، ضعيف الحال، فقد أشفقت عليه وآجّرت له المنزل بخمسة دنانير في الشهر. وقبل أن ننتقل إليه أتى برجل يدّعي أنه ساحر يستطيع طرد الجن منه، وأخذ ينصحنه فاسكن في غرفه الفائضة أزواجاً نازحين، حديثي الزواج، او مسّن لا تزيد ذريّتهم عن طفلين، مقابل ثلاثة دنانير في الشهر للغرفة الواحدة، وبذلك تحوّل المنزل إلى ما يشبه فندقا او خانا من خانات أيام زمان، يدرّ علينا بما يتناسب مع وظائفنا، كان ذلك عام 1961 وأنا في سن الرابعة.

على مبعدة نحو ميلين عن منزلنا هذا كانت تحيط المدينة، من جهة الشرق، هضاب صخرية قليلة الارتفاع، تنتشر فيها المقالع الحجرية ومعامل الجص. بمرور الوقت كانت مواقع التفجير تتحوّل إلى حفر كبيرة يصل عمق بعضها إلى ستة أو ثمانية أمتار، وما إن يحل موسم الأمطار حتى تمتلئ تلك الحفر وتغدو بركا ماؤها داكنة الخضرة. وحين يحل الصيف يلوذ صبيان الأحياء القريبة بالبركة الأكبر، التي يسمونها، مجازا، بـ«مسبح الفقراء» نكاية بمسابح النوادي الرياضية والاجتماعية التي لا يستطيعون الاشتراك فيها.

بدأت أقصد ذلك «المسبح» المجاني عندما صرت في أواخر عامي الثاني عشر، رفقة صديقي الحميم «نهاد»، الذي أطلق شعلة نشاط لافتة، اقترح مدير المدرسة -الذي لم يكن شخصا آخر سوى والدي العزيز- على هيئة التدريس منح أبناء شهداء حرب الصحراء، جوائز تحفيزية، في حفلة نهاية

اللون الأخضر والفقد

عبدالله مكسور
كاتب من سوريا مقيم في بروكسل

في الربع الأول من عام 1991، لا أذكر تحديداً تاريخاً حقيقياً لذلك، كل ما يتناهى إلى أذنيّ كأنات أصواتٍ ممتزجةٍ برجفةٍ عالية بين الصراخ والبكاء والعويل، أصواتٌ تتعالى في الأزقة القديمة للقرية التي كانت شاهدةً على المجازر العديدة قبل عقد واحد من انطلاق الأصوات.

طبيّةُ الإمام المكان الجغرافي الذي شهدَ ولادتي فأقدمُ مشهدٍ في ذاكرتي الشخصية الجمعية يعودُ إلى مطلع 1985 وصورة جدّي الأول لأبي ممدداً على الخشبة الصمّاء جامداً بعد أن شهدَ السفربلك والمملكة العربية السورية والوجود الفرنسي وعصر الاستقلال والانقلابات المتعددة وصولاً إلى حكم البعث وما تلاه من مصادرةٍ لكل شيء، جدّي لأبي الذي رحّل بصمت عقب المذبحة الكبرى، ظلّ غائباً عن كل شيء منذ أن انقلبت البندقية نحو صدر الشعب وغاب على إثرها الكثير من شباب قريتنا، قصصٌ تتناسخُ من بعضها البعض، واحدةٌ هي صورةُ طبق الأصل للأخرى، تلك القصص ظلت طيّ الكتمان، تتداولها بلغة العيون في المدرسة بين طلّاب أسمه فيجيب: محمد، فيسأل المدرس عن اسم الأب فيقول الطالب: محمد، وإمام دهشة تكرار الاسم بين الولد والوالد يُدرك المعلّمُ أنّ هذا الصبيّ حمل اسم والده دون أن يراه!

ذلك الجيل عاش حاملاً ألم الفقد الذي اختزّلَه بكلمات قليلة: الدولة أخذت أبي!

عشر سنوات تقريباً والغياب يفرض سطوته دون أن نعي لماذا، فآثار الرصاص المزروع عنوة على الجدران كان كفيلاً بالحديث عن أسرار تلك الأيام التي هزّت محافظة حماه وضواحيها وسط سوريا، نمشي بين الخراب الماثل في كل خطوة ونتعلّمُ الصمت بعد أن قضينا سنواتنا الأولى نتعلّمُ الكلام، في دهشة البحث عن سبب للأصوات التي انطلقت في الربع الأول من عام 1991 حين أفرجت الأجهزة الأمنية بعفو رئاسيٍّ عن المسجونين الأبرياء.

الصباحات التي كانت تتشابه فيما بينها بالالجوي، صارت ذلك اليوم تستنفض الفرح من السنة النساء اللواتي ما فتئن يتناقلن الخبر بخروج «أبو الأيهم» أبو الأيهم كان عمي لأبي وبالصدفة حملتْ اسمه قبل الغياب بقليل، ركضتُ أسارع الخطى نحو بيتهم لأرى تجمهر الناس هناك، الدموع في كل عين، سنواتٌ من القهر مضت تفقتها زغاريدُ وأحضانٌ وأسئلةٌ واضحةٌ تنتظرُ إجابات عمياء، وحدها الإجابات عمياء في كل ذلك الوضوح المعقّد، يتهامسون خوفاً ويبكون خوفاً ويبتسمون خوفاً، يتداولون أحداثاً عجافاً في سنوات عجاف، كنتُ أقفُ عند عتبة باب الغرفة الكبيرة أرقب العيون ونتعلّمُ الصمت بعد أن قضينا سنواتنا الأولى نتعلّمُ الكلام، في دهشة البحث عن الضحايا كانوا بيننا، أشباه لا تشبهُ نفسها، العجز عن الفهم تحوّلَ عند وقوفي على العتبة في الغرفة الكبيرة إلى محاولة لطرح الأسئلة على ذاتي، أسئلةٌ صارتْ سجناً كبيراً بعد أن عجزَ المُعتقَل السابق عن تحديد مكان اعتقاله في الشهور الأولى، هذا يعني احتمال سيرنا ذات يوم على شارعٍ أو حديقةٍ نضمُّ تحتها سجناً.

في العاشرة من عمري صرتُ أكرهُ اللونَ الأخضر ومشتقاته بالكامل، صارت الخشية من سيارات الشرطة حين أراها في الشارع هاجساً يقتلني خوفاً من الاعتقال المنسيّ في غياهب السجون، اللونُ الأخضر الذي طالما حاولت التصالح معه ولكني فشلت لأنه ارتبط في وعيي الأول بالفقد وخسارة العمر.

طقوس العنف المدرسي

أحمد برقاوي
كاتب من فلسطين

لم تفلح كل محاولات والدي الودية على حملي على دخول المدرسة، وأمي، مديرة المدرسة المختلطة، رفضت بعد يوم واحد من دخول المدرسة التي تديرها أن أكون تلميذاً فيها بسبب ما أنطوي عليه من عدوانية وشراسة وفوضوية غير قادرة على تحملها أمام المعلمات والتلاميذ. يجد والدي بدا من أن يقودني من يدي عنوة إلى مدرسة البنين وكان والدي صديقاً لمدير المدرسة ومعلميها، ويكنون له كل احترام و تقدير.

دخلت الصف بصدريتي السوداء صاغراً كذنب ماسور في قفص حديدي. والمعلم الشركسي الأشقر «برجس» يتمتم مع والدي مبتسما، غاب والدي وأغلق المعلم باب الصف وراح يعلمنا. لم أنتبه إليه، وبقائي في المقعد دون حركة ضرب من المستحيل.

تقدم برجس مني ولطمني على خدي، في لحظة كدت أفقد وعيي، ورحت أصرخ في وجهه، وأشتمه، وأنا أجهش بالبكاء محاولا الخروج من الصف، وقف المعلم مندهشا أمام مشهد ربما لم يألفه خلال سنيّ تعليمه، فهو يسمع للتلميذ وهو يشتم أمه وأباه ويستخدم جمل الشتائم المعهودة آنذاك، كنت أريد الخروج من الصف بأيّ وسيلة لإكمل المعركة بالحجارة، وعندما رآني بهذا الهياج والعصبية وفي حالة هي أشبه بالاختناق ودموعي على أشدها، فتح باب الصف وانتحى جانبا، والتلاميذ ينظرون بصمت إلى المشهد.

وخرجت، وما هي إلا دقائق حتى كانت الحجارة تنهال على باب الصف وشبابيكه، ويبدو أن المدير قد بعث أحد التلاميذ إلى الإعدادية المجاورة حيث يدرّس والدي، كي يعالج الحال، رأيت والدي يتقدم إليّ بهدوئه الشديد، آخذني بين أحضانه وراح يقبلني، ويواسيني، وأنا أصرخ باكيا «ضربني، ضربني» وهو يمسح بيديه دموعي.

أمسكني من يدي وقادني إلى البيت وحين رأتني المربية المحجوبة «ام صالح» على هذا النحو، وهي التي لا تكف عن أن تشكوني لأمي، ولكنها تحنني جدا وأنا أحبها، احتضنني وهي تردد «خير يا حبيبي خير»، عادت أمي من المدرسة وراتني في البيت لم أرد على سؤال أمي لماذا أنا في البيت. لكنها وقت رات علائم الغضب في وجهي وآثار البكاء عليه احتضنني هي الأخرى.

في صباح اليوم التالي: حاولت أمي أن تلبسني لباس المدرسة وأنا أبدي الرفض، لكنها بكل حنو قالت: ساخذك معي إلى المدرسة، وتجلس إلى جانبي في الإدارة، ذهبت ورفضت أن أدخل الصف، بعد أيام ما كان من أمي إلا أن أصبحت معلمة الصف الأول، ويبدو بأنها لم تجد إلا حلا كهذا لمشكلتي مع المدرسة. ومضت الأيام وأنا في المقعد أستمع إلى دروس أمي معلمة الصف الأول، مدلا من الجميع، مهابا من التلاميذ، معتدا بقوتي، شاعراً بحريتي.

في نهاية العام كنت أقف في باحة المدرسة في حفل توزيع الجلاءات، وقد حصلت على مرتبة الأول في الصف، لا أدري الآن طبعاً هل نلت مرتبة الأول لأنّي ابن المديرة أم لأنّي استحق هذه المرتبة عن جدارة.

في الصف الثاني انفصلت عن أمي وتعلقت بمعلمتي الدمشقية الجميلة «بهية ميداني» التي لم أنس اسمها ولن...

سنوات ست قضيتها في المدرسة على هذا المنوال، لن كاره للصف، و محبّ له، دون أن تسري عليّ طقوس العنف المدرسي التي كانت تتم أمامي على تلاميذ المدرسة القرويين، حيث لم تكن العصا لتفارق يد المديرة وأيدي المعلمات. ولم تتغير أغلب ملاحظات المدرسات على جلائي آخر العام «ذكي، كثير الحركة والكلام في الصف»، ولم تتغير أيضاً مرتبتي في نهاية كل عام والتي تراوحت بين الأولى والثالثة. إني وأنا أستعيد هذه التجربة بعين العارف الآن للشروط التي تكون الشخصية في سنوات الطفولة الأولى وبالعلاقة مع الجبلة أدرك أساس ذاتي في مساراها الطويل.

تخطيط: فادي يازجي

عصفور الحلم

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق تقيم في عمان

مع أوّل كتاب لمسته يداي -غير كتب المدرسة- فعمت أنفي رائحة التبغ الخام ممتزجة برائحة الكتب الصفراء، الورق الهشّ والطباعة الحجرية، مزيج من روائح كانت تفور من نبع سريّ في حجرة معتمة تسلّلت إليها ذات ظهيرة صيف أنا الصبية بنت التاسعة التي تتصبّب عرقا وترتعش وهي تعبر الغرفة إلى كشوفها الأولى لتمزق أوّل الحجب..

مفارقة جعلتني وأنا صبية أتمزق بين أشواق أرضية ونزوع سماوي، فدخلت ظلال الأفكار وترحلت في خفاء الحلم دون أن أفقد ظلي.. أبي كان ماركسيا حالما باليوتوبيا والعدالة مسحورا -شأنه شأن الكثيرين- بالنظرية التي فتنتهم وعودها الفردوسية.

كان وصحبه يتداولون كتبا تعذر عليّ -أنا ابنة التاسعة- فهم مضامينها، وكانوا يغرونني بقراءتها فكنت أقلبها بعجالة وأهجرها إلى أحلامي وقصصي الطفولية التي كنت أكتبها وأرسم أحداثها في الصفحة المقابلة وأتمتع بخلق شخصيات لا وجود لها في عالم الكبار المضجر..

مقابل ضلال أبي الماركسي -كما كان يقال- كان زوج خالتي تاجر التبغ المتديّن يحظى باحترام العامة ونفور المتعلمين والمثقفين، ومقابل كتب أبي التي تتخطى فضاء المقدس إلى مديات الحرية، كان زوج خالتي يقيم أذكارا دينية، ويؤثر الذكر دراويش ومشرّدون ومتصوّفة ومشايخ وجياع ولصوص وكان يرقي المرضى والمصروعين ويعوّذ الأطفال بالأحجبة..

ذات ظهيرة والكل نيام في قيلولة الصيف سقط عصفور صغير من عشّه في نخلة تتوسط فناء بيت الخالة، ودخل نافذة حجرة كانوا يحرمون علينا ولوجها نحن البنات الصغيرات، وهي مخزن لغلة التبغ التي ياتون بها من بلدة راوندوز في جبال الشمال، رأيت حزما كبيرة من أوراق التبغ المجففة بعروقها الخشنة معلقة على الجدران، التبغ الناعم كان معبأ في أكياس الجوت الكبيرة، سلال أخرى كانت ترصّ فيها كميات من التبغ الخشن وعلى الجدار المقابل للباب كانت عشرات الدفوف التي تستخدم في الطقوس الدينية معلقة هناك. قفز العصفور ما بين تلال التبغ وجدار الدفوف ولاحقته وهو يقف ذراعي بالدف وسقط على الأرض محدثا ضجة مجلجلة حسب ما أوهمني خوفي، وطار العصفور من النافذة. ولبثت هناك سجينة مغامرتي وفضولي، رأيت قبالتي خزانة كتب، كانت مجمع الغوايات كلها، ولهذا حظروا على البنات دخول الغرفة، مددت يدي إلى أكبر الكتب حجما، كان كتابا أصفر الغلاف ليلة وليلة»، قرأت الاسم وأنا في رعبي أتخيل حشدا من الليالي السود تضغط على قلبي الراعش، فيسقط في الظلمات. ألف ليلة من الليل الذي كان يرعبني باشباحه وغيلانه التي كنت أكتبها وأرسم أحداثها في الصفحة المقابلة وأتمتع بخلق شخصيات لا وجود لها في عالم الكبار المضجر..

تصفحت الكتاب الذي تمزّقت حافات أوراقه الهشة، وتطايرت رائحة التبغ ورائحة الورق العتيق وعبق الظلمة ورائحة الجلد المتسود على أطراف الدفوف في صنع جوّ من الغرابة للصبية الخائفة، ولكي أتجاوز خوفي المركّب من دخول الغرفة واكتشاف الكنز المحرّم خطفت ورقة تبغ ومضغتها فلذعتني مذاقها المرّ الحارق والتهبت شفتاي..

في هذه البرهة الخارجة من سياق زمن الطفولة، تعرفت إلى لذّة المحرّم المجهول وأنا أقلب صفحات سفر الحكايات والج باب الخيال الجامح في مطاردتي لطائر صغير وانغمر في لجج من روائح متنافرة «عبق التبغ المرّ وشذى ماء الورد ورائحة الجلد والخشب وأوراق الكتب العتيقة وغيارها الشهيّ ورائحة البسط الصوفية المنقوشة بموتيفات سومرية وبدوية».

قرات وتسمرت امام احداث الحكاية- الإطار لألف ليلة ودعفني فضولي لمواصلة القراءة وملاحقة مصير الفتاة التي اختارت المجازفة بحياتها لتكشف سر الملك الفاتك قاتل النساء وترجئ موتها وموت البنات المضحّى بهنّ على مذبح شهوات ملك عاجز..

اصابني الدوار وانا اتوغل في النص ورائحة التبغ تفغر حواسي. كنت قد شهدت ليلة الأذكار الصوفية بالأمس وأرهقت السمع للأناشيد الدينية ينشدها مغنّ ضرير مع فرقته على إيقاع نقر الدفوف، كان الدراويش ينودون برؤوسهم ويتحركون على الإيقاع المتسارع ويهمهمون بكلمات مبهمة، حتى إذا تعالى صوت المنشد بالمدائح النبوية وهاجت مشاعر المنصتين وقفت مجموعة منهم وتحركت الأجساد النحيلة حركات مترنّحة وتمايلت على وقع النقر الرتيب.

في تلك اللحظة كانت صورة العالم قد تغيرت في وجدان ابنة التاسعة وتحدد مصير الكاتبة ووعيها وبدات تتشكل بذور غدها الموصول إلى عالم الخيال بعد اكتشاف كتاب ألف ليلة ومتعة السماع، وامتزجت الحكاية بالموسيقى وسحر الكلمات وارتبطت معرفة خفايا النساء والجنس وحكايات العشق العجيبة بروائح التبغ ونقر الدفوف واشذاء ماء الورد والزعفران، وكلما ذكر كتاب الف ليلة وليلة فغمت انفي تلك الرائحة واستعدت حواسي غبطة الكشف الأول لمعارفي الجديدة عن البشر والسلطة والمكائد وهشاشة الحياة الانسانية.

ولبثت ماخوذة بغواية القصّ وشخصية القاصة البارعة شهرزاد وخصوبة مخيلتها، حتى كتبت عنها فيما بعد أقصوصة معاصرة بعنوان «ما لم يقله الرواة» وظهرت في كتاب حمل اسم القصة ذاتها..

الأفغاني الذي ورطني

إبراهيم الجبين
كاتب من سوريا

اعتدت في سنوات مبكرة، قضاء الليل منهمكا في الرسم، فإذا طلع الصباح، ذهبت إلى المدرسة الابتدائية من غير نوم. ولم أكن أعيش حينها عزلة كما يمكن أن يتخيل المرء، فالليل كان مليئا بضيوف متجددين، لم يكن أيّ واحد منهم كائنا أو شاعرا أو روائيا، كانوا جميعا رسامين.

كان رافيينتي اكثرهم حضورا، تدربت معه على تخطيطاته، ورسمت مثله جسد الإنسان بتشريح دقيق مبكر. وما يخفيه الجلد والأعين التي تنظر في الفراغ. وفي أنحاء رأس لاسكاييليتا والوجوه الثلاثة الذي أعطاه للوحة، لم أعرف رافيينتي من القراءة، بل من الصور، والصورة وحدها كانت نافذة الإدراك الكلي للآخرين، فكان جوفاني براغوليني، صاحب أشهر صورة للطفل الباكي يجعلني أعيد رسم لوحته مرارا كي أتمرّن على اللون. ولم أستغرب بعد سنوات حين عرفت أن تلك اللوحة نجت دوما وحدها، من كل حريق شبّ في المكان الذي تواجدت فيه.

سلفادور دالي كان العين التي أرى من خلالها حرية الخطأ، فلا بأس بتحريف الأجسام، وتغيير أبعادها، وتعليق الساعات على الأغصان ودفء الأدراج من خواصر النساء، وكانت تستقر على طاولتي جرة العطر التي انتج منها فيما بعد ذلك الوقت، عدد قليل جدا في أنحاء العالم، جرة العطر المصنوعة من لوحة دالي. الأنف والشفتان. دفعت مصروفي الشخصي كله وقتها من أجل شرائها. فقط هي أبقى أرى توقيع دالي على زاوية مخفية منها.

كان يعيش معي في غرفتي ببغاء بلون ياقوتي، وسلحفاة وسمك ذهبي صغير ونباتات متسلقة تتعرش على المكتبة التي لم يكن فيها سوى كاتالوغات الفنانين الكبار، التي كنت أجمعها بعناية من كل مكان، وكنت قد عجزت حينها عن تعليم الببغاء النطق، رغم محاولاتي العديدة، حتى أنني كنت أحضر لها الأفلام الهندية وأضعها بجوارها، كي يسمع لغة أرضه الأم. لكن عبثا. كانت تصر على الصمت. وهكذا كانت حياتي تسير نحو مسار واضح، لا مكان فيه للغة غير لغة الصورة.

وفي ليلة من تلك الليالي، شارف لون الفجر البرتقالي على الانتشار في السواد. كنت مشغولا بالحديث مع فنان عربي لطالما سحرني شغله، وقد أن أتمكن من التمرّن على رسم أعماله في يوم من الأيام. إنه ابن مقلة. لم أعرف ابن مقلة من الثقافة، لكني عرفته من الخط الرديء. فقد كان خطّي في الصف الأول والثاني فوضويا. حتى أنني شعرت بالنقص أمام رفاقي من الأطفال، وبتّ أخجل من كتابة الكلمات في الدروس. لولا أن أحضرت لي أمّي مجموعة من كتب الخط العربي القديم، وطلب مني أن أقلد ما فيها. وهكذا تعرفت إلى هاشم البغدادي، وكتبه التدريبية الثمينة "قواعد الخط العربي"، ومشيت خلفه في الألفات والواوات والياءات. واستغرقت مع غياب شاكر جودي في "ميزان الخط العربي". حتى صرت أكتب الكلام العادي بخط الثلث. وحتى وصلت إلى ابن مقلة، كنت قد عبرت مدارس كثيرة في الخط لكن تلك الخطوط كانت بالنسبة إليّ صوراً أيضا، ولم تكن تقول شيئا.

شق صمت الليل، صوت صراخ من آخر الشارع، خرجت إلى شرفة غرفتي، لم أستطع رؤية شيء في ضوء الفجر الشحيح. تكرّر الصراخ. لم يكن مخيفاً، كان هو الخائف. كلمات بلغة لم أفهمها. تعود لتتكرر ثم تصمت ثم تتكرر.

كان صاحب الصوت مصراً على إرسال تلك الاستغاثات. لم أشعر أنه جريح أو يتعرض لخطر ما، غير أنه كان يبث برقية تشبه إشارات مورس.

دقائق استغرقتها الشمس، لتنير الحارة الهابطة نحو جهة الغرب الرملية، حيث يقف رجل بيزة برتقالية، قبل أن تخترع أميركا معاقل غوانتانامو في الجزيرة الكوبية، وقبل أن تفرض الزيّ الموحد على سجنائها فيه.

عرفت من شهرزاد في الكتاب، ما لم أكن أعرفه عن القراءة، وذهبت معها إلى الأماكن التي خرجت منها خطوط هاشم البغدادي، وغرقت في البحر مع السندباد وطرت على بساط الريح. وعرفت الكثير عن الجسد، والكثير عن الحب، والكثير عن الشعر.

والأهم من هذا كله، أني تعرفت من خلال ذلك الصندوق على لغة أخرى غير لغة الصورة التي الفتها في الطفولة والخط العربي. لغة الكتابة.

سرعان ما انتقلت إلى الكتاب الثاني من كتب الصندوق، ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس، وهكذا، حتى انتهيت الكتب. لا شك أنها كانت أكبر من عمر إدراكي، وبسببها أهملت الرسم وعالم الطيور والأحياء، لكنها وزّطتني في البحث عن السر الذي ما زلت حتى اللحظة لم أعثر عليه.

شيئاً لا يجب أن يكون في تلك الحاوية. وحين مللّ من محاولة تنبيهي، دون أن يكون لديّ أيّ ردّ فعل، غادر المكان مع عربته الصغيرة ومكنسته الطويلة.

انتظرت دقائق لأطمئن إلى ابتعاده، ثم نزلت ادراج البيت إلى الشارع، ثم إلى حيث كان يشير. وهناك عثرت على صندوق خشبي ملىء بالكتب المجلدة تجليداً فاخراً، ظن الرجل أنها مصاحف، لذلك خشّي أن يعاقب بالحرق في جهنم لأن أحداً ما رماها في القمامة. لكن تلك الكتب لم تكن مصاحف.

حملت الصندوق بصعوبة، كان ثقيلاً جداً، وهرعت إلى غرفتي. كان أول كتاب من تلك الكتب "ألف ليلة وليلة". بطبعته القديمة القاهرية التي عرفت بعد سنوات أنها طبعة ممنوعة، تم إحراقها في مشهد فظيع شارك فيه الجميع.

كتاب شهرزاد ذاك. كان جزءاً من أجزاء عديدة، وكان عدد صفحاته يتجاوز الألف كتب أحدهم على أول صفحة منه "قرات هذه الكتب، وهي غير صالحة للقراءة". اي أنه رماها لأنه رأى فيها ما لم يسرّه. كتب تلك العبارة على جميع الكتب الموجودة في الصندوق، كان واضحاً أنه متديّن وأنه لن يعجب بمحتوى تلك الكتب.

كانت تلك الإشارة كافية لي، كي تغريني بالبحث عمّا لم يرض صاحب الكتب، وعمّا أثار رعب ذلك الأفغاني عامل النظافة البرتقالي الذي يرى المقدّس من شكله لا من مضمونه.

عرفت من شهرزاد في الكتاب، ما لم أكن أعرفه عن القراءة، وذهبت معها إلى الأماكن التي خرجت منها خطوط هاشم البغدادي، وغرقت في البحر مع السندباد وطرت على بساط الريح. وعرفت الكثير عن الجسد، والكثير عن الحب، والكثير عن الشعر.

والأهم من هذا كله، أني تعرفت من خلال ذلك الصندوق على لغة أخرى غير لغة الصورة التي الفتها في الطفولة والخط العربي. لغة الكتابة.

فتغيرت بنيته الذهنية، وبدّل لغة الرسالة التي كان يقولها، وبدلاً من الكلمات العجيبة الغريبة آخذ ينظر إليّ ويقول "في شك أنها كانت أكبر من عمر إدراكي، وبسببها أهملت الرسم وعالم الطيور والأحياء، لكنها وزّطتني في البحث عن السر الذي ما زلت حتى اللحظة لم أعثر عليه.

لوحة: فادي يازجي

تلك الظهيرة القائظة

محمد حياوي
كاتب من العراق مقيم في هولندا

حدث الأمر معي عندما كنت في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من العمر، لا أذكر بالضبط كنا نلعب، أنا وأصحابي «الطرّة»، وهي لعبة خاصّة بالصبيان تتكون من عصا قصيرة مخروطية الشكل وأخرى طويلة، عندما ضربت طرف العصا الصغيرة بخفة، وحين حلّقت راقصة في الهواء أطرتها بضربة قوية من العصا الكبيرة، فرسمت قوساً يعلو ويهبط في الفضاء قبل أن تستقر فوق أحد التلال. فاستشرف أصحابي التل الذي انطرّ وسط حلقاته قرص الشمس عند المغيب، وحين القينا نظرة سريعة صوب المدينة أدركنا مدى تغلغل النار في باغتنا من الخلف، فعاد الجميع ادراجهم بعد أن يئسوا من العثور على العصا وبقيت وحيداً، تذكّرت العصا الصغيرة، كانت صقيلة ومتوازنة بدقة، وكان بإمكاني تخيّل أمّي وهي تشاجر مع الصبية الذين تحمّلهم أوزار حماقاتي، وعلى الرغم من ذلك لم يكن بمقدوري التفريط بالعصا التي ستفسدها الرطوبة لو بقيت في العراء.

تسلّقت التل بتؤدة، وراحت أشواك شجيرات الخروب الشائكة تتشبث بثوبي، حول المدينة الصغيرة التي المستني النخل المتراصة لي سفح التل الهابط نحو بيت رشيدة المجنونة الذي طالما سمعت بأن أفاعي أم سليمان وبنات أوى تحرسه في الليل، وكان متطرفاً ومعزولاً لم يصل إليه أحد من قبل، إلا أنه لم يجرؤ أحد على الدخول إليه، لكن هاجس العثور على عصاي تلبسني، فبدأت الانحدار نحو البيت القصي. كنت قد رأيتها في الصباح تحمل سلّة من الخوص ورائحة السمك تنساب خلفها، وكل ما أتذكره تلك النظرة العدائية الحادّة التي كانت تطلقها من عينيها الصارمتين، وفمها العريض. تقدمت بتوجس. كان خشخشة الخروب تفضح خطواتي. وكان السياج القصبي واهناً لدرجة أنني اخترقته بكامل جسدي قبل أن أتعثر بسطح متكفئ فيشبه العتمة، وما إن خطوت في الباحة حتى صفعتني سبحة مجففة كانت معلّقة بحبل، كدت أصرخ رعباً، وتحسستها بيدي، كانت ضمن قلادة طويلة تقطع فضاء الحوش، وما إن استدرت حتى لفحت وجهي أنفاسها المتلهبة وغرّا حدقتيّ ضوء مباغت، وفي لحظة خاطفة طالعني وجهها مشتعلا بتحت ضوء الفانوس المعلّق بيدها، كانت تسبل جفنيها وتدلي شفتها السفلى كاشفة عن أسنان بيض، هذا ما لمحته في تلك اللحظة الرهيبة قبل أن أطلق صرختي الأخيرة في اليوم التالي دفعني الفضول القاتل ولهفتي بالعثور على عصاي للتسلل باتجاه علي مدار حياتها حتى وصلت إلى سن الياس بطريقة التقاعد النسائية المعروفة..

ماء وقصب وحريق ذاكرة طفل

وارد بدر السالم
كاتب من العراق

هذا الصغير «أنا» القديم بعمر خمسة أصياف جنوبية كما اعتقد. وهي صورة جيدة بقيت على قيد الحياة بسبب لا أعرفه..!

هذا الصغيرُ الذي أصبحَ فيما بعد (أنا) الماثل أمامكم بلقطة محنّطة تستوجبها لحظة التصوير أمام الصندوق الأسود السحري الذي يلعب في أحشائه رجل ساحر يقول للشيء كُنْ فيكون.. ولهذا (كنتُ) في تلك اللحظة الضعيفة التي انقطعت فيها الأنفاس من أجل أن تبقى إلى خمسين سنة قادمة..!

يومها كانت الدنيا بيضاء مثل بطة النهر وزرقاء مثل الله وحلوة كقرص العسل.

تقول القصة المتشابهة:

ولدتني أمي في بيت من القصب يدور النهر حوله من أربع جهات وتمسحه شمس النهار من الشروق إلى المغيب، وتلعب العصافيرُ والبلابل والسنونوات على أطرافه العالية.

ولدت في ليلة حارة تزاحمُ فيها البقُّ والحرمس وتوقفَ فيها الهواء عن الحركة. وكان الصبح وقتها جافاً وخانقاً بالرغم من وجودنا في جزُر الاهوار التي لا يكف الماء الجاري عنها..

تفتحتُ عيناي على الطبيعة البدائية في تشكيلها العفوي الخلاب، وما تزال تلك اللوحة المرسومة والموشومة في مخيلتي إلى الآن. حيث كانت الحياة عبارة عن معزوفة ناي من الصباح إلى المساء، ورقصة بالابل تحت سعف النخيل وابوذية ساحرة تختلج في حنجرة عاشقٍ أمضّه العشق حتى صار عندليباً شجياً..

لغة النايات الأسرة تشفُّ لي طفولة تفيضُ بالدمع والعشق معاً..

قيل إنني صرختُ بين القابلة القروية وهذا من طبيعة الأجنّة الخارجين إلى الحياة، فقد كانت صفعتها قويّة على ظهري، ويدها غليظة مشقّقة تختزنُ طبائعها الكثير من دماء الأرحام الطرية..

لكن قيل إن بكائي استمر طويلاً على غير العادة، وقيل إن القابلة انتبهت إلى هذا الزعيق من جنين عمره دقائق فاختزنني إلى صدرها والقمتني خُلمتها لتحل بي طمأنينة غريبة: فنسماء القرية أخواتٌ متضامناتٌ وحُلْمَهُنّ لأفواهنا الصغيرة في كل الأوقات.

وهذه أول حلمة في حياتي قبل حُلمة أمي..!

كعادة الريفيين أطلق والدي بعض الإطلاقات النارية، فسّرها اختفاءً بنجاة امي من عسر الولادة القروية، غير أني أدرك الآن بعد هذا العمر إن إطلاقاته عبّرت عن فرح عشائري بالمولود الذكر، ولا شان لنجاة امي بحادثٍ، ولادتي، فهي رحمٌ تتلقى وتنجب وأثّرت في بعمق.

امرأة النور وغلام زمان

سعيد الكفراوي
كاتب من مصر

ما الذي فاتني؟ الطفولة؟ إنها أكذوبة الشعر.

لما كبرت وقرات هذا الكلام، وتاكدت يومها أنه محتاج لمراجعة، لأنني عرفت في لحظة زمن، وكنت يومها بين الصحو والمنام، أن الطفل الحقيقي لا يعاني من هذا الوهم، وأن الطفل أب الرجل، وكان عليّ يومها أن أقطع الزمن وأعود إلى هناك.

جميزة تمد فروعها للماء، أمّ وأنا ابنها.

وقت بارد من يناير. ونهر صغير يحمل جثث الغرقى، رجالا ونساء، وفقر كريه يشبه تلك الأيام من أربعينات قرن مضى.

أضيق، وأصرخ وأنا كبير: ارفعوا عن صدري ثقل الأيام وما فات، فأنا غدوت كهلاً، ولا قدرة على الحمول.

والطفل الذي حمّلوه السنين جاء إلى الدنيا بعد موت حاشد، لذا اطلقوا عليه في الدار «ابن موت».

أطفال ماتوا تباعًا، موتًا عجيبًا، وصغار السن. حصدهم الموت مثل سنابل الخيار، وقوارتهم أم محزونة كانت تحمل اسم أمّ الذين ماتوا، وتشد رأسها بطرف طرحة سوداء وتطلق ذلك العديد حتى رزقها الله بولد حمل اسمي، وملامحي، وحظي من الدنيا.

أمّ ولا على الأمهات. سماحة وطيبة وجدعنة مئة رجل.

وارت في التراب سبعة صبيان، وبنات ثلاثا، وأنت جثت ست الخاتم. من يومها عرفت اللعنة، وغيروا عتبة الدار بدار أخرى، خافين من السحر، وحسد الجارة، واشتعلت التعازيم والرقى، سخطوني بنتًا، والبسوني ثوب البنات، وحكموا على أمي أن تغادر الدار دار ثانية، والبسوني ثوب البنات، وأطلقوا عليّ اسم «سعيدة». اتممت عامين وأنا في شكل بنت حتى جاءت صاحبة لأمي ومدت يدها دون أن تحسب حسابًا ولامست شيئي الصغير، عندها صرخت الجارة: يا نهار أسود، البنت لها بتاع.

ضجت الدار بالضحك، وانهتك سري، وتحولت بقدرة قادر من سعيدة لسعيد، ومن بنت بخصلة شعر سوداء، ولمعة عين ربانية، وبسمة تنور مثل شمس الصباح إلى ولد ذكر، فصبح اللسان، خفيف الدم.

كنت أجلس على شجرة أبامها، شجرة جميز عتيقة أرتل آيات الذكر الحكيم، وكانت جدتي «هانم» بسحبها الصوت حتى الجميزة فتصبح بأعلى صوتها: - لبنى يقرأ المصحف.

ثم تسحبني حتى الغيطان وتلقنني أول المعارف، وأول الحكم، وأسمع صوتها مثل جريان الماء: لولا النور ما كان الظلام، هي حكمة ربك نعرف الحلو من الوحش، وتحدق في عيني وتقول: الرحمة بين الناس عدل والحياة أختها الموت، وتواصل: اعتمد على فطرتك في فهم الأمور والزرع في الأجاويد يشيل بعضه.

نذرت أمي لكي تبعد عني الشر عني، وحتى لا ألحق بأخواتي فرضت على الدار نذرها لسيدي «إبراهيم الدسوقي» ذلك الذي أمر التمساح أن يعبد الغلام الذي خطفه من شاطئ بحر النيل، فأعاده.

وهكذا في كل مولد يأخذونني للزيارة والتبريك عند سيدي صاحب المولد الشهير بالزحمة والبهجة.

كان أبامها عندي 8 سنين، أسير يدي في يد أمي، وزحمة المولد مثل يوم الحشر. جلابيب بلدي وجلابيب أفرنجي، طواقي وعمم وشيالان وتلافيع وأناشيد ومواويل تصدح بالورد والشفاعة، ونسوة مكبوسات بالرحمة ورائحة الشهوة تكبس الأنفاس، والأصوات تاتي من بعيد:

مدد يا دسوقي مدد.. مدد على طول المدد.

لا الحق بأخواتي فرضت على الدار نذرها لسيدي «إبراهيم الدسوقي» ذلك الذي أمر التمساح أن يعيد الغلام الذي خطفه من شاطئ بحر النيل، فأعاده.

اتفلتّ من كف عمي؟

رأيت نفسي في ساحة بلا آخ، ولعل المولد ليس بدليل، وأنا ضائع في زحمة الخلق مثل غريب، والخيام شبه واحدة، بكيت عجزي وقلة حيلتي، والميدان يضحك بالموسيقى، وصخب الأصوات، والكهارب تحيل الليل إلى نهار.

كانتني أطل على حلم، أو أتي من الجنة!

جاء رجل علي صدر وصاح في الجميع: - قرب قرب.. شاهد وشوف.. مرة واحدة في حياتك.. ست النور.. ست البهجة.. ملها سن مثيل.. ست بتنور لوحدها.. بتنور ببركة الدسوقي.

شدني الكلام وقربت، ورأيتها تخرج من وراء الستارة كمالك، مثل بدر 14، كان عريها حرًا، وبدنها الأبيض مثل فلقة القمر، وضع الرجل المصابيح على جسدها فانارت الدنيا بنور تاهت مني مصادره، كانها معجزة وأنا أخرج من متاهة الوقت واتبع حتى خط آخر العمر، واسمع صدح الموسيقى حتى اصبحت هذا الكهل أشيب الشعر الذي قرأ يومًا عن الرجل الذي اقترح على نفسه مهمة رسم العالم فرسم الفضاء بصور الممالك والجبال والخلجان والسفن والأسماك والمنازل والأدوات والكواكب والخيول والنمور، وقبل أن يقضي نحبه اكتشف الرجل متاهة الخطوط الصبور التي دأب رسمها إنما كان هي وجهه.

نحت: بشرى مصطفى

موت الأب

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

توفي والدي شابا. فجاة، وبلا مقدمات، وجدتني أقف وحيدا في العراء. لا أعني بالوحدة الشعور المدمر بالافتقاد وعدم وجود اقرباء محيطين. هؤلاء كانوا كثيرين. ثمة أقرباء كانوا يحيطون بي إحاطة السوار بالمعصم كما يقولون. أعني بالوحدة ما يمكن أن أدعوه اليوم بـ«التوحد» بدلالتيه النفسية والميتافيزيقية.

كان هذا التوحد المفجع بإحساس الرعب والعزلة وفقدان بوصلة الاتجاه، طاغيا. وعندما أنظر اليوم بعين النوستالجيا، إلى ذلك الماضي البعيد، محاولا استعادة ما حدث، تلمع على شبكة ذاكرتي بروق تشتعل هنا وتخمد هناك. ووراء هذه الالتماعات يرتفع صوت عازف كمان يقف في حديقة منزلنا بحي بستان الرئيس وسط دمشق. وأما المستمعون المنصتون بلا هوادة، لذلك العزف المبكر، فقد كانوا ثلاثة: أنا ووالدتي وعصفور في قفص يتدلى من سلك معلق وسط الحديقة.

العازف هو والدي. وكان عزف الكمان هوايته التي يمارسها كطقس يومي قبل الذهاب إلى عمله في وزارة «الاقتصاد الوطني» باعتباره خبيرا درس علم الإحصاء في باريس وكلف من قبل الأمم المتحدة بتاسيس معهد خاص به في بغداد.

كان العصفور ينصت للعزف ويردّ على ليديهم، بين الفكر والأدب، سبقه تعلقي المبكر بادب تشيخوف ودوستويفسكي وتولستوي. وهناك عبارة لتشيخوف كنت قد سجلتها في دفتر صغير وأنا في سن المراهقة، ولم أستطع مقاومة إغراء حفظها عن ظهر قلب، إذ يقول تشيخوف «في الطبيعة تتحول البرقة المثيرة للاشمئزاز إلى فراشة جميلة. ولكن عندما يتعلق الأمر بالكائنات البشرية فإن العملية تجري باتجاه معاكس: الفراشة الجميلة تستحيل إلى برقة مثيرة للاشمئزاز».

وفي وقت لاحق سجلت في دفتر مذكرات، التعليق التالي «إذا كان تشيخوف قد عبّر عن ماساة النوع البشري على هذا النحو المثير للخجل والرثاء، فإن دوستويفسكي، أحد أبناء عمومته الذي وصلت حساسيته تجاه الأشياء إلى حد الهستيريا والجنون لا يتردد في الإمساك بالمفتاح وإدارته في القفل ليكتشف الأعماق دفعة واحدة. بل إن هذا الملتحي الروسي المتشبه بالأنبياء يطلب مني في إحدى رواياته، أنا القارئ اليائس، أن أقوم بتجربة بسيطة: أن أمطر ذلك الكائن البشري بالنعيم وأن أغرقه في بحر من السعادة، وأن أمنحه الرفاه الاقتصادي بحيث لا يكون لديه ما يفعله سوى النوم والتهام الحلوى والانغماس في التناسل حفاظا على النوع. وعند ذلك يتنبأ دوستويفسكي أن ذلك الكائن لا بد أن يبادر آنذاك، انطلاقا من الجسود والرغبة في المناكدة إلى ارتكاب حماقة قذرة يعرّض فيها حلواه للخطر. بل إنه يلقي بنفسه عن عمد في تهلكة الرغبة بالحصول على أشد القاذورات إيذاء، وعلى أشد المكاسب الاقتصادية خواء من المعنى، فقط من أجل أن يفسد عقله بهذا العنصر الخيالي المهلك!».

وفي صفحة أخرى من المذكّرات سجّلت الكلمات التالية «عندما أصبح صديقي الدمشقي الرائع الذي كان يشبع راسي بالكلام عن ضرورة الانسجام بين السلوك والعقيدة، مسؤولا يحتفي بالمسؤولين الكبار الآكلين لحوم شعوبهم أشبه بحامل المنشفة في حمام تركي، أدركت أن البهلول الذي عرفته قد تحول كالحرباء المدربة إلى بهلوان نموذجي.

ولكن صديقي يصرّ على أن ولاءه للمبادئ ثابت لا يتغير، وأنه يدرك أن الانهيار الذي وصلت إليه جمهورية العرابين والعيارين والشطار والملصوص لا يمكن الدفاع عنه بأيّ حال.. ولكن ما العمل؟».

ومقابل هذا الاعتراف البسيط والخطير يصر على الدعوة إلى تفهم ظرفه الوجودي الحرج. فهو على حد تعبير أحد الفلاسفة أشبه براكب منطاد طائر لا يشعر أنه يصعد في السماء وإنما هو يرى الأرض تغور وتغوص تحته باستمرار.

هذا الشّعور الطاغي بالعزلة عبّر عن نفسه خلال سنوات المراهقة بالذهاب دوريا إلى «المكتبة الظاهرية» مشيا على الأقدام، والإدمان على مطالعة ما تحتوي عليه من كنوز. آنذاك لم يكن يُسمح باستعارة الكتاب وإخراجه خارج المكتبة. ولهذا صار المكوث فيها ساعات طويلة هو في حقيقته بمثابة استبدال للحياة كما يمارسها الأولاد والشبان من جيلي، بحياة أخرى تملأ فراغ العزلة عن العالم باستمرار.

ولكن الإحساس بالعزلة لم يلبث أن تحول عندي إلى شعور مسيطر بالعبث، وبالطبع لم تكن هذه المفردات متاصلة في نفسي قبل اطلاعي على الفكر الفلسفي. وآذكر أن كيركغارد وفلسفته الوجودية المعابدة لهيغل كان لها أثرها المبكر في تكويني المعرفي. وكانت قراءاتي لمختارات مُسْتلة من كتابه (إما / أو) بجزّأيه متعة حقيقية. فقد أعجبت بمناهضته النقدية للهيغلية التي كانت تزعم أنها تملك مفاتيح الجواب على كل تساؤل فلسفي. كما افتتنت بالدور الذي تلعبه الإرادة في فكره، فضلا عن نقده لتفاؤل هيغل التاريخي.

وبهذا الإطار الفكري تمكّنت في وقت لاحق من الإحاطة بفكر نيتشه كمفكر حداثي بامتياز. والحال أن إعجابي بأعمال كيركغارد وشوبنهاور ونيتشه لا يعود فقط إلى الدور المركزي الذي يلعبه مفهوم الإرادة في فكرهم، بل يعود فضلا عن ذلك إلى كونهم أدباء مبدعين إذا ما نظر إلى أعمالهم من منظور أدبي صرف.

كما أن الإعجاب بهذا التزاوج المفهومي لديهم، بين الفكر والأدب، سبقه تعلقي المبكر بادب تشيخوف ودوستويفسكي وتولستوي. وهناك عبارة لتشيخوف كنت قد سجلتها في دفتر صغير وأنا في سن المراهقة، ولم أستطع مقاومة إغراء حفظها عن ظهر قلب، إذ يقول تشيخوف «في الطبيعة تتحول البرقة المثيرة للاشمئزاز إلى فراشة جميلة. ولكن عندما يتعلق الأمر بالكائنات البشرية فإن العملية تجري باتجاه معاكس: الفراشة الجميلة تستحيل إلى برقة مثيرة للاشمئزاز».

وفي وقت لاحق سجلت في دفتر مذكرات، التعليق التالي «إذا كان تشيخوف قد عبّر عن ماساة النوع البشري على هذا النحو المثير للخجل والرثاء، فإن دوستويفسكي، أحد أبناء عمومته الذي وصلت حساسيته تجاه الأشياء إلى حد الهستيريا والجنون لا يتردد في الإمساك بالمفتاح وإدارته في القفل ليكتشف الأعماق دفعة واحدة. بل إن هذا الملتحي الروسي المتشبه بالأنبياء يطلب مني في إحدى رواياته، أنا القارئ اليائس، أن أقوم بتجربة بسيطة: أن أمطر ذلك الكائن البشري بالنعيم وأن أغرقه في بحر من السعادة، وأن أمنحه الرفاه الاقتصادي بحيث لا يكون لديه ما يفعله سوى النوم والتهام الحلوى والانغماس في التناسل حفاظا على النوع. وعند ذلك يتنبأ دوستويفسكي أن ذلك الكائن لا بد أن يبادر آنذاك، انطلاقا من الجسود والرغبة في المناكدة إلى ارتكاب حماقة قذرة يعرّض فيها حلواه للخطر. بل إنه يلقي بنفسه عن عمد في تهلكة الرغبة بالحصول على أشد القاذورات إيذاء، وعلى أشد المكاسب الاقتصادية خواء من المعنى، فقط من أجل أن يفسد عقله بهذا العنصر الخيالي المهلك!».

وفي صفحة أخرى من المذكّرات سجّلت الكلمات التالية «عندما أصبح صديقي

من شكسبير إلى جيمس بوند

سام منديس يرأس لجنة تحكيم مهرجان فينيسيا

تعامل فيلم «جارهيد» بأسلوب مختلف مع الدراما الحربية

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❑ في عام 1999 جاءت الفرصة الذهبية لسام منديس للانتقال من عالم المسرح إلى السينما، وفي قفزة واحدة انتقل من مسرح شكسبير الملكي في لندن، إلى هوليوود ليخرج واحدا من أهم أفلام التسعينات وأكثرها بقاء في ذاكرة عشاق السينما وهو فيلم "الجمال الأميركي".

منديس الذي يرأس لجنة تحكيم المسابقة الرسمية للأفلام الطويلة في الدورة المقامة حاليا من مهرجان فينيسيا (البندقية) السينمائي، من مواليد 1965، في ريدنغ بجنوب انكلترا، وهو ينتمي لأسرة ذات صلة وثيقة بعالم الفن والأدب، فجده "الفريد منديس"، كان أديبا روائيا مرموقا (من تريندياد)، ووالده جايميسون بيتر منديس، كان أستاذا للأدب، أما والدته فهي كاتبة روايات خيالية وناشرة. ومنذ مرحلة مبكرة من حياته، أبدى منديس اهتماما كبيرا بعالم الخيال: المسرح والسينما والكتابة الأدبية. وقد حصل منديس على تعليم عال وتخرج من جامعة كمبردج، ثم التحق بعد تخرجه عام 1987 بالعمل في المسرح، وأصبح وهو في الخامسة والعشرين من عمره مخرجا مسرحيا أخرج أعمالا بارزة مثل "بستان الكرز" لتشيكوف بطولة الممثلة المخضرمة جودي دنش، قبل أن ينتقل إلى مسرح شكسبير الملكي ويخرج عددا من الأعمال الشهيرة.

الجمال الأميركي

انتقل هذا المخرج المثقف الذي تعمق في دنيا المسرح واكتسب خبرات عملية في التعامل مع الممثلين، ليخرج "الجمال الأميركي" الذي سيحقق نجاحا كبيرا ويحصل في العام التالي،على خمس من جوائز الأوسكار من بينها جائزة أحسن فيلم وجائزة أحسن إخراج التي حصل عليها سام منديس، ومن هنا بدأت نقطة انطلاقه في عالم السينما حيث أخرج حتى الآن 11 فيلما، أهمها "جارهيد" (أو "رأس الجرة) عام 2004، و"الطائرة الورقية" (2007) و"الطريق الثوري" (2008). لكن أشهرها وأكثرها نجاحا بالطبع الفيلمان اللذان أخرجهما ضمن سلسلة أفلام العميل السري رقم 7 أو جيمس بوند وهما "سكايفول" (السقوط من السماء")- 2013 و"سبكتر (الشبح)- 2015.

يصور فيلم "الجمال الأميركي" الذي يمزج بين التراجيديا والكوميديا، كيف تلقي أزمة منتصف العمر ظلالها بقسوة على حياة وشخصية بطله الذي ينتمي للطبقة الوسطى من سكان المدن الصغيرة (يقوم بالدور كيفن سبايسي، في أداء بديع ناله عنه جائزة الأوسكار). فهذا البطل- اللا-بطل، يشعر أن لم تعد هناك أي قيمة لما يقوم به من عمل بعد أن فقد اهتمامه به، وجفت حياته الزوجية وأصبحت هناك هوة واسعة بينه وبين زوجته التي تبحث عن المال، وانعزل عن ابنته المراهقة الشابة التي لا تثق به كما ينبغي لابنة أن تثق بأبيها، فيقرر أن يتمرد على حياته ويعيش كما يحب، وإن اتخذ خلال ذلك، سلوكا يتصف بالغرابة، معلنا لنا في اللقطات الأولى من الفيلم أنه "سيموت بعد سنة"!

هذا فيلم عن التفكك الذي تعاني منه الأسرة الأميركية وعجزها عن تحقيق التواصل، عن العزلة والوحدة والشعور القاتل بالفشل، والرغبة في التمرد والبدء من جديد، لكي يحقق المرء ما عجز عن تحقيقه طيلة السنوات التي مضت من عمره.. هنا يصبح المفجر الحقيقي لتمرد هذا الرجل على ذاته وعلى حياته السابقة، فتاة في عمر ابنته، تتراءى له في أحلامه التي ربما تكون جزئيا أحلام يقظة، ولكن دون أن يجرؤ على اقتحامها مكتفيا بالاستمتاع بمشاهدتها، فهو يعرف أنها "الفاكهة" المستحيلة قبل أن تكون المحرمة.

عبثية حرب لم تقع

كان الموضوع الأساسي في فيلم "جارهيد" ما يشعر به الانسان في أكثر لحظات حياته استدعاء لليقظة والانتباه، فهو عن عبث الوجود الإنساني اثناء الحرب، من وجهة نظر جندي من جنود المارينز الأميركيين، تدرب لكي يصبح "آلة للقتل" ولكن دون أن تتاح له الفرصة لممارسة القتل . إنه يخوض فترة التدرب العنيف بكل ما يكتنفها من إهانات ومشاق بل واعتداءات بدنية ونفسية، ويتحملها بثقة، قبل أن يقع الاختيار عليه لكي يصبح قناصا في فصيلة لمراقبة الأهداف المعادية، ثم يلحق بالقوات الأميركية في السعودية وهي تستعد لاقتحام العراق إبان حرب تحرير الكويت عام 1990.. ينتظر في الصحراء الملتهبة طويلا مع زملاء فصيلته، صدور قرار الاشتباك في الحرب، لكن هذا القرار لا يأتي أبدا، و بعد 175 يوما من الانتظار الممل في الصحراء، يفاجأ مع زملائه، بأن لا دور لهم في المعركة، بعد أن قامت الصواريخ والطائرات بتدمير قوات "العدو". وتأتي المفاجأة التالية حينما تتوقف الحرب فجاة بعد أربعة أيام فقط.

كان هذا الفيلم تحديا حقيقيا أمام سام منديس، بسبب غياب الحبكة التقليدية المثيرة

> منذ مرحلة مبكرة من حياته، أبدى منديس اهتماما كبيرا بعالم الخيال: المسرح والسينما والكتابة الأدبية. وقد حصل منديس على تعليم عال وتخرج من جامعة كمبردج، ثم التحق بعد تخرجه عام 1987 بالعمل في المسرح، وأصبح وهو في الخامسة والعشرين من عمره مخرجا مسرحيا

في فيلم من أفلام الحرب، بل وغياب الحرب نفسها- بمشاهدها المثيرة- من الفيلم. لكنه نجح في تصوير الحالة النفسية لبطله التي أودت إلى شعوره بالإحباط مما يكاد يقوده إلى الجنون. وكما في "الجمال الأميركي" يتميز الفيلم بلمسات جمالية خاصة ترتبط بالسينما الأوروبية (الفنية) وليس بأفلام الحرب التقليدية الأميركية، بل ويصل الفيلم في بعض مشاهده، إلى السوريالية: حصان ينبعث من جوف الحرائق المشتعلة في آبار النفط لكي يحتمي بجنود لم يخوضوا المعركة، بل يكتفون بالفرجة عليها من بعيد، يحاولون النجاة من الجحيم الذي اندلع بعد تفجير آبار النفط، ثم يحتفلون في النهاية بحرب لم يكن لهم فيها دور!

العودة إلى البيت

كان من اللافت للنظر كثيرا، أن يحقق منديس، المعروف بأفلامه الجادة، نجاحا كبيرا في إخراج فيلميه عن مغامرات جيمس بوند، مضفياً عليهما ملامح إنسانية، وهما من نوعية أفلام الحركة والعنف والمغامرات والإثارة والتشويق، بل يمكن القول إن فيلم "سبكتر" أحد أفضل الأفلام التي عرفتها هذه السلسلة، وسيبقى طويلا في الذاكرة المشهد الأول من الفيلم الذي يستغرق عشر دقائق في تصوير متصل بدون قطع، بواسطة كاميرا "الاستيديكام" المحمولة التي تتابع البطل من مجال الاحتفال بيوم الموتى في شوارع العاصمة المكسيكية، ثم وهو ينتقل لتعقب أحد كبار رجال العصابات وقتله لكي تبدأ مطاردة مثيرة في الشوارع تنتهي في طائرة مروحية!

غير أن منديس أعلن بعد نجاح فيلم "سبكتر" أنه لن يعود لإخراج أفلام جيمس بوند، مؤكدا أنه يشعر بحنين جارف للعودة إلى المسرح. وقد صرح بأنه لا يشعر بالسعادة بقدر ما يشعر وهو يجري تدريبات على مسرحية جديدة مع أبطال المسرحية من الممثلين، أو وهو ينتهي من عمل مونتاج فيلم من أفلامه، وأعرب عن اشتياقه للعودة الى مناخ المسرح، الذي يقول إنه يشعره بأنه في بيته، وبأنه يستطيع التحكم في العمل على العكس من التصوير السينمائي الذي كثيرا ما يشهد فوضى كبيرة في مواقع التصوير. ولكنه لن يتوقف تماما عن الإخراج السينمائي، بل سيجمع بين العالمين كما أعلن.

ومن يعرف؟ لقد سبق أن رفض منديس إخراج فيلم "سبكتر" لكنه عاد فقبله – ربما تحت إغراء المال الكثير الذي جناه من وراءه- يعود مجددا إلى إخراج فيلم جديد ضمن السلسلة الشعبية الشهيرة، فمن يدري!

سام منديس: مخرج يحترم تاريخه الفني

بورتمان تتقمص شخصية «جاكي»

ليلة القتل وما بعدها في مهرجان فينيسيا

جاكي الحقيقية وجاكي الممثلة

❑ بعد فيلمه عن الشاعر الشيلي الكبير بابلو نيرودا الذي عرض في تظاهرة "نصف شهر المخرجين" بمهرجان "كان" الأخير، جاء المخرج الشيلي المرموق باولو لارين بفيلمه الجديد "جاكي" إلى مهرجان فينيسيا الـ 73، حيث يعرض للمرة الأولى عالميا في السابع من الشهر الجاري، داخل المسابقة الرسمية التي تضم 20 فيلما تتنافس على جائزة "الأسد الذهبي".

بعد النجاح الكبير الذي حققه فيلم "النادي" (2014) وترشيحه لنيل جائزة أحسن فيلم أجنبي في مسابقة "الأوسكار"- سبق لنا تناوله على هذه الصفحة- وبعد "نيرودا" الذي أنتجه في شيلي، حصل لارين على فرصة لإخراج فيلمه الأمريكي الأول الكبير "الوجه ذو الندبة" (سكارفايس) الذي كان سيصبح بمثابة عودة إلى قصة قديمة من خلال رؤية عصرية جديدة تدور في الزمن الحالي في لوس أنجليس، بطلها مهاجر مكسيكي يصبح من كبار بارونات المخدرات، وهو الموضوع الذي سبق أن أنتج في فيلمين، الأول عام 1932 (من إخراج هاوارد هوكس وبطولة بول موني)، والثاني عام 1983 (من إخراج بريان دي بالما وبطولة آل باتشينو). غير أن لارين أهمل هذه الفكرة أو تركها معلقة إلى وقت آخر، مفضلا إخراج فيلم "جاكي"، الذي يصور وقع الصدمة العنيفة التي تعرضت لها جاكلين كنيدي بعد اغتيال زوجها الرئيس الأميركي الأسبق جون كنيدي في نوفمبر 1963. والحقيقة أن الفيلم ليس أحد أفلام السير الشخصية للمشاهير، فهو لا يروي قصة حياة جاكلين التي كانت تحظى بشعبية كبيرة كما أحيطت بهالة إعلامية ضخمة في بدايات عصر "الانفجار" التليفزيوني الهائل في الستينات، فأحداثه تقع خلال الأيام الأربعة التي أعقبت الحادث التراجيدي الذي أودى بحياة كنيدي بينما كانت جاكلين تجلس بجواره في السيارة المكشوفة وهي تمر في موكب شعبي في مدينة دالاس.

ما الذي حدث تماما بعد ذلك، وكيف تعاملت "جاكي" مع هذا الموقف الصعب، وأين ذهبت، وكيف غادرت البيض الأبيض لتتركه لنائب كنيدي "جونسون"، الذي كان قد أقسم اليمين القانونية في الطائرة التي حملته من دالاس حيث كان برفقة الرئيس إلى العاصمة واشنطن؟ وماذا قالت للقس الذي أشرف على تفاصيل الدفن؟ وكيف تعاملت مع أبنائها من كنيدي الذين شاهدوا الحادث؟

وغير ذلك من تفاصيل لاشك أنها تثير خيال الكثيرين ممن عاصروا الفترة، ومن يشعرون بحنين خاص إلى ثقافة الستينات التي تعد من أكثر فترات التاريخ الأمريكي والعالمي، خصوبة، خاصة أن كنيدي يمثل الأمل – ليس فقط للأميركيين- بل للعالم كله، في أن تتجه أميركا الغنية القوية، إلى نصرة الشعوب المقهورة وتكف عن التدخل في شؤون الآخرين.

في مهرجان كان الأخير، الذي أقيم في مايو الماضي، عرض لارين الذي شارك في إنتاج الفيلم من خلال شركته الخاصة في شيلي "فابيولا" مع شركات أخرى أميركية، سبع دقائق من فيلم "جاكي" على الموزعين والمشترين المحتملين للفيلم، وحضر العرض عدد محدود من الصحفيين الذي كتبوا معربين عن إعجابهم الشديد بطريقة تقمص الممثلة الأميركية (الإسرائيلية الاصل) ناتالي بورتمان دور "السيدة الأولى" جاكي، وكيف أنها بدت قريبة منها في ملامحها بعد عمل الماكياج اللازم، والأهم حسب التقارير (فلم نشاهد الفيلم بعد)- أنها نجحت كما يقولون، في التقمص وأتقنت محاكاة نغمة صوت وطريقة حديث جاكلين كنيدي.

يشارك في بطولة الفيلم إلى جانب بورتمان، بيتر سارغارد الذي يقوم بدور شقيق الرئيس، روبرت كنيدي (الذي سيغتال بدوره بعد 5 سنوات في نيويورك!)، وغريتا جروبغ التي تقوم بدور كبيرة موظفي البيت الأبيض. أما المخرج جارين أرونوفسكي الذي سبق أن أخرج لناتالي بورتمان فيلمها الشهير "البجعة السوداء" (2010) الذي حصلت عنه على الأوسكار، فقد تولى هذه المرة، إنتاج الفيلم.

بعد 22 سنة من وفاتها مازالت جاكي تثير الاهتمام بعد أن كانت قد أصبحت "أيقونة" من أيقونات الأناقة مع حرصها على القيام بواجبها كأم تجاه أطفالها، غير أنها وجدت أيضا من يعربون عن استيائهم منها بعد أن تزوجت من الملياردير اليوناني أوناسيس وظلت معه الى أن توفي.

الفيلم الجديد يستخدم حسب المعلومات المنشورة، بعض لقطات الأرشيف (بالأبيض والأسود) يمزجها باللقطات السينمائية كما يظهر فيه بعض الشخصيات التي أحاطت بكنيدي وعائلته في تلك الفترة.

* أ ع

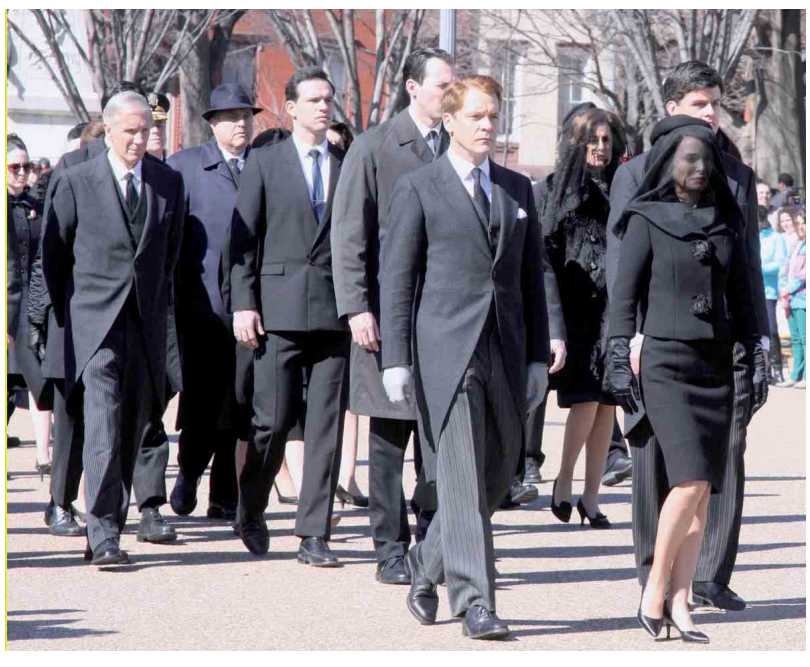

ناتالي بورتمان كما تظهر في مشهد الجنازة

تايلاند تفتتح أول فندق إسلامي لجذب المزيد من السياح العرب

الوجهة السياحية الأكثر شعبية في العالم تحاول توفير مناخ حلال للمسلمين

تسعى تايلاند، التي يغلب معتنقو البوذية على سكانها، إلى جذب العرب المسلمين من خلال افتتاح أول فندق إسلامي، علما أنها سبق وأن قدمت للسياح تطبيقات بالهواتف الذكية ترشدهم إلى أماكن وجود الطعام الحلال. وعلى الرغم من الإقبال الكبير الذي تحظى به تايلاند من كافة أنحاء العالم فإنها تعمل على جذب المزيد من السياح خصوصا العرب منهم ووضع تسهيلات لكل زوارها.

❑ بانكوك – تعد تايلاند الواقعة جنوب شرق آسيا من أكثر الوجهات السياحية شعبية في المنطقة، فهي تضم العديد من المعالم السياحية والمناظر الطبيعية الخلابة، بالإضافة إلى بعض أفضل الفنادق الفاخرة في العالم.

وعلى الرغم من الإقبال الكبير على تايلاند إلا أنها تحاول جذب المزيد من الزوار، لا سيما المسلمين منهم، وذلك من خلال افتتاحها لأول فندق إسلامي على أرضها.

وتفيد بيانات السياحة في تايلاند أن نحو 30 مليون سائح أجنبي زاروا البلاد العام الماضي ليس بينهم سوى 658 ألفا من منطقة الشرق الأوسط.

ويأمل فندق ميروز بانكوك وهو من فئة أربع نجوم بأن ينجح في ضم المزيد من السياح المسلمين لقائمة زوار تايلاند.

وقال سانيا ساينجبون مدير عام فندق ميروز بانكوك "فندق ميروز مكان للسائحين الذين يرغبون في مكان آمن. من يريدون مكانا مريحا يأتون إلى هنا. لسنا فندقا محبا للضوضاء". ويضم فندق ميروز، المشيد على طراز معماري إسلامي، مسجدين وثلاثة مطاعم حلال.

وأوضح سانيا أن تكلفة الإقامة لليلة واحدة في الفندق تتراوح ما بين 4 آلاف و50 ألف بات تايلاندي (أي ما بين 116 و1445 دولارا).

وأردف مدير فندق ميروز بانكوك "هناك 1.6 مليار مسلم في العالم. يمثلون سوقا ضخما.

فندق ميروز بانكوك يأمل بأن ينجح في ضم المزيد من السياح المسلمين لقائمة زوار تايلاند

التنوع الطبيعي يمتزج بروح العصر

نسبة واحد في المئة فقط من هذا السوق تكفينا لنحقق ازدهارا".

وقال سائح أسترالي يدعى عمير فضل (28 عاما) إن الإقامة في فندق إسلامي أو حلال فيه راحة أكثر للزوار المسلمين في تايلاند حيث يصعب العثور على طعام حلال.

وأضاف فضل "أشعر براحة أكثر هنا. كل شيء حلال.. كل ما يمكنك تناوله. كنا في منتجع فخم بجزيرة بوكيت –قبل أن نأتي إلى هنا– وكان من الصعب علينا أن نجد طعاما حلالا لا سيما على الإفطار".

وأردف "تجربة لطيفة للغاية. أول فندق حلال هنا وأرى أنه مبهر".

وينظم الفندق عادة محاضرات إسلامية لأطقم العاملين فيه حيث أنهم مختلفو الديانة فمن بينهم المسلمون والبوذيون وأتباع ديانات أخرى.

وفي المطعم يعرض كبير الطهاة على الطهاة الأحدث كيفية تحضير الطعام الحلال بشكل صحيح موضحا لهم ضرورة أن يكون خاليا من لحم الخنزير والكحول.

وقال طاه في الفندق يدعى ثوتسابورن سيريجندافيروج "فرصة طيبة لي أن أعمل في هذا الفندق. هذا أول فندق حلال مُصنف في تايلاند وهناك كثير من عملاء الحلال في أنحاء العالم".

وفي إطار التطلع لجذب مزيد من السائحين المسلمين أطلقت تايلاند العام الماضي تطبيقا على الهواتف الذكية يتيح لهم فرصة البحث عن أماكن بيع الطعام الحلال والأماكن التي يفضلها المسلمون.

ويمثل المسلمون أغلبية سكان مناطق جنوب تايوان القريبة من الحدود مع ماليزيا. وأظهرت بيانات إدارة السياحة أن تايلاند شهدت زيادة بنسبة 10 بالمئة في زوارها من الشرق الأوسط خلال عام 2015 مقارنة بعام 2014.

ومن أبرز المعالم التي تتميز بها تايلاند وتمثل نقاط جذب أساسية بها، شاطئ رايلي الواقع في جنوب البلاد، وهو عبارة عن شبه جزيرة تحيط بها المياه والجبال من كل مكان، ويصل إليها السياح عن طريق القوارب.

ويحظى السائح كذلك بمشاهدة قصر بانكوك الكبير المشيد منذ عام 1782، حيث كان مقرا لإقامة ملوك سيام. وتغطي مساحة القصر مجموعة كبيرة من الطرز المعمارية، كما تشتمل على تمثال بوذا الزمردي وهو واحد من أقدم التماثيل شهرة في العالم.

وبإمكان الزائر المكوث في عالم القصور إذا ما قضى استراحة قصيرة في القصر الملكي أو كما يطلق عليه "قصر الصيف" الذي يقع على طول نهر تشاو فرايا في أيوثايا. والذي كان يستخدم كاستراحة صيفية لملوك تايلاند.

ولا يمكن للسائح أن يفوّت على نفسه فرصة التوجه إلى منطقة جنوب تايلاند التي تتمتع بجمال مذهل وتحتوي على العديد من المواقع الساحرة كحديقة ثال بان الوطنية التي تقع بالقرب من جبال بانثات في إقليم ساتون.

ويجد هواة تسلق الجبال في جبل دوي إن تانون، وهو الجبل الأعلى في تايلاند ويبلغ على ارتفاع 2565 متر فوق مستوى سطح البحر في منطقة شيانغ ماي في محيط حديقة دوي إن تانون الوطنية، وجهتهم المفضلة.

وإذا ما صادف تواجد السائح في تايلاند لمهرجانها السنوي فإنه يحظى بمشاهدة مهرجان لوي كراثونغ الذي يقوم فيه السكان بإرسال فوانيس مضيئة إلى السماء احتفالا بالشهر الأخير في التقويم القمري التقليدي التايلاندي.

وتزخر تايلاند بالأسواق الشعبية كسوق دامنوين سادواك الذي يقع بالقرب من بانكوك، والبازارات كبزار شيانغ ماي وهو واحد من مناطق الجذب في تايلاند العليا.

وتتميز الأسواق بالحرف اليدوية والفنون والملابس والمنتجات المستوردة من جميع الأصناف، علما وأن هناك عددا من مراكز التسوق الكبرى والمجهزة تجهيزا حديثا.

وتشكل المعابد المنتشرة في تايلاند أيضا نقاط جذب، حيث يتيح معبد كرابي الواقع على الساحل الجنوبي الغربي لتايلاند للسياح رؤية بانورامية خلابة للبلاد. ويمثل المعبد الأبيض أحد أهم الأماكن السياحية وأكثرها زيارة من السياح.

كما تسمح حديقة الفيل الوطنية التي تقع في شمال مدينة شيانغ ماي، للسياح بالتقاط أروع الصور مع الفيلة. أما حديقة فو تشي فا في شيانغ راي بمناظرها الساحرة والتي تقع في مناطق الغابات والمرتفعات الخضراء، فتأخذ السائح في جولة مطولة من الجمال والاستمتاع بروعة الطبيعة.

كما يمثل شلال إيراوان، وهو جزء من حديقة إيراوان الوطنية في مقاطعة كانشانابوري، أكثر المناطق إقبالا للسياح.

إلى أين تذهب

لو مورن جبل على قائمة التراث العالمي يخفي تاريخا إنسانيا مثيرا

❑ لو مورن (موريشيوس) – يعتبر جبل لو مورن من المعالم السياحية البارزة في جزيرة موريشيوس الواقعة وسط المحيط الهندي، حيث يتيح للسياح الفرصة للاستمتاع بمناظر طبيعية ساحرة، فضلا عن أنه يحفل بتاريخ إنساني مثير، حيث شهد مصرع العديد من العبيد خلال عام 1835.

ويحظى السياح حال وصولهم إلى منطقة الشعاب المرجانية لو مورن في موريشيوس برؤية ما يظهر في الأفق من درجات اللون الأزرق متداخلة مع بعضها البعض، حيث يبدو اللون الأزرق الفاتح في أعلى المشهد ويظهر اللون الأزرق الداكن من أسفل، ثم هناك منطقة باللون الأبيض، ثم يشاهد السياح اللون الفيروزي وأخيرا اللون الأزرق المتداخل مع الرمادي.

ويعتبر الجبل الواقع في جنوب غرب موريشيوس بمثابة كتلة كبيرة، حيث أنه يبرز من شبه الجزيرة بشكل رائع، وعندما يتسلقه السياح فإنهم يتمكنون من مشاهدة موريشيوس بنفس المنظر الذي يظهر على البطاقات البريدية.

وأول ما يقابل هواة التسلق حين يرغبون في صعود الجبل، بوابة تغلق طريق الصعود، وهنا قام المرشدان السياحيان نيكو كويلاند وزاك هيربست بفتح هذه البوابة، حيث يعملان في شركة يانتير، التي تعتبر إحدى شركتي السياحة، التي تسمح للسياح بالاستمتاع بالتجول وسط هذه المناظر الطبيعية البديعة. ونظرا لأن هذه المنطقة تقع على الجبل، فإنها تعتبر ملكية خاصة منذ عدة قرون.

ويمر مسار التجول بشكل متعرج على طول الجبل، ويبدأ طريق الصعود بدرجة ميل بسيطة، ولكن بين وقت وآخر تنزلق أقدام السياح على الأرضية الرخوة، نظرا لهطول الأمطار بكثرة، وتعتبر موريشيوس جنة طبيعية وسط المحيط الهندي، وتتقلب الأحوال الجوية فيها خلال شهور الشتاء كل نصف ساعة تقريبا.

وبعد فترة من التجول وسط المناظر الجبلية يصل السياح إلى أول منصة مشاهدة تطل على البحيرة، التي توجد بها جزيرة صغيرة. وفي خضم هذه الصورة البديعة يشاهد السياح فجوة في الغيوم تسمح لأشعة الشمس أن تسقط على سطح مياه البحيرة، كي تبدو المياه بلون فيروزي أكثر إشراقا. وبعد ذلك تصعد المجموعة السياحية إلى جبل لو مورن لمسافة 200 متر أخرى، وهنا تتغير طبيعة مسار التجول، حيث يصبح أكثر ضيقا وانحدارا عمّا كان عليه الوضع في بداية الجولة.

وعادة ما تبدأ الأمطار بالتساقط على السياح لتصبح الأرض زلقة من تحت أقدامهم، وغالبا ما يفقد السياح القدرة على التماس طريقهم مع غياب ما يمكن أن يتم التمسك به، لذلك يتشبث السياح بالصخور البارزة على حافة الطريق، حتى يصلوا إلى منصة مشاهدة أخرى.

وتكشف لهم المنصة الجديدة عن إطلالة رائعة على البحيرة وسلسلة التلال الموجودة بالجزيرة. ولا يبقى أمام السياح سوى مسافة قصيرة للوصول إلى صليب القمة، الذي يحظى بأهمية خاصة في تاريخ موريشيوس.

ومن المعروف أن جزيرة موريشيوس لم تكن في الأصل مأهولة بالسكان، إلا أن هذه الجزيرة الواقعة في المحيط الهندي وقعت تحت الاستعمار الهولندي في البداية، ثم جاء من بعده الاستعمار الفرنسي، وأخيرا أصبحت مستعمرة بريطانية في وقت لاحق. وقد قام الفرنسيون بجلب العبيد من أفريقيا، كما جلب الإنكليز العمال من الهند.

ويحكي المرشد السياحي أن العبيد كانوا مختبئين في جبل لو مورن برابانت، وعندما قام البريطانيون بإلغاء العبودية في عام 1835 جاؤوا إلى هذا الجبل، لإخبار العبيد الذين لاذوا بالفرار في هذا المكان.

غير أن هؤلاء العبيد لم يصدقوا أنه قد تم إلغاء العبودية بالفعل، وألقوا بأنفسهم من فوق الجبل حتى لا يقعوا في الأسر والعبودية مرة أخرى.

وحتى إذا كانت هذه القصة تقترب من الأساطير أكثر من كونها وقائع تاريخية، إلا أنها تلقي الضوء على جوانب من تاريخ جزيرة موريشيوس. وقد تم إدراج جبل لو مورن برابانت ضمن قائمة التراث الطبيعي العالمي لمنظمة اليونسكو خلال عام 2008. وقد كان من المهم لأحفاد العبيد أن يتذكروا موتاهم، ولذلك فقد أقيم هذا الصليب فوق قمة الجبل.

رحلة محفوفة بالمتعة

■ أخبار سياحية

◄ مغادرة مطار الدوحة برسوم

■ مطار حمد الدولي في الدوحة يعلن أنه سيبدأ بفرض رسم على المسافرين المغادرين، في ظل سعي قطر إلى زيادة إيراداتها. وأشار المطار في بيان إلى أنه سيقوم "بفرض رسوم استخدام المطار بقيمة 35 ريالا قطريا، وذلك على جميع المسافرين المغادرين من ضمنهم مسافرو الترانزيت".

وأوضح أن الرسم فرض على تذاكر السفر الصادرة بدءا من 30 أغسطس الماضي، وتلك الصالحة للسفر بدءا من ديسمبر المقبل.

وأكد المطار أن فرض هذا الرسم يأتي عملا بمبادئ المنظمة الدولية للطيران المدني بهدف دعم تطوير المطارات العالمية الرائدة مثل مطار حمد الدولي وزيادة القدرة الاستيعابية.

◄ ألمانيا تتوقع زيادة في ليالي المبيت

■ قطاع السياحة في ألمانيا يتوقع زيادة غير مسبوقة في عدد ليالي المبيت السياحية خلال العام الجاري. وقالت متحدثة باسم اتحاد قطاع السياحة الألماني إن القطاع يتطلع إلى عام قياسي جديد.

وذكرت المتحدثة أن "ألمانيا لا تزال المقصد السياحي الأكثر تفضيلا للألمان"، مضيفة أن المناطق السياحية المفضلة في ألمانيا لا تزال السواحل المطلة على بحر الشمال وبحر البلطيق، بالإضافة إلى المناطق الجنوبية في ولاية بافاريا والغابة البافارية وبحيرة بودنزيه.

وأشارت المتحدثة إلى أن هناك مناطق تسعى إلى جذب المزيد من السياح.

◄ فيروس زيكا يؤثر على فنادق ميامي

■ أظهرت بيانات انخفاض عدد حجوزات الغرف في الفنادق بوسط ميامي خلال الأسابيع التي تلت اكتشاف فيروس زيكا هناك.

وقالت شركة "إس. تي. آر" إن حجز الغرف في الحي التجاري بوسط ميامي والأحياء الشمالية خلال أول ثلاثة أسابيع من أغسطس الماضي انخفض بما لا يقل عن 2.9 بالمئة عن نفس الفترة في العام السابق.

وقالت مؤسسة "جريتر ميامي كونفينشن أند فيزيتور بيرو" إن هذا الانخفاض في حجوزات الفنادق ربما يكون إشارة مبكرة لتأثير الفيروس على صناعة السياحة القوية في ميامي. وقالت شركة "إس. تي. آر" إن الانخفاض في الحجوزات يمثل تراجعا عن النمو المتواصل إلى حد كبير.

◄ 41 بالمئة تراجع السياحة المصرية

■ يشهد إجمالي عدد السياح الوافدين إلى مصر تراجعا بحوالي 41 بالمئة خلال الشهور السبعة الأولى من العام الجاري، حيث وصل إلى 2.857 مليون سائح، مقارنة مع نفس الفترة من العام الماضي.

ويعتبر التراجع في عدد السياح إلى مصر خلال الشهور السبعة الأولى من العام الجاري، عائدا إلى انخفاض أعداد السياح الوافدين من روسيا الاتحادية بشكل أساسي، إضافة إلى بريطانيا وألمانيا وبولندا.

وكانت موسكو علقت رحلاتها الجوية إلى شرم الشيخ عقب مقتل 224 شخصا معظمهم روس، إثر تحطم طائرة روسية فوق سيناء نهاية أكتوبر 2015، ومنذ ذلك التاريخ تراجعت حركة السياحة إلى مصر بشكل كبير.

◄ تفضيل الوجهات المحلية

■ موقع تريفاغو، وهو أكبر موقع بحث للفنادق حول العالم، يشير إلى أن المقيمين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فضلوا قضاء عطلة عيد الفطر هذا العام في وجهات قريبة من أماكن إقامتهم؛ فيما يعكس نمو الإقبال على السفر بين دول المنطقة، وذلك لما تمتاز به من تنوع في العروض والوجهات الترفيهية.

وقالت ميادة سامي، المدير المحلي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في تريفاغو "بات المسافرون حول العالم يبحثون بشكل متزايد عن وجهات محلية أو في بلدان مجاورة للسفر وقضاء العطلات، الأمر الذي ينطبق على المقيمين في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا التي تزخر بالعديد من الخيارات الفريدة".

الخبراء يحذرون من التسليم بكل ما تقدمه الإنترنت

الثغرات الأمنية فيروسات تقضي على أغلب محركات البحث والمواقع

في ظل الطفرة التقنية التي حملت المستخدمين على تصديق كل ما تطرحه عليهم التكنولوجيا، تحاول العديد من الشركات المختصة في هذا القطاع والمنظمات الدولية التحذير من الانجراف وراء كل ما تقدمه الإنترنت عبر مختلف محركات بحثها أو عبر التطبيقات أو مواقع التواصل الاجتماعي بوصفها لا تقدم معلومات دقيقة، بالإضافة إلى أنها تحتوي على عدد كبير من الثغرات الأمنية ولا تخلو من الفيروسات التي تضع المستخدم وكمبيوتره تحت رحمة الهاكرز.

❏ **لندن – عرفت الهواتف الذكية في السنوات الأخيرة زخما كبيرا من التطبيقات متعددة الوظائف حتى بات المستخدم في غنى عن أيّ تدخل بشري، إلا أن دراسات حديثة تدعو المستخدم إلى ألا يأخذ الكثير من النتائج التي يحصل عليها من خلال الشبكة العنكبوتية عبر مختلف التطبيقات ومحركات البحث بعين الاعتبار.**

وقد دعت الجمعية الألمانية لعلاج السرطان مؤخرا، المستخدمين لمحركات البحث للحصول على معلومات حول بعض الأمراض بالحرص على التأكد من مصدر المعلومة.

وتقول الجمعية الألمانية إن الكثير من المحتوى الصحي الموجود على الإنترنت مشكوك فيه وغير جدير بالثقة.

وللتأكد من سلامة المصدر يجب الانتباه لعدة أشياء: هل الشركة أو الموقع ذوو مكانة في هذا المجال بالتحديد؟ هل هناك مصادر خارجية تصدق على مجال تخصصهم؟

ثم ألق نظرة على قسم الاتصال وإدارة الأسماء بالموقع: هل أسماء المؤلفين مدرجة؟ هل هناك مؤلف مؤهل للكتابة في هذا الموضوع؟ هل هناك وثائق أخرى منشورة لدعم مزاعم المؤلف؟

وهناك طريقة أخرى للتأكد من دقة ومصداقية موقع ما وهي البحث عن ختم "مؤسسة الصحة على الإنترنت"، علما وأن هذه المؤسسة هي مبادرة دشنتها الأمم المتحدة وتروّج لنشر معلومات مفيدة وموثوقة عبر الإنترنت واستخدامها الملائم والكفء، فضلا عن أن الختم هو مؤشر جيد على جودة المعلومات الصحية.

وترى الجمعية الألمانية أنه مع ذلك تظل فكرة جيدة الاحتفاظ بدرجة معقولة من التشكك عندما يتعلق الأمر بقراءة محتوى صحي على الإنترنت.

وبحسب الخبراء، يجب أن تتم مناقشة المعلومات التي تقرأ على الإنترنت مع طبيب مدرب ولديه القدرة على تقييم المعلومات بشكل صحيح ودرجة صلتها بالمرضى.

الحذر والشك طريق إلى النجاة

هذا وأفاد مركز حماية المستخدم بولاية براندنبورغ الألمانية أن النتائج الأولى لمحركات البحث ليست دائما هي الأفضل، ولذلك ينبغي على المستخدم عدم التسرع والنقر على النتائج الأولى، التي تظهر في أعلى القائمة، نظرا لأن هذه النتائج ليست بالضرورة الأكثر ملاءمة لما يبحث عنه على شبكة الويب.

وأكد المركز أنه غالبا ما يتم إظهار فوق نتائج البحث العادية في موضع بارز لإعلانات مدفوعة من الشركات المختلفة، ويتم تمييز هذه النتائج من خلال وضع علامة إعلان، أو أن يتم وضع خط تحتها بالكاد يكون مرئيا، ومن بعدها يتم سرد نتائج البحث العادية.

% 90.6

من المواقع بالإنترنت تحتوي على ثغرات ونقاط ضعف أمنية بحسب شركة موزيلا

وتأتي هذه التحذيرات على خلفية ما كانت أعلنت عنه شركة موزيلا المتخصصة في تقنيات الويب وصاحبة المتصفح الشهير فايرفوكس، مؤخرا، حيث كشفت أن 90.6 بالمئة من مواقع الإنترنت تحتوي على ثغرات ونقاط ضعف أمنية، إضافة إلى أخطاء في تركيب أدوات تأمين المواقع المختلفة وتشغيلها.

وتحصلت موزيلا على هذه النتائج من خلال مرصد مجاني قامت بإطلاقه للفحص والتدقيق في سلامة إجراءات التأمين المتبعة بمواقع الويب المختلفة.

وأكدت الشركة أنه مع التشغيل الأولي للمرصد، تم فحص 1.3 مليون موقع حول العالم، فوجد أن مليونا و178 ألفا و16 موقعا منها مصابة بثغرات أمنية، ولم تستطع موزيلا سوى حصر 9.4 بالمئة فقط من إجمالي عدد المواقع التي تم فحصها وثبت خلوها من الثغرات ونقاط الضعف الأمنية.

وأصدرت شركة سينزيك المتخصصة في أمن المعلومات هي الأخرى تقريرا ذكر أن نسبة مواقع الإنترنت التي تعاني ثغرات ونقاط ضعف أمنية تصل إلى 96 بالمئة من المواقع على الويب.

وأرجعت الشركتان أسباب ذلك إلى أن أصحاب المواقع يهتمون بشدة بالتصميم وطريقة عرض المحتوى، والتوافق مع محركات البحث، إلى جانب كفاءة الموقع وسرعته في الاستجابة، وتضمين العديد من الخدمات عليه، وبالمقابل لا يهتمون بالقدر نفسه بأدوات التأمين اللازمة والضرورية، بحيث إما يجعلون منها أمرا هامشيا ثانويا، أو لا يعيرون الأمر اهتماما على الإطلاق.

وذكرت الشركتان أن السبب الثاني يتعلق بأدوات التأمين نفسها، التي تتسم بالتعدد والتنوع والتشرذم والصعوبة في فهم التشغيل والتنفيذ.

وكانت بعض الشركات قد قامت بسحب عدد من تطبيقاتها بسبب عيوب فنية أغلبها ثغرات أمنية، ومن بينها شركة أمان الإنترنت "إيه في جي" التي حذرت من انتشار تروجان ابتزاز يتخفى وراء تحديث لنظام تشغيل مايكروسوفت ويندوز.

وأوضح الخبراء أن برنامج الابتزاز "فانتوم" يتسرب إلى كمبيوتر المستخدم من خلال ظهور رسالة مزيفة بضرورة تحديث نظام ويندوز، في حين أنه يقوم في الواقع بتشفير البيانات الشخصية والمعلومات المهمة المخزنة على أجهزة الكمبيوتر، ولا تتم إتاحة هذه البيانات للاستخدام مرة أخرى إلا بعد دفع الفدية.

ونصحت شركة لينوفو مستخدمي كمبيوتراتها بضرورة تحديث البرنامج "لينوفو سوليوشن سنتر" المثبت مسبقا على وجه السرعة، محذرة من وجود ثغرات أمنية بالبرنامج الخاص بها، والذي يقوم بإظهار معلومات النظام واتصالات الشبكة.

وفي أسوأ الأحوال قد يستغل القراصنة هذه الثغرات الأمنية لتسريب برمجيات وأكواد خبيثة على كمبيوترات لينوفو.

ولا يقتصر الأمر على محركات البحث والتطبيقات فحتى مواقع التواصل الاجتماعي تعاني من الفيروسات الخبيثة حيث تمكن باحثون في شركة "إسيت"، المتخصصة في قطاع مكافحة الفيروسات، من اكتشاف فيروس مستتر من نوع أحصنة طروادة يتم التحكم فيه بواسطة التغريدات على موقع التواصل الاجتماعي تويتر.

جديد التكنولوجيا

❏ شركة سامسونغ تعلن عن ساعتها الذكية الجديدة جير إس 3، التي تمتاز عن الجيل السابق بأنها تدعم شبكات الجيل الرابع أل تي أي ونظام المواقع العالمي جي بي إس.

وأوضحت الشركة الكورية الجنوبية أن جير إس 3 تجمع بين التصميم الراقي مع أحدث التقنيات المحمولة، بما في ذلك مقاومة الماء وخدمة الدفع الإلكتروني.

وأضافت أن ساعتها الذكية تأتي في طرازين اثنين، هما: فرونتير وكلاسيك.

❏ شركة آيسر تعلن أنها ستكشف النقاب عن لاب توب جديد فائق النحافة، موضحة أن الجهاز سويفت 7 الجديد يأتي بسُمك أقل من واحد سنتيمتر، وبالتالي فإنه يعتبر حاليا أنحف لاب توب في العالم. وتشتمل باقة التجهيزات التقنية على معالجات إنتل الجديدة من الجيل السابع.

وتروج الشركة التايوانية للجهاز من خلال تزويده ببطارية تدوم لمدة 9 ساعات مع شاشة قياس 13.3 بوصة تعمل بتقنية الدقة الفائقة الكاملة فول أتس دي.

❏ فايرفوكس يتيح للمستخدم معرفة وقت قراءة رسائل الطرف الآخر عبر إضافة ميل تراك، وهو أحد أفضل وأشهر الإضافات على متصفح كروم. الفريق المطور للإضافة أعلن عن إتاحتها لمتصفح فايرفوكس حيث يُمكن لمستخدمي المتصفح تثبيت الإضافة مباشرة وتتبع رسائل البريد الإلكتروني أولا بأول.

وكما هو الحال بالنسبة إلى متصفح كروم فإن الإضافة تظهر علامة مزدوجة باللون الأخضر فور قراءة الرسالة من الطرف الآخر مع تحديد الوقت التي تمت فيه قراءة الرسالة. وتتميز الإضافة بتوفيرها لميزة الإشعارات المباشرة على سطح المكتب.

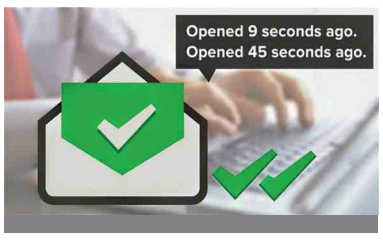

❏ إنستغرام يتيح ميزة تكبير الصور زووم، حيث يتم تشارك الصور ومقاطع الفيديو في ما بين أكثر من 500 مليون مستخدم، وببساطة يمكن تكبير الصورة بحركة الأصابع (فتح وتوسيع الفِتر) على شاشة الهاتف الذكي.

وطرحت ميزة التكبير من إنستغرام على هواتف أيفون التي تعمل بنظام أي أو إس، ووفقا للموقع ستكون الميزة متاحة على أجهزة الأندرويد خلال الأسابيع المقبلة. هذا وتشكل هذه الميزة جزءا من مخطط شركة فيسبوك المالكة لإنستغرام الذي يهدف إلى منافسة سناب شات، كما يمكن للمستخدمين الآن تسجيل مقاطع فيديو تدوم 24 ساعة.

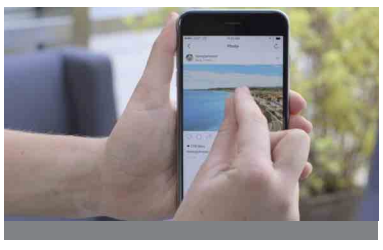

❏ مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، أعلنت عن بدء أولى خطوات إنتاج طائرة عسكرية سعودية. وأوضح مدير إدارة طائرات النقل في شركة تقنية للطيران، اللواء الطيار الركن، محمد عياش أنه من المتوقع أن تحلق الطائرة لأول مرة في سماء المملكة في بداية الربع الأول من السنة الجديدة 2017.

وأشار عياش إلى أن خط إنتاج الطائرة سيبدأ من أوكرانيا وينتهي بالمملكة، على أن يبدأ المكون المحلي في تصنيعها بنسبة 35 بالمئة ليرتفع تدريجيّا حتى يصل إلى 100 بالمئة.

أخبار متفرقة

استخراج الذهب من النفايات الإلكترونية لم يعد قاتلا

❏ باحثون أسكتلنديون يكتشفون تقنية جديدة يمكن أن تساعد على تطوير أساليب لاستخراج المعادن الثمينة وإنقاذ حوالي 300 طن من الذهب المستخدم في مجال الإلكترونيات سنويا.

ويعتقد الباحثون أن النفايات الكهربائية تحتوي على ما يصل إلى 7 بالمئة من مجمل الذهب في العالم، بما في ذلك الهواتف النقالة وأجهزة التلفاز والكمبيوتر.

وقال البروفيسور جايسون لوف الذي قاد الدراسة "تُستخدم المواد الكيميائية السامة في عمليات استخراج الذهب مثل السيانيد والزئبق، وغالبا ما تحتوي النفايات المتبقية بعد استرداد الذهب على معادن سامة مثل الرصاص".

لذا طور الباحثون من جامعة أدنبرة طريقة استخراج جديدة لا تستخدم هذه المواد الكيميائية السامة، ويمكن أن يكون لها فوائد. والأسلوب ينطوي على وضح لوحات الدارة الكهربائية في حمض خفيف من أجل حل الأجزاء المعدنية. وبعد ذلك تتم إضافة سائل زيتي يحتوي على مركب كيميائي لاستخراج الذهب منها. ويأمل الباحثون أن تعمل هذه الطريقة على تحسين طرق استرداد الذهب من النفايات الإلكترونية.

أمازون توفر جميع احتياجات المنزل عبر أزرار داش

❏ شركة أمازون تطلق خدمة تكنولوجية جديدة للمستهلكين من أجل طلب ما يحتاجه المنزل من خلال أزرار داش الإلكترونية التي يمكن وضعها في جميع أنحاء المنزل.

ويمكن للمتسوّقين الحصول على جميع احتياجات المنزل غير المتوفرة عبر الضغط على هذه الأزرار، حيث يوضع الزر المناسب للمنتج في الأماكن المرتبطة به.

وعلى سبيل المثال، يوضع زر داش بجانب أكواب القهوة من أجل إعادة طلب النسكافيه، وزر آخر على طاولة الكمبيوتر لطلب حبر للطابعة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى شفرات الحلاقة في الحمام.

ويعمل الزر من خلال الضغط عليه ليتم إرسال الطلب عبر شبكة واي فاي المنزل إلى أمازون، حيث يستلم المستهلك الطلب في اليوم التالي. كما يمكن وضع أزرار داش التكنولوجية على الأجهزة المنزلية مثل الغسالات والطابعات، وتعمل شركات صناعة التكنولوجيا الكبرى مثل سامسونغ وبوش، على إطلاق منتجات جديدة ليتم إيصالها عبر خدمة أزرار داش الثورية.

القضاء على البعوض في مهده

❏ العلماء يتمكنون بعد إجراء دراسات وتجارب عدة من اختراع عقار جديد قادر على التعامل بفعالية مع الحشرات الماصة للدماء، وعلى الخصوص البعوض، والقضاء عليها.

وتستخدم حاليا أنواع مختلفة من المبيدات الحشرية لمكافحة الحشرات المصاصة للدماء، إلا أن هذه المبيدات يمكنها أن تلحق أضرارا لا تحمد عقباها بالإنسان ومحيطه البيئي. كما تمتلك الحشرات المصاصة للدماء القدرة على التكيف بسرعة مع المواد السامة وعلى البدء في تطوير المناعة ضدها. لذلك كان يتعين على الخبراء العمل باستمرار على خلق المزيد من التعديلات الجديدة على المبيدات الحشرية لتكون فعالة ضد الحشرات.

وقد تمكن البروفسور البلجيكي روبي ستوكس مؤخرا من التوصل إلى طريقة جديدة وفعالة تحل كل المشاكل التي كانت تواجه العلماء للقضاء على الحشرات المصاصة للدماء وعلى الخصوص البعوض.

فقد اقترح روبي استخدام مادة اصطناعية سامة أظهرت فعاليتها في القضاء على الحشرات المصاصة للدماء، وتؤثر في اليرقات.

سيارات ذاتية تتحول إلى غرفة منزلية

❏ المطورون يطرحون مفهوما جديدا وغريبا يسمى تريديكا يقدم غرفة مرتبطة بالمنزل من الخارج يمكن أن تنفصل عنه لتتحول إلى سيارة كهربائية.

هذه الغرفة المنفصلة تأتي على شكل مكعب يتحرك على مسارات مغناطيسية، كما يقول تشارلز بومباردييه، الذي جاء بهذا المفهوم الجديد "سيكون التصميم بمثابة وسيلة من وسائل النقل فضلا عن إتاحة مساحة إضافية في المنزل لأماكن المعيشة أو للمكتب". وتهدف الغرفة التقنية التي يمكن أن تُحوّل إلى سيارة كهربائية إلى تغيير أسلوب حياتنا في المدن المتنامية. وأضاف "لقد عملت على فكرة تصميم سيارة للأشخاص الذين يعيشون في مجمعات سكنية متعددة الطوابق، حيث الغالبية من السكان يستخدمون المترو أو الحافلات"..ويعمل نظام تريديكا مثل السيارة الكهربائية، ويمكن للأشخاص ركن هذه الغرفة– السيارة مقابل غرفة المعيشة الخاصة واستخدامها كغرفة إضافية أيضا.

أعمال الغسل والنشر والكي والطي تعزز لياقة المرأة البدنية

حسن التعامل مع الأنشطة المصاحبة للملابس يجنب أجساد السيدات التعب

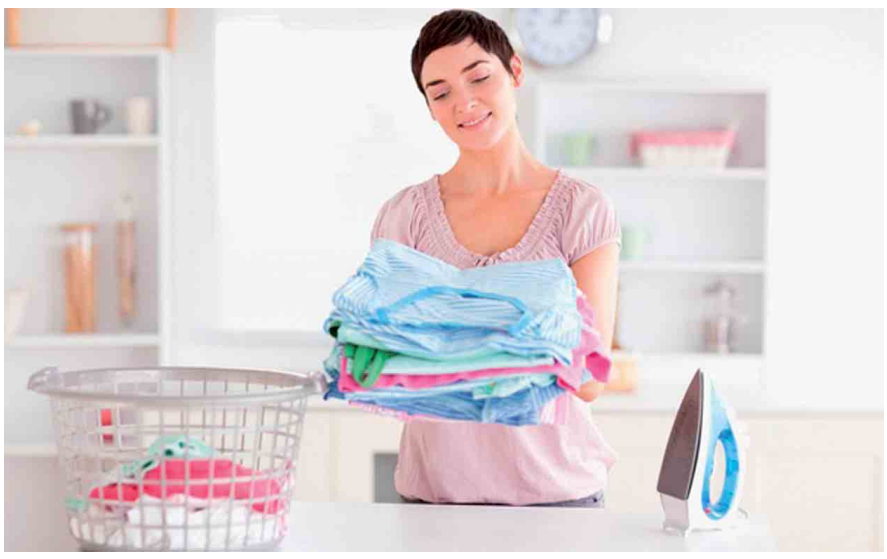

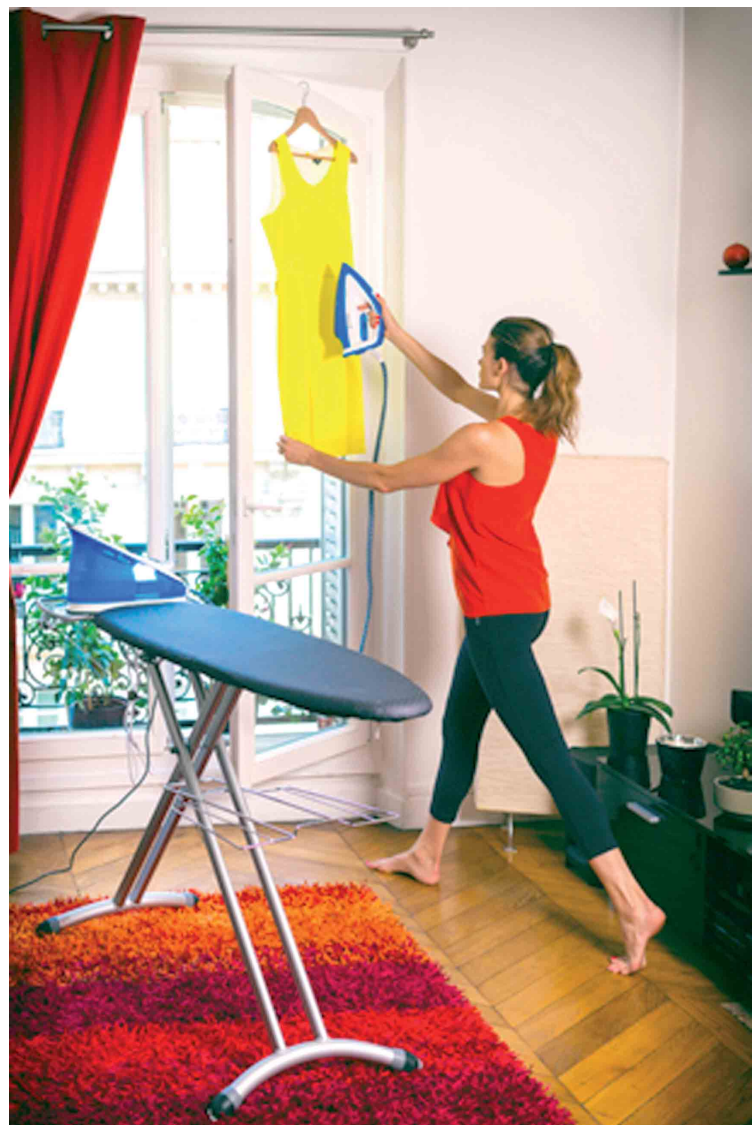

الرشاقة تقضي على الضجر

يسعى خبراء اللياقة إلى مساعدة السيدات على الاستفادة من الأعمال المنزلية في حرق الدهون والمحافظة على رشاقتهن، وفي إطار ذلك قدموا للمرأة مجموعة من النصائح والإرشادات لتتحول علاقتها بالملابس من الروتين إلى حرق الدهون والتخلص من آلام الظهر والكتفين التي تلازم المرأة ما إن تفرغ من بعض الأنشطة المتعلقة بالملابس كالغسل والنشر والكي والطي. وكانت العديد من الدراسات السابقة قد كشفت أن المرأة بإمكانها تحويل الأنشطة المنزلية إلى تمارين إحمائية من شأنها تخفيف الأعباء عليها، بالإضافة إلى مساهمتها في حرق السعرات الحرارية الزائدة وإكساب المرأة الوزن المناسب.

❑ لندن – أفاد خبراء اللياقة البدنية أن المرأة بإمكانها تحويل عملية التعامل مع الملابس (الغسل والنشر والكي والطي) من عملية مضجرة إلى تمارين رياضية تعزز لياقتها البدنية وتحافظ على رشاقتها وجمال قوامها.

ومن المعلوم أن النساء لا يحبذن كثيرا بعض النشاطات المتعلقة بالملابس وعلى رأسها الغسيل، ويرى الخبراء أن غسل الملابس يدويا أو باستعمال الغسالة يحفز المرأة على حرق الكثير من الدهون.

تدريب الذهن أثناء الغسل

ينصح للمرأة في كلتا الحالتين عدم ثني ظهرها بأسلوب خاطئ مما يمكن أن يتسبب في أضرار لعمودها الفقري، وحرصا منها على عدم حصول ذلك عليها أن تجلس أثناء الغسل اليدوي في وضعية مستقيمة وأن ترفع كتفيها إلى أعلى بدل ارتخائهما للأسفل وأن تفرد قدميها للأمام.

أما في حال استخدمت المرأة الغسالة فعليها تجنب الوقوف دون نشاط بل يجب عليها أن تضع يديها بشكل مستقيم على الغسالة وأن تحرك قدميها في شكل حركات إحمائية خفيفة مع رفعهما بالتداول إلى أعلى، أي أن تثبت اليد اليسرى على الغسالة والقدم اليسرى أرضا وأن ترفع القدم اليمنى إلى أعلى بمعية اليد اليمنى وأن تكرر ذات التمرين مع اليد والقدم اليسرى. ومن شأن هذه التمارين أن تشتت ذهن المرأة بعيدا عن الكثير من الأفكار المتعلقة ببقية الأعمال كالطي والجلي وغيرها وأن تساهم في تصفية ذهنها من التركيز على ضجرها من الأنشطة التي تمارسها.

> وظيفة التبخير بالمكواة تخول للمرأة استغلال الوقت الإضافي أكثر لتمرين عضلات المؤخرة

وبعيدا عن المجهود الذي تبذله المرأة بمفردها طوّر طلبة صينيون من جامعة دالیان الوطنية جهازا رياضيا يدمج بين جهازين مختلفين، فهو من جهة دراجة ثابتة لممارسة التمارين الرياضية للحفاظ على اللياقة، ومن جهة أخرى هو آلة لغسل الملابس.

وتبدأ التمارين عندما تضع المرأة الملابس المتسخة في كوة في مقدمة الجهاز، ولا يعمل الجهاز إلا متى ما قامت المرأة بركوب الدراجة التابعة له وتحريكها ما يجعل غسالة الملابس تدور وتبدأ في عملية الغسل.

هذا الابتكار ليس الوحيد الذي يدمج بين ممارسة الرياضة وغسل الملابس، فهناك ابتكار شبيه لمصممة سلوفاكية تدعى باربورا توبولوفا، وابتكارها هو عبارة عن دراجة هوائية يمكن التنقل بها في أي مكان، لكن العجلات الخلفية فيها عبارة عن كوة لغسل الملابس، فيمكن لمستخدمها بذلك قيادة الدراجة في الشوارع أو في الحدائق العامة وفي نفس الوقت يتم غسل ملابسه.

حبل الغسيل تمارين للعمود الفقري

يشدد الخبراء على المرأة باغتنام فرصة نشر الملابس للقيام ببعض التمارين التي تساعد بفعالية في بناء العضلات، علما وأن عملية نشر الملابس وجمع الأخرى الجافة ثم طيها وتوزيعها تحتاج إلى الوقوف لفترة قد تصل إلى 20 دقيقة تقريبا، وهو ما يحفز الجسم على حرق الدهون بصورة أكبر من القيام بأيّ مهمة في وضع الجلوس.

ويرى خبراء اللياقة أن الكثير من ربات البيوت يرتكبن أخطاء صحية أثناء وضع الملابس على حبل الغسيل مما يحمّل العمود الفقري أعباء كثيرة.

وقال الخبراء أن باستطاعة هؤلاء السيدات استغلال وضع الملابس على الحبل كتمارين مفيدة للعمود الفقري، فبدلا من تقويس المرأة لظهرها للوصول إلى أعلى الحبل باستطاعتها أن تقف على أطراف أصابع قدميها مع بقاء عمودها الفقري في وضع مستقيم، وبذلك تبلغ المرأة الحبل دون أن ترهق عمودها الفقري.

ونفس الشيء حين تحاول المرأة التقاط الملابس من السلة فإنها تتخذ وضعيات خاطئة، إذ أن الكثير من السيدات من تتقوس بعنف لالتقاط الملابس، وعلى المرأة أن تتخلص من هذه العادة بالحفاظ على وضع الاستقامة مع ضم الأرجل ثم الانحناء تدرجيا لالتقاط الملابس، ثم بعد ذلك على المرأة أن ترفع ظهرها مع المحافظة على استقامة عمودها الفقري، فتقف على أطراف أصابع قدميها مع شد عضلات البطن والمحافظة على وضع ذراعيها أمام نظرها وتعليق الملابس على الحبل.

تساعد هذه الوضعيات المرأة على تقوية عضلات الظهر وتجنبها انحناء عمودها الفقري، لا سيما وأن ربات المنازل يعانين بعد القيام بأعمالهن المنزلية من آلام بأسفل الظهر وبالعمود الفقري وأحيانا بالرقبة.

القواعد الصحية المصاحبة للكي

يوصي المتخصصون في اللياقة البدنية المرأة باتّباع بعض القواعد الصحية أثناء كيّ الملابس، ومنها القيام بشدّ عضلات بطنها، الورك وَالمؤخرة.

يصحب عملية الكيّ عادة شعور بالإرهاق يلازم المرأة لا سيما بعد الانتهاء من الكيّ وذلك ناتج عن تحريكها لذراعيها بطريقة عشوائية، بالإضافة إلى انثناء العمود الفقري لفترة طويلة بسبب الوضعية الخاطئة لطاولة المكواة. ولهذا ينصح الخبراء المرأة بأن تحرص على أن يكون ارتفاع الطاولة مناسبا لطولها حتى تتجنب الانحناء مع ضرورة حني مرفقها بزاوية 90 درجة على الطاولة، إلى جانب تحريك يديها بشكل منتظم على الملابس باتجاهات ثابتة.

وأوضح الخبراء أنه يتعين على المرأة أثناء ذلك أن تحرّر كتفيها وتحاول الاسترخاء، مشيرين إلى ضرورة وقوفها على رؤوس قدميها. ودعا المختصون المرأة إلى ملازمة هذه الوضعية لمدة 5 ثوان، منبهين إياها بعد ذلك بالانتقال إلى وضع كعبيها على الأرض مع الزفير عميقا.

ولتتمكن المرأة من الاستفادة من هذه التمارين البسيطة أثناء انشغالها بالكيّ عليها التركيز على إعادة الأمر 15 مرة على الأقل.

وبعد ذلك يفضل أن تقوم المرأة بفصل قدميها قدر المستطاع ثم أن ترفع ساقها اليمنى جانبا وأن تفتحها لما لا يقل عن زاوية 30 درجة، مع الحرص على شد عضلات البطن كي لا تفقد المرأة الوزن وتبقى مستقيمة.

والمطلوب من المرأة بعد ذلك أن تريح ساقها وأن تعيد نفس التمرين 10 مرات على الأقل، ثم بعد ذلك عليها أن تكرر ذات شيء مع ساقها اليسرى.

ويخول للمرأة في حال كانت المكواة التي تستخدمها تحتوي على وظيفة التبخير، استغلال الوقت الإضافي أكثر لتمرين عضلات المؤخرة.

ويستحسن بعد ذلك أن تقوم المرأة بخطوة نحو الأمام بقدمها اليمنى، مع ثني ساقيها حتى تلمس الأرض بركبتها اليسرى، ثم تعود تدريجيا لوضعية الوقوف موازية ساقيها بإرجاع القدم اليمنى إلى الخلف.

وللحصول على النتائج المرجوّة على المرأة أن تعيد الكرة 10 مرات ثم أن تقوم بنفس التمرين مجددا، لكن هذه مرة مع الساق اليسرى.

ويشدد المختصون في اللياقة البدنية على أهمية إبقاء المرأة لظهرها مستقيما أثناء هذا التمرين.

الطي مفيد للحصول على قوام رشيق

أكد المختصون أن المرأة في علاقتها بالملابس يمكن أن تذهب إلى أبعد من الكيّ وأن تستغل الطيّ للحصول على تمارين صحية مفيدة وأن تتحول العملية المملة والرتيبة إلى فترة من تمارين الإحماء التي بإمكانها تعزيز اللياقة البدنية لربة المنزل.

وينصح للمرأة أثناء طيّها للملابس ووضعها في الدولاب، أن تقف على قدميها، مع ضرورة أن تكون المسافة بينهما متساوية مع عرض الكتف.

وعليها أن تحاول الوقوف على مقدمة القدم وأن ترفع جسمها نحو الأعلى بالاعتماد على أصابع القدم لوضع الملابس، وبعد ذلك عليها العودة مرة أخرى للوضع الطبيعي.

وأضاف المختصون أن هذا التمرين سيساعد المرأة على تقوية قدميها، بالإضافة إلى أنه سيشغلها عن التفكير في مهمة طيّ الملابس المملة والشاقة.

وتمكن مضاعفة الجهد من خلال حمل المرأة لطفل على حمالة الأطفال وعند الانتهاء من وضع الملابس في الدولاب يمكنها وضع الطفل في سلة الملابس وحمله واللعب معه كجهد إضافي.

والجدير بالذكر، أن خبيرة اللياقة الألمانية ألكسندرا بورشار بيكر كانت قد صرحت سابقا أن الأعمال المنزلية سلاح فعال بيد المرأة لحرق السعرات الحرارية.

وأشارت بورشار بيكر إلى أهمية الأعمال المنزلية في تحقق حلم الحصول على قوام رشيق والتخلص من الوزن الزائد.

وأفدت الخبيرة الألمانية أنه لو أخذنا مثلا عن فوائد ما تقوم به المرأة يوميا

> المرأة عليها أن تحاول الوقوف على مقدمة القدم وأن ترفع جسمها نحو الأعلى بالاعتماد على أصابع القدم لوضع الملابس في الدولاب

من أعمال منزلية سنجد أنها لا تختلف عن الرياضيين وما يحصل بقاعات الرياضة، فمثلا لو كانت المرأة تزن 70 كيلوغراما فبإمكانها أن تحرق 600 سعرة حرارية خلال ساعة فقط تقريبا من البدء في الأعمال المنزلية أي ما يعادل ممارسة ساعة من رياضات قوة التحمل.

ويندرج رأي الخبيرة ضمن سلسلة من الدراسات التي اعتبرت الأعمال المنزلية مصدرا للحصول على قوام رشيق وتجنب الكثير من الأمراض المميتة، حيث أكدت دراسة أسترالية نشرتها المجلة الدولية للسرطان أن الأعمال المنزلية الروتينية تقلل خطر إصابة النساء بسرطان المبيض.

وأوضح الباحثون في جامعة كيرتن بيرث الأسترالية أن هذه الأعمال هي نوع من الرياضة والنشاط البدني المعتدل الذي يفيد الجسم ويحمي مبايض المرأة من الأورام.

وأشاروا إلى أن الفائدة والأثر الوقائي يكونان أكبر كلما استمر النشاط لفترات أطول.

واعتبرت دراسة أخرى أن الأعمال المنزلية مفيدة للصحة الجسدية والنفسية أيضا، حيث ثبت دورها الهام في تخفيف حدة الاكتئاب والتوتر. وتوصي الطبيبة النفسية فيفين وولسك من جامعة نيويورك باستخدام العمل الروتيني كعلاج بدءا من غسيل النوافذ وصولا إلى كيّ الملابس.

وأكد باحثون هولنديون أن نشاطات الحياة اليومية من تمارين وأعمال منزلية وغيرها أفضل من ممارسة التمارين الرياضية القاسية مرة في الأسبوع.

ووجد الباحثون أن ممارسة التمرينات القاسية أقل تأثيرا على الصحة من النشاطات المعتدلة التي يمارسها الإنسان فترة أطول أثناء حياته اليومية. كما يرون أن السر في الاعتدال، أي زيادة فترة النشاطات اليومية المعتادة وتقليص فترات الخمول خلال ساعات اليقظة بدلا من معالجة الخمول بالتمارين المكثفة لفترة قصيرة، أفضل طريقة للتمتع برشاقة ولياقة بدنية عاليتين.

كما أكدوا أن النشاطات المعتدلة والمستمرة هي أكثر فعالية من النشاطات المكثفة غير المنظمة وخاصة للأشخاص البدناء ومن تجاوزوا منتصف العمر.

المرأة قاضية... معضلة لا يريد المجتمع العربي حلها

القاضيات العربيات ينشدن العدالة في المناصب العليا في مرفق العدالة

دخلت المرأة العربية سلك العدالة والقضاء منذ عقود وشغلت فيه العديد من المهام لكن ذلك لا يشمل جميع الدول العربية التي ما يزال بعضها يناقش عملها في المهن القانونية مثل المحاماة فما بالك بأعلى الرتب القضائية التي ظل نصيب الأسد منها للرجال.

كما أن القاضيات العربيات غالبا ما يتواجدن في مواقع ودرجات ثانوية ما يحيلنا على أن معايير الانتداب والتعيين والترقية في هذا القطاع ليست خاضعة للكفاءة فحسب بل تتدخل عوامل أخرى منها غياب المساواة بين الجنسين لأسباب ثقافية واجتماعية جعلت وصول المرأة إلى أعلى المناصب في منصة العدالة أمرا صعبا.

وتختلف وضعية النساء في المهن القانونية والقضائية من دولة عربية إلى أخرى ورغم قبول دخول المرأة لدراسة هذه الاختصاصات في مؤسسات التعليم العالي وتحقيقها النجاح وحصولها على الشهادات الجامعية إلا أن مباشرتها للعمل لا توازي نسب الخريجات وليست الظروف الاقتصادية والبطالة في صفوف خريجي التعليم العالي هي الأسباب الوحيدة، بل تقف الثقافة الاجتماعية السائدة والأحكام المسبقة، التي تستضعف قدرات المرأة حين تعمل في مرفق العدالة، وراء قلة تمثيلية المرأة في القضاء وتحول دون بلوغها المناصب الأعلى في السلطة القضائية في أغلب الدول العربية.

انتفاضة نسائية في مصر ضد «ذكورية» منصة القضاء

نجوى دردير
كاتبة من مصر

❏ **القاهرة** – أمام رفض بعض الجهات في مصر لتعيين المرأة قاضية بدعوى أنها "غير مؤهلة للمنصب"، انطلقت حملات نسائية من منظمات حقوق المرأة وأخرى سياسية وقانونية، لحشد الرأي العام من أجل القضاء على استئثار الرجال بالمناصب المهمة في كل من مجلس الدولة والنيابة العامة.

وأعاد مشهد ضغوط منظمات نسائية لتمكين المرأة في العمل القضائي أخيرا، ما حدث في عام 1949، عندما رفض مجلس الدولة طلب تعيين عائشة راتب بالمجلس بدعوى أنها "أنثى"، ما دفعها لرفع دعوى قضائية، لكن الحكم لم يأت لصالحها. ومنذ خمسينات القرن الماضي، لم تيأس المصريات من المطالبة بحق العمل كقاضيات، حتى رضخ أحمد الزند وزير العدل السابق أمام ضغوط المنظمات النسائية والحملات الإعلامية وقرر تعيين 26 قاضية لكن في محاكم ومناصب محددة، بعيدة عن مجلس الدولة أو النيابة العامة، ما أثار الغضب حول وجود شبهات تمييز تعارض المساواة المنصوص عليها في الدستور المصري.

ما أعاد الجدل مجددًا خلال الأيام الماضية، أن مجلس الدولة (الجهة المنوط بها النظر في القوانين) رفض طلب أمنية طاهر الحاصلة على المركز الأول بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، بالعمل في خطة قاضية. والمثير أن المحكمة استندت في رفضها إلى نفس الأسباب التي ساقتها المحكمة عام 1949.

وهذا يعني أن محاكم مجلس الدولة الحالي مازالت تتعامل بنفس منطق وطريقة تعاملها قبل 67 عامًا، الأمر الذي دفع أمنية الحاصلة على المركز الأول إلى تحرير محضر بقسم الشرطة لإثبات الحالة، بعدما أبلغت أن طلبها "يخالف تقاليد المجتمع المصري".

ومع تعدد حالات الرفض، دخلت الراغبات للعمل قاضيات في تحدٍ مع القضاء، وقمن بتدشين حملة "هي والمنصّة"، وتبنت العديد من المنظمات النسائية الحملة في محاولة لتوسيع نطاق الضغط على وزارة العدل لقبول المرأة في العمل القضائي، دون استثناء لمنصة بعينها.

وقالت ندا جادالله، خريج كلية الحقوق جامعة عين شمس، بعدما قوبل طلب تعيينها في مجلس الدولة بالرفض لأنها "امرأة"، إنها سوف تلجأ لرفع دعوى قضائية جديدة. وأضافت لـ"العرب" أنها "ستنتظر حتى يتم تعيين المتقدمين من الذكور، وستخطو بشكل جاد نحو المطالبة بحقها الدستوري ولن تتنازل عنه". وقالت حملة "هي والمنصة"، ومعها العديد من المنظمات النسائية المعنية بحقوق المرأة، في بيان صحافي الاثنين الماضي، إنه "لا تراجع عن تعيين المرأة قاضية في كل المحاكم، فضلا عن ترقية القاضيات اللاتي تم تعيينهن في المحاكم الابتدائية والجنائية، ومساواتهن بالرجال".

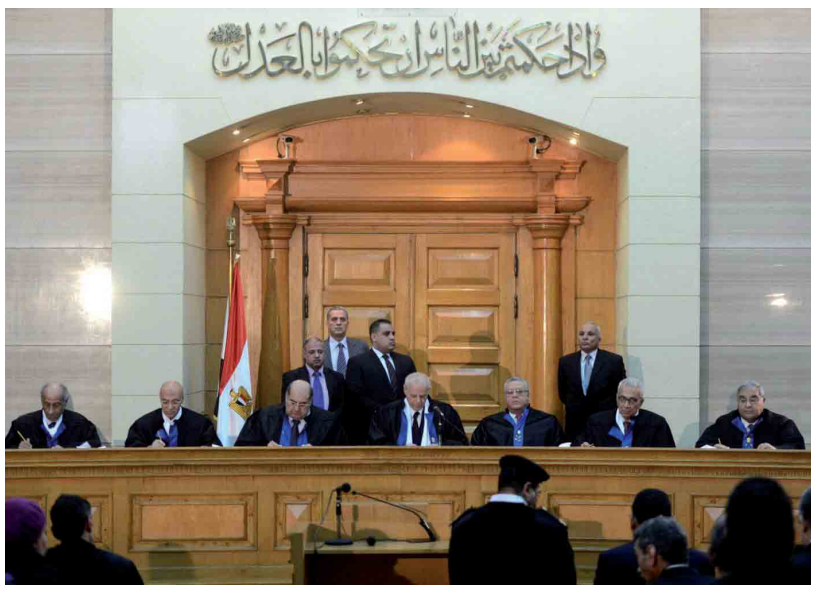

مرفق القضاء العادل دون نساء في المنصة

وما يعزز موقف مؤسسي هذه الحملات، أنها تستند للدستور والاتفاقيات الدولية التي أبرمتها مصر ضد التمييز في العمل القضائي المعروفة بالسيداو، فالدستور يمثّل ضغطًا على المحاكم للتراجع عن موقفها الجامد في هذا الملف، لا سيما أن الحكومة تسعى جاهدة في الوقت الحالي، لتخفيف نبرة الهجوم الغربي، خاصة من قبل المنظمات الحقوقية، ولتأكيد "أن التمييز غير موجود في مصر".

وقالت مُزن حسن، رئيس مؤسسة نظرة للدراسات النسائية، وهي واحدة من المنظمات المشاركة في حملة "هي والمنصة"، إن المرأة المصرية ما زالت تصارع مجتمعا يتسم بالذكورية لتأخذ مكانًا هو في الأساس حقها الدستوري.

وأشارت لـ"العرب" إلى أن الحملة تهدف إلى دعم ومساندة الشابتين أمنية طاهر، وندا جادالله، اللتين رفعتا دعوتين قضائيتين ضد مجلس الدولة، بعدما رفض ترشحهما لمنصب القاضية، وسوف تتخذ خطوات جادة خلال المرحلة المقبلة.

كانت أزمة رفض مجلس الدولة تعيين المرأة اشتدت عام 2003، عقب تعيين المستشارة تهاني الجبالي أول قاضية في مصر، ونائبًا لرئيس المحكمة الدستورية العليا، والسؤال الذي يدور في أذهان كثيرين، كيف لأعلى محكمة بالبلاد توافق على تعيين امرأة، بينما ترفض محاكم مجلس الدولة نفس الأمر؟

ولا تجد تهاني الجبالي، التي تركت المحكمة قبل عامين، تفسيرًا لهذا التناقض، وقالت في تصريحات لـ"العرب"، "هذا تعنّت واضح وصارخ، ولا بد أن يخرج عن نطاق وجهة النظر الشخصية، لأنّ الدستور يلزم جميع الجهات القضائية بنص صريح بتعيين المرأة فيها".

ونوّهت إلى أن مجلس الدولة والنيابة العامة هما الجهتان الوحيدتان اللتان تمتنعان عن تطبيق النص الدستوري، بشأن تعيين المرأة في كل منهما. وأكدت دعمها الكامل لحملة "هي والمنصة"، وستطالب بتفعيل قانون السلطة القضائية الذي تجمّد لمدة 45 عامًا ولم يتم تفعيله إلا حينما تم تعيينها في المحكمة الدستورية، مؤكدة أنه يلزم بتعيين 25 بالمئة من المشتغلين والمشتغلات في المحاماة من نسبة المتقدمين لشغل المناصب القضائية سنويًا.

ويعتمد الفريق الرافض لعمل المرأة قاضية، من المجتمع على فتاوى تحرّم أن تتولى المرأة هذا المنصب، بدعوى أنه عمل لا يناسب طبيعة النساء، فضلا عن كونها عاطفية بالأساس، ولن تكون قادرة على الحكم بعدل في قضايا جنائية.

ووصفت ميرفت التلاوي، رئيس المجلس القومي للمرأة سابقًا، هذه الحجج بأنها "رجعية"، واستنكرت في تصريحات لـ"العرب" أن تكون مصر متأخرة في تعيين المرأة قاضية بكل الجهات القضائية دون استثناء، وأن تصبح العنصرية فيها واضحة ضد المرأة بهذا الشكل.

تعديلات دستورية لصالح القاضية الجزائرية

صابر بليدي
كاتب من الجزائر

❏ **الجزائر** – افتكت المرأة الجزائرية خلال السنوات الأخيرة مكاسب نوعية، مكنتها من ولوج مختلف عوالم الشأن العام، ومن اعتلاء مواقع متقدمة في مختلف المجالات، بما فيها جهاز القضاء، الأمر الذي جعل تجربتها محل اهتمام من نظيراتها في العالم العربي.

وقدرت أرقام رسمية في الجزائر نسبة شغل المناصب القضائية في جهاز العدل الجزائري بأكثر من 40 بالمئة، وسجلت المدرسة العليا للقضاء خلال الموسم الدراسي السابق حضورا بأكثر من 50 بالمئة للمرأة، ونفس النسبة تقريبا تسجلها في الإدارة القضائية كأمانة الضبط والأعوان العاديين.

وتؤكد الأرقام المحققة خلال السنوات الماضية الإرادة القوية لدى السلطات العليا للبلاد لفتح جهاز القضاء أمام الكفاءات النسوية ووضعها في نفس المستوى مع الرجل، من أجل تكريس سياسة الاهتمام بالمرأة وتحضيرها للمشاركة في مختلف مؤسسات الدولة القضائية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وتذكر في هذا الشأن المحامية والناشطة الحقوقية فاطمة الزهراء بن إبراهم في اتصال مع "العرب"، بأن المرأة الجزائرية حققت مكاسب نوعية خلال السنوات الماضية، مكنتها من التموقع في مختلف القطاعات والمؤسسات، ولم يعد يميزها عن الرجل إلا عامل الاجتهاد والكفاءة التي أثبتتها في مختلف المجالات، خاصة في تلك المتعلقة بطبيعتها وخصوصياتها.

وأضافت "رغم مقاومة الذهنية الذكورية لرؤية المرأة في منصب القاضية والنائب العام ووكيل الجمهورية، في بدايات الأمر، إلا أن المجتمع تكيّف بسهولة مع المسألة، وصار لا مانع لديه في الامتثال لسلطة المرأة في جهاز القضاء، فالمهم بالنسبة إليه هو الحياد وتطبيق القانون والنزاهة، وليس أن يكون الناطق بالحكم امرأة أو رجلا".

وتابعت المتحدثة "لم يعد هناك عقدة للمتقاضين في وجود المرأة في مناصب القضاء، وتهم الانحياز العاطفي التي لوّح بها البعض نظير بنيتها الوجدانية، سقطت أمام نزاهتها في تطبيق القانون، وكانت عامل تفوّق على الرجل في فهم بعض القضايا الاجتماعية، التي تتطلب قراءة وفهما قد لا يوفق القاضي الرجل في التوصل إليه".

وكان وزير العدل حافظ الأختام الطيب لوح، قد كشف بأن إصلاح قطاع العدالة مكّن المرأة الجزائرية من الحصول على العديد من الحقوق، حيث تمّ تعيينها لأول مرة في تاريخ القضاء الجزائري في منصب "نائب عام".

وأشاد وزير العدل بتولي المرأة لأعلى منصب في سلك القضاء وهو "مجلس الدولة، إلى جانب المجالس القضائية والمحاكم العادية والإدارية ومحافظات الدولة، حيث بلغت نسبة القاضيات أكثر من 42 بالمئة، ونسبة تواجد المرأة في المدرسة العليا للقضاء فاق نسبة 50 بالمئة خلال الموسم الماضي".

وكانت التجربة الجزائرية في مجال حقوق المرأة القاضية ومسار القاضيات الجزائريات، محل تنويه من طرف المشاركات في مؤتمر "القاضيات في الوطن العربي: تحديات، عقبات وإنجازات"، والذي انعقد بالقاهرة في العام 2015، من طرف منظمة المرأة العربية، وبالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

وقالت رئيسة مجلس الدولة (هيئة قضائية عليا) سمية عبدالصدوق "إن الدساتير الجزائرية كرست مبدأ المساواة بين المرأة والرجل أمام القانون وعدم التمييز بينهما، فضلا عن أن تعديلات الدستور في 2008 أوجدت آليات قانونية لترقية حقوق المرأة وتفعيل مشاركتها في المجال السياسي والشأن العام، من خلال استحداث عدة مؤسسات تسهر على ترقية حقوق المرأة".

وأضافت "إن القانون الأساسي للقضاء والقانون العضوي المتعلق بالمجلس الأعلى للقضاء، يضمن حق المساواة بين الطرفين، ولا يعترف إلا بعامل الاجتهاد والكفاءة، وهو ما مكّن المرأة القاضية من تقلد المناصب في كل هياكل جهاز القضاء، وهي مكاسب تجسدت بفضل الإرادة السياسية لقيادة البلاد للنهوض بالمرأة الجزائرية، وتمكينها من حقوقها الطبيعية".

وهو ما ذهبت إليه المحامية والناشطة الحقوقية فاطمة الزهراء بن إبراهم، في أن تعديلات 2008 على دستور البلاد، والدستور الأخير المصادق عليه في أغسطس الماضي، كرسا بشكل لافت حقوق المرأة الجزائرية، ومكناها من التواجد في مختلف المؤسسات والقطاعات، بما فيها جهاز القضاء الذي ظل خلال العقود الماضية حكرا على الرجل.

وأضافت إبراهم "أعتقد أن المسألة لا تتعلق بامرأة أو رجل في جهاز القضاء، بقدر ما تتعلق باستقلالية الجهاز، وحماية المرأة القاضية من الضغوط والمغريات والتسيير الإداري، وتركها لضميرها وكفاءتها في إدارة عملها والفصل بين المتقاضين".

وأوردت رئيسة مجلس الدولة سمية عبدالصدوق أن "جهاز القضاء الجزائري يعرف تواجدا لافتا للمرأة في صفوفه، فمن بين 5384 قاضيا يوجد 2274 قاضية، ومن بين القاضيات مستشارات ورئيسات للمحاكم ووكيلات جمهورية ورئيسات مجالس ونائب عام لمجلس قضاء محافظة بومرداس، إلى جانب حضورها في المحكمة العليا ومجلس الدولة".

القاضية المغربية تتشبث بحقها بالمناصفة في مراكز المسؤولية

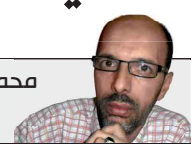

محمد بن امحمد العلوي
كاتب من المغرب

❏ **الرباط** – أثبتت المرأة القاضية في المغرب كفاءتها في مباشرة العديد من الملفات بتجرد ونزاهة، جعلت منها رقما مهما في الجسم المؤسساتي بالقضاء المغربي. وبعدما كان عدد القاضيات في بداية ستينات القرن العشرين ونهاية سبعيناته لا يتجاوز العشرة على مستوى محاكم المغرب سواء بجهاز النيابة العامة أو بالقضاء الجالس قفز إلى المئات نهاية عام 2015.

وفي هذا الإطار قال عبداللطيف الشنتوف، رئيس نادي قضاة المغرب، في حديث لـ"العرب" إن المرأة تمثل اليوم ثلث الجسم القضائي المغربي وهو تطور مهمّ رغم أننا لم نصل بعد للمناصفة التي ينصص عليها الدستور. لكنها تبقى نسبة مهمة أمام الظروف الاجتماعية التي تحكم المرأة في المغرب والعالم العربي بشكل عام من حيث العادات والتقاليد. هي نسبة قائمة على معايير الاستحقاق والكفاءة وليست على تخصيص نسبة معينة لفائدتها أي ليست مثل نظام الكوتا المعمول به في البرلمان بل تجتاز امتحان الدخول إلى المعهد العالي للقضاء بنفس شروط زميلها الرجل وتخضع لنفس التكوين، بحسب الشنتوف.

يشار إلى أن المرأة في المغرب تبوّأت منصب القضاء منذ عام 1961، واستطاعت منذ ذلك التاريخ أن ترسّخ قدميها في القضاء متجاوزة مجموعة من العراقيل الاجتماعية التي كانت ولازالت مسيطرة في المجتمع. وحسب إحصائيات وزارة العدل والحريات في المغرب فإنه في عام 2014 بلغ عدد القاضيات 940 قاضية من أصل 4001 قاض، وارتفع هذا العدد ليصل إلى 1004 قاضية إلى حدود 15 سبتمبر 2015.

وأكد رئيس نادي قضاة المغرب أن القاضيات يعملن في المحاكم وفي مختلف التخصصات كما تتحمل العديد منهن مسؤوليات إدارية وقضائية داخل وزارة العدل ومحكمة النقض ومختلف المحاكم، ويُدرِّس بعضهن في المعهد العالي للقضاء ويسهمن في التكوين الأساسي والمستمر للقضاة والندوات داخل المغرب وخارجه.

وأشارت عائشة الناصري، وكيلة الملك لدى المحكمة الابتدائية المدنية بالدار البيضاء ورئيسة الجمعية المغربية للمرأة القاضية، في تصريح لـ"العرب"، أن تجربة القاضيات في المغرب متميزة، وأن القاضية المغربية ساهمت في بناء العدالة رغم ما تعانيه من تمييز.

ورغم هذه المكانة التي وصلتها المرأة القاضية فإنها لم تصل بعد إلى المناصفة كما ينصص على ذلك الدستور المغربي، حسب عبداللطيف الشنتوف رئيس نادي قضاة المغرب، مضيفا أن حضورها في مناصب المسؤولية قليل بالمقارنة مع حضورها في القضاء وأن بعض مناصب المسؤولية تظل حكرا على الرجل مثل مناصب النيابة العامة وغرف الجنايات وغيرها من المسؤوليات التي يحتكرها الرجال.

وقالت مليكة حافظ، رئيسة غرفة بمحكمة النقض، في إحدى اللقاءات ذات الصلة بالموضوع، أنه رغم "الإجماع على أن التجربة المغربية في مجال القضاء معترف بها عربيا وعالميا إلا أنه لا بد من التوافق بين وجود المرأة والرجل في سلك القضاء"، مضيفة أن عدم التوازن يظهر في تكليف النساء القاضيات ببعض القضايا العادية، وعدم توليها للقضايا الكبرى خاصة الجنائية، وغيابها بشكل تام عن المسؤولية في المحكمة العسكرية، موضحة أن المرأة القاضية استغرقت سنوات قبل توليها منصبا في تدبير المحاكم المغربية.

وحاول دستور 2011 إيجاد ما يسمّى بالتمييز الايجابي فخصص نسبة للنساء في المجلس الأعلى للسلطة القضائية وقد تم تفعيل هذه النسبة في الانتخابات الأخيرة بتاريخ 23 يوليو 2016 فتم تخصيص 3 مقاعد لها أي نسبة الثلث تقريبا من عدد القضاة المنتخبين بهذا المجلس. كما أكد على ذلك عبداللطيف الشنتوف.

وراء قاضيات المغرب قضاة يساندونهم في طلب المساواة

وأكدت عائشة الناصري، لـ"العرب"، أن قاضيات المغرب متفائلات كون مشروع قانون السلطة القضائية نصّ على أن يسعى المجلس الأعلى للسلطة القضائية إلى المناصفة. وتأسفت رئيسة الجمعية المغربية للمرأة القاضية، على أن المرأة القاضية تمثل فقط ربع قضاة المملكة كما أن مراكز القرار في سلك القضاء أي مناصب المسؤولية يوجد بها فقط 10 مسؤولات مقابل 200 مسؤول، بالإضافة إلى أن هناك مناصب لم يسبق لأيّ قاضية أن حملتها مثل منصب وكيلة الملك في المحاكم الزجرية أو وكيل عام، ومناصب المديريات.

مسابقة ملكة جمال المعوقات تحفز أسرهن على مساندتهن

إسعاد المتسابقات بتكريمهن حتى وإن تعرضن لخسارة اللقب

قبل 87 عامًا، أقيمت في مصر أول مسابقة في تاريخها لاختيار ملكة جمال العام، ومن وقتها اعتاد المصريون أن تنظم المسابقة بشكل سنوي وتتقدم للمشاركة فيها العشرات من الفتيات بصفات خاصة. لكن ما لم يعتده المجتمع العربي عموما، أن يتم الإعلان عن مسابقة لاختيار ملكة جمال تختص بالفتيات متحديات الإعاقة، من المقرر أن تقام في القاهرة مع بداية العام المقبل، وجرى فتح باب التقدم إليها قبل أيام.

أحمد عامر عبدالله

البعد عن اليأس والإحباط

❏ **القاهرة** – لم يكن يتوقع أصحاب فكرة تنظيم مسابقة لذوات الإعاقات فقط، أن تلقى هذا القبول من أسر الفتيات اللاتي ولدن بإعاقات متنوعة، لا سيما أنهم وجدوا في مسابقة من هذا النوع بادرة للاعتراف بحق فتياتهن حتى في الترويج لأنفسهن وإظهار جمالهن، سواء الجمال المتعلق بملامح الجسد، أو حتى جمال الروح وخفة الظل.

ومع أن تنظيم المسابقة جاء من رحم تحرك فردي لمنظمة أهلية، تبدو غير معروفة للكثيرين، لكن الخطوة تضاف إلى سلسلة من التحركات لتعميق الاهتمام والرعاية بذوي الإعاقة.

خلال السنوات الماضية جرى تخصيص أماكن لهم في التعيينات بالجهاز الحكومي المصري بنسبة 5 بالمئة في القطاعات المختلفة، وحث جميع الجهات على دمج الطلاب منهم في المدارس الحكومية، وتخصيص رواتب شهرية لأسرهم.

تبدو فكرة المسابقة غريبة نوعًا ما، وهو ما تسبب في إثارة لغط مجتمعي حولها، غير أن المنظمين، أكدوا أن هدفهم الأساسي توجيه الأسر والمجتمع وأجهزة الدولة لفئة ذوات الإعاقات الخاصة (الحركية، البصرية، التوحد، الصم والبكم، والتأخر العقلي) وتوفير الدعم النفسي اللازم، وتشجيع أولياء الأمور على تنمية قدرات الأبناء وتطويرها. ومن قبيل إظهار جدية المسابقة، تم وضع شروط محددة للراغبات في التقدم إليها، أهمها أن يتراوح سن المتقدمة بين 10 و23 عامًا، ولها أنشطة مختلفة، رياضية أو فنية أو في أيّ جانب إبداعي، بهدف تشجيع أولياء الأمور على الاهتمام بأبنائهم، حيث توجد أسر غير عابئة بتنمية مهارات الرياضة والفن عند الأبناء، ما يضاعف من الضغوط النفسية عليهم.

> الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تعاني منها أسر ذوات الإعاقة الخاصة، تجعل الأهل يبحثون عن بدائل لتخفيف هذه الضغوط عن كاهلهم، حتى وإن كانت «بسعادة مؤقتة»، مثل فرحتهم بأن ابنتهم قد تحمل اللقب

وما يميز المسابقة عن غيرها، أنها تسعى أساسا إلى إسعاد كل المتقدمات، حتى وإن تعرضن لخسارة اللقب، تجنبًا للأذى النفسي الذي يتعارض مع هدف الفكرة، فلن تكون هناك فتاة خاسرة، مهما كان سبب خسارتها، وجميع المتسابقات سيتم تكريمهن في الحفل الختامي، مع تمييز بسيط لملكة الجمال التي سيجري اختيارها من بينهن، لتقديم الدعم لهن والتركيز على أن ذوي الاحتياجات الخاصة من الممكن أن يكون بينهم مبدعون ومخترعون، وليسوا فئة مهمشة.

وقالت والدة إحدى الفتيات ممن تقدمن للمسابقة "إن موافقتها على اشتراك ابنتها المصابة بـ'متلازمة داون' جاءت من منطلق إسعادها وإدخال الفرحة إلى قلبها.'

وأضافت لـ"العرب" قائلة "أعلم مثل كل أمهات الفتيات ذوات الإعاقة أن المسابقة لن تقدّم أو تؤخر شيئا بالنسبة إلى حالة ابنتي، لكن وجدت في المسابقة ما يدخل الفرحة لقلوبنا لأول مرة، فلماذا لا نستغل الفرصة؟".

وقام منظمو المسابقة بتدشين صفحة على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) للحوار والنقاش مع الجمهور، والرد على الاستفسارات حول تفاصيل وتوقيت تنظيم المسابقة وآلية التقدم. وما ساعد على انتشار الفكرة بالأهداف التي يصبو إليها المنظمون، أنه يجري نشر صور خاصة للمتسابقات، أثناء المذاكرة في المنزل، أو ممارسة هواياتهن المفضلة، فضلا عن نشر السير الذاتية لهن، مع إظهار الابتكارات والنجاحات التي قامت بها كل متسابقة في أيّ مجال إبداعي لها، لتحفيز أسرهن على مساندتهن والبعد عن اليأس والإحباط.

> منظمو المسابقة اشترطوا أن يكون للفتاة سجل حافل بأنشطة فنية وإبداعية لتشجيع أسرهن على الاهتمام بهن وإزالة الضغوط النفسية عليهن

ومن بين المرشحات لنيل لقب ملكة جمال مصر لذوي الاحتياجات الخاصة، فتاة عشرينية تدعى رانيا صالح، قالت عنها الصفحة الرسمية للمسابقة، إنها حصلت على المركز الأول في مسابقة المبرمج الصغير لصناعة البرمجيات التي تنظمها وزارة التربية والتعليم المصرية خمسة أعوام متتالية، وفازت في مسابقة المبدع العربي الصغير في النشر الإلكتروني التي نظمها الاتحاد العربي للنشر الإلكتروني عام 2010، ومثلت مصر في مؤتمر منظمة الصحة العالمية لتبادل الخبرات الدولية لذوى الاحتياجات الخاصة عام 2007.

المفارقة، أنه على الرغم من تأييد أسر الفتيات لفكرة المسابقة، باعتبارها انتصارًا، ولو مؤقتًا، لكل فتاة من ذوات الاحتياجات الخاصة، كانت هناك ردود فعل معارضة بشدة، من جانب منظمات حقوقية ونسائية عديدة، تحت مبرر أن المسابقة تمثل محاولة لترسيخ مبدأ عزل ذوي الإعاقات عن باقي فئات المجتمع.

من هؤلاء، إيفون الزعفراني، محامية ذات إعاقة حركية، قالت لـ"العرب"، "المسابقة تمثل زيادة في التمييز السلبي وجلب الشفقة لهن كذوات إعاقة".

وأشارت إلى أنه لو "كان الهدف نبيلًا حقًا، لتمّ الإعلان عن مسابقة عامة لاختيار ملكة جمال وتتقدم إليها ذوات الإعاقة مثل غيرهن من الفتيات، وفي حال تراخي مؤسسات الدولة المسؤولة عن ذوي الاحتياجات الخاصة في التصدى لإقامة هذه المسابقة، سوف نلجأ إلى الجهات القضائية لوقفها".

لكن ما يعزز استمرار المسابقة، أن المجلس القومي لمتحدي الإعاقة (جهة حكومية) لم يعلق بالإيجاب أو الرفض عليها، كما أن المنظمين أكدوا أنه سوف يتم الإعلان عن الوزارات والمؤسسات الحكومية والخاصة التي سوف ترعى المسابقة مطلع الشهر المقبل، وبعدها سيتم إجراء التصفيات الأولية في كل محافظة بمصر.

وقال عبدالحليم محمد، استشاري الإرشاد الأسري في تصريحات لـ"العرب" إن الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تعاني منها أسر ذوات الإعاقة الخاصة، تجعلهم يبحثون عن بدائل لتخفيف هذه الضغوط عن كاهلهم، حتى وإن كانت "بسعادة مؤقتة"، مثل فرحتهم بأن ابنتهم قد تحمل لقب ملكة جمال مصر.

طبق اليوم

لحم الخروف بالبصل والبرقوق

المقادير:

- كيلوغرام لحم خروف من جهة الكتف.
- 750 غراما من البصل مقطع إلى دوائر.
- صف باقة كزبر وبقدونس.
- 4 ملاعق كبيرة زيت المائدة.
- 4 ملاعق كبيرة زيت زيتون.
- نصف ملعقة صغيرة فلفل أسود.
- نصف ملعقة صغيرة كركم.
- نصف ملعقة صغيرة زنجبيل.
- ملح.

للزينة:

- 6 حبات برقوق.
- ملعقة كبيرة سكر خشن.
- 150 غراما من العنب المجفف (الزبيب).
- نصف ملعقة صغيرة مسحوق القرفة.

طريقة الإعداد:

- يوضع اللحم، في طاجين على الفحم مع التوابل والملح والزيت والقليل من الماء ثم يترك اللحم يتشرب التوابل لمدة نصف ساعة.
- تصفف دوائر البصل فوق اللحم ثم تضاف باقة الأعشاب ويغطى الطاجين ويترك حتى ينضج اللحم ويتخثر المرق.
- ينقع البرقوق والعنب المجفف (الزبيب) في الماء حتى ينتفخا ثم يصفيا من الماء.
- يزين بالبرقوق والعنب المجفف قبل 15 دقيقة من إزالة الطاجين من فوق النار.
- يرش لحم الخروف بالسكر الخشن والقرفة ثم يغطى الطاجين حتى تمتزج الفواكه الجافة مع البصل والسكر الخشن والقرفة ويقدم ساخنا.

موضة

أزياء راني زاخم تجمع بين عالمين مختلفين

❏ جاءت مجموعة المصمم اللبناني راني زاخم للأزياء الراقية خريف وشتاء 2016–2017، مفعمة بالجاذبية والأنوثة، وتشكلت من فساتين ملوكية زين أغلبها بياقة حرف V، كما حجز الفستان المزود بأكمام تكشف عن الأكتاف لنفسه مكاناً ضمن هذه الباقة المنوعة من الفساتين الموجهة للسهرات.

قدم راني زاخم أزياءه للمرأة العصرية التي تهتم بأناقتها وتسعى لاختيار الأزياء الأفضل التي تظهرها بمظهر لائق وجذاب.

وتميزت الأزياء بالتطريز اليدوي، وأكمام الجرس المنفوخة والمزمومة عند المعصم والتصاميم المستوحاة من الفن العثماني لترضي جميع الأذواق، واحتوت التشكيلة على ألوان الشتاء القاتمة مثل الأسود والأحمر الناري والأزرق النيلي والبني الغامق والأخضر البترولي والبيج الغامق.

المجموعة تضمنت أزياء اعتمدت على بساطة القصات، وأزياء جمعت بين الطباعة والتطريز المتقن.

وفي تعليقهم على المجموعة قال خبراء الموضة إن زاخم جمع في مجموعته لموسم شتاء 2017، بين عالمين مختلفين: روسيا وأجواؤها الباردة ما يستوجب استخدام الفرو والمخمل والتطريز، والهند حيث الأجواء الحارة التي تتطلب الموسلين المتطاير والحرير الناعم.

البيكيني والبوركيني

هيفاء بيطار
كاتبة من سوريا

❏ أثار موضوع البيكيني (المايوه الذي بالكاد يستر الجسد) والبوركيني (اللباس الخاص بالسباحة والذي يستر الجسد حتى الرأس) جدلا كبيرا ونقاشات حادة لا تنتهي، إلى أن أقرت أعلى سلطة قضائية في فرنسا السماح بارتداء البوركيني.

وأعتقد أن المشكلة الحقيقية لا تكمن في مجرد لباس، بل أساس المشكلة هو عدم القبول بالمساواة مع الآخر، وفرض حكم قيمة على الآخر بأنه مُتخلف ورجعي ومرفوض وغير مرغوب فيه، لمجرد أنه لا يُشبهني ولا يتبنى أفكاري ونظرتي للأمور.

من تقتنع بكشف جسدها ولبس البيكيني ومن تخلع حمالة نهديها بكل بساطة أمام كل الناس لتعرض أكبر مساحة من جسدها للشمس تؤمن أنها مُتحررة وعلى حق، وتنظر –غالبا– باحتقار وفوقية لتلك التي تستر جسدها وتغطي رأسها بلباس البوركيني، بل تعتبرها كظاهرة من مظاهر تلوث الشاطئ والاعتداء على العقلية المتحررة التي تتمتع بها أوروبا وهي الكشف عن الجسد والسباحة عراة أو بارتداء قطعة قماش تكشف أكثر ممّا تستر.

ولطالما سمعت فرنسيين أو متفرنسين (من جنسيات مُختلفة) يشتمون المحجبات واللاتي يلبسن البوركيني ويحتقرونهن ويطالبن بأن يُرحّلن من دول أوروبا لأنهن يحملن عقلية غير تحررية كعقلية اللاتي يربطن العري بالتحرر الذهني والفكري. وبالمقابل وكردّ فعل على ذلك التقييم والرفض للمحجبات ومؤيدات البوركيني، يحق لهن أيضا –على مبدأ الفعل ورد الفعل– أن يحتقرن شبه العاريات في البيكيني.

وأمام هذه المُعطيات والرفض العميق لقسم من المجتمع للقسم الآخر المختلف عنه بالمعتقد والتفكير والعادات والتقاليد، أي سُخف أن نتحدث عن الاندماج في المجتمع وعن قبول الآخر! وفي فرنسا وحدها التي تضم عدة ملايين من المسلمين الحاملين للجنسية الفرنسية ألا يحق لهؤلاء اختيار اللباس المُتناسب مع عقليتهم ومعتقداتهم (ما عدا النقاب طبعا لأنه يُخفي الوجه).

ما الأذى الذي يسببونه لمن يصنفون أنفسهم متحررين بلباسهم هذا؟ كما لو أن التحرر مُرتبط باللباس! وليس بطريقة التفكير، التحرر الحقيقي هو قبولي للآخر والاعتراف بحقوقه كاملة كما أؤمن بحقوقي، المظهر لا يدل على شيء، فكم من ناس يبدون متحررين في المظهر ولكن تفكيرهم متخلف، والعكس صحيح أيضا. ومن يعطي أحدهم حقا ليطلق حكم قيمة أو ليحدد علاقة الآخر بالبحر والشمس والهواء؟ أليست الغاية من السباحة هي ممارسة الرياضة والتعرض لأشعة الشمس والتمتع بهواء البحر المُنعش، ألا يحق لكل إنسان أن يرتدي ما يريد ويكون مرتاحا في لباسه ومتجانسا مع معتقداته؟

أليس قمة في الاندماج والمحبة وقبول الآخر أن نجد امرأة تلبس البيكيني تصادق وتتحدث مع امرأة ترتدي البوركيني وكل واحدة منهن تحترم عقلية الأخرى وتنظر إليها كشريكتها في الإنسانية، أليس منظرا حُرًا ويعكس الاندماج في المجتمع أن نجد على الشاطئ (أيّ شاطئ في العالم) نساء يلبسن البوركيني ونساء يلبسن البيكيني لكن يجمعهن البحر والرياضة وقبول الآخر. ألا تعني الدولة العلمانية احترام عقلية وعقيدة وعادات وتقاليد كل الناس بشرط ألا يؤذي أحدهم الآخر؟

لكن للأسف ثمة من يُغذّي الأحقاد ويُلصق صفات شيطانية ومؤذية بشريحة واسعة من المجتمع، وبالدين تحديدا، حتى ابتعد الجميع تقريبا عن التفكير العقلاني الحيادي غير الحاقد وغير المُستند إلى مفاهيم جامدة مُسبقة، وأصبحت طريقة التفكير مجرد إدانة للآخر، وأصبح تعبير (الخوف من الإسلام أو الإسلاموفوبيا) تعبيرا ومفهوما راسخا يستحيل على صاحبه أن يزحزح أفكاره قيد أنملة. كم أحسّ بالخزي حين أسمع شريحة تدّعي الثقافة والتفكير الحر تتمنى وتطالب بطرد المحجبات والمسلمين من دول أوروبا وأميركا، وهذا ما قاله المُرشح الأميركي للرئاسة ترامب، وغيره من السياسيين من اليمين المتطرف. المشكلة التي أثارت ضجة هائلة ليست في مجرد لباس يستر أو يكشف الجسد بل في رفض الآخر وإدانته لأنه ليس مرآتي ولا يتبنى أفكاري.

وأخيرا كان قرارا صائبا اتخذته أعلى سلطة قضائية في فرنسا بالسماح بستر الجسد كحرية معتقد، أي السماح بالبوركيني.

أولمبياد ريو تعري الفساد داخل الرياضة الجزائرية

توفيق مخلوفي: على المسؤولين ألا يختبئوا وراء إنجازي

تحولت عودة البعثة الرياضية المشاركة في أولمبياد ريو دي جانيرو للجزائر إلى فرصة لتصفية الحسابات عبر التصريحات والتصريحات المضادة، بين مسؤولي اللجنة الأولمبية، وبعض الرياضيين والفنيين، فبين الاتهام بالفساد وخيانة الأمانة، وبين الدفاع على نظافة ونزاهة الهيئات المسؤولة عن البعثة، يتطلع الشارع الرياضي الجزائري إلى معرفة الحقيقة وأسباب المشاركة المخيبة.

سواعد فضية يهتز فوقها العلم

صابر بليدي
كاتب من الجزائر

□ **الجزائر** – تحدى رئيس البعثة الجزائرية المشاركة في أولمبياد ريو عمار براهمية، في ندوة صحافية منتقدي ومتهمي مسؤولي اللجنة الأولمبية بالفساد وخيانة الأمانة وتوظيف المشاركة في السياحة العائلية، أن يأتوا بدليل واحد يدين اللجنة، وحض هؤلاء على التوجه إلى القضاء لمتابعتهم، إذا كان لديهم ما يثبت تصريحاتهم النارية التي أطلقوها في ذروة الأولمبياد، وتحدثوا حينها عن تجاوزات وصفوها بـ"الخطيرة".

وكان العداء الجزائري توفيق مخلوفي الحائز على فضيتي سباقي 800 و1500 متر، قد أطلق في ريو دي جانيرو، تصريحات نارية ضد مسؤولي الرياضة الجزائرية، حيث اتهمهم "بخيانة الأمانة وعدم إنفاق أموال الدولة على الرياضة والرياضيين الجزائريين، وبالإهمال وعدم الاهتمام بانشغالات أعضاء البعثة، وتحويل المشاركة إلى رحلة سياحية أضرت بسمعة وألوان البلد".

وقال مخلوفي عقب تتويجه بالفضية الثانية "أهدي هذه الميدالية إلى الشعب الجزائري، وليس للمسؤولين الجزائريين، والإنجاز الذي حققته جاء بفضل اجتهادي وإمكانياتي الخاصة، ولم تساهم فيه اللجنة الأولمبية، وهو أحسن رد على المشككين والمنتقدين، الذين يختفون وراء المكاتب لقضاء أغراضهم الشخصية باسم الرياضة والرياضيين الجزائريين". والملاحظ أن المسؤولين في وزارة الشباب والرياضة واللجنة الأولمبية، تفادوا الصدام مع تصريحات مخلوفي وبورعدة وبعض الملاكمين، وعلّق كل من الوزير الهادي ولد علي، ورئيس اللجنة الأولمبية مصطفى بيراف، ورئيس البعثة عمار براهمية، المشجب على من أسموهم بـ"أعداء النجاح والمثبطين للعزائم والمحرضين على الفتن والطامحين إلى مناصب الهيئات الرياضية".

وأكد عمار براهمية في ندوته الصحافية، بأن "العدائين والرياضيين أحرار في تصريحاتهم، وهي جد طبيعية ولا تستهدفني شخصيا أو شخص رئيس اللجنة الأولمبية أو وزير الشباب والرياضة، وأنا من أخذ بيد العداء مخلوفي في بداية مشواره واستقدمته من مسقط رأسه بسوق أهراس إلى العاصمة، وهو بمثابة ابني". وأضاف "اللجنة الأولمبية مسؤولة عن التسيير فقط وليس عن النتائج المسجلة والمسألة الفنية تعود للاتحادات، وأن من يملك أدلة الإدانة ما عليه إلا التوجه للقضاء للقصاص مني أو من غيري، وليس لديّ أيّ تعليق على تصريحات مخلوفي أو بورعدة".

وكانت فضيتا العداء مخلوفي هما حصاد المشاركة الجزائرية في أولمبياد ريو، حيث أخفق جميع الرياضيين في الصعود إلى منصات التتويج، بمن فيهم رياضيو الملاكمة والجيدو الذين كان يعول عليهم للتتويج ببعض الميداليات، الأمر الذي جعل النقاد يختصرون مشاركة دولة في رياضي

> فضيتا العداء مخلوفي هما حصاد المشاركة الجزائرية في أولمبياد ريو، حيث أخفق جميع الرياضيين في الصعود إلى منصات التتويج، بمن فيهم رياضيو الملاكمة والجيدو الذين كان يعول عليهم للتتويج ببعض الميداليات

وحيد، ويطرحون الاستفهامات حول خلفيات وظروف هذا الإخفاق، بما أن نتائج الجزائر صارت في تراجع مستمر منذ أولمبياد سيدني العام 2000.

مشاركة مشرفة

كانت تقييمات الرسميين الجزائريين قد وصفت المشاركة بـ"الإيجابية والمشرّفة"، وأن "المرتبة 62 عالميا، واحتلال بعض الرياضيين للصف الخامس وثمانية آخرين ضمن العشر الأوائل في العالم، إلى جانب ظروف تحكيم رياضة الملاكمة التي حرمت بعض الملاكمين الجزائريين من التتويج، بدليل استبعاد الاتحاد الدولي للملاكمة لعدد من الحكام بسبب التجاوزات المرتكبة في بعض المنازلات، يعتبر شيئا إيجابيا، لا سيما وأن هناك دولا عربية وقارية تملك تقاليد عريقة في الرياضة، وهناك من يملك إمكانيات ضخمة، إلا أنها جاءت خلف الجزائر". وقال رئيس البعثة الأولمبية عمار براهمية، بأن "أطرافا أطلقت كذبة كبيرة صدّقها الإعلام، وأثرت على الشارع الجزائري، وكل النفقات مسجلة وموثقة ولم نتصرف خارج القانون، وأنّ كل الملفات قبلت وأعطينا كل ذي حق حقه، وهناك شخص متورط في قضايا جنائية منعه رئيس اللجنة الأولمبية من التنقل رفقة البعثة، تلافيا لأيّ تصرف يسيء لسمعتنا، هو الذي يقف وراء هذه الضجة، وفيما وقعت فضائح في البعض من البعثات وسجن أشخاص منها، كان حضور البعثة الجزائرية مثاليا في الأولمبياد".

وحاول المتحدث تبرئة تصريحات بعض الرياضيين، على غرار مخلوفي وبورعدة، ونسبها لبعض الفنيين والفاعلين في الساحة الرياضية، وربط المسألة بخصومات شخصية وتصفية حسابات، ردا على تصريحات المدرب أحمد ماهور باشا، بكون "العداء بورعدة لم يتدرّب إلا خلال الأشهر الأخيرة قبل الأولمبياد، وأن الإمكانيات محدودة جدا، لا تسمح بالتأكيد على المراهنة في المستويات العالمية "، في حين ذهب الملاكم إلياس عبادي إلى القول بأن "الملاكم الذي يعاني من البطالة والفقر في بلاده لا يمكنه أن ينازل في المحافل الكبرى".

وذكر براهمية في هذا الشأن "بورعدة شعر بضغط كبير وكان عليه تدبر أموره كما فعل باقي الرياضيين، وأن اللجنة لم ترفض أيّ طلب إلا إذا كان مبالغا فيه، والأمر هنا يتعلق بعمل الاتحادات"، كما لم ينف افتقاد البعض من الرياضات للإمكانيات اللازمة، لما قال بأن "مستوى الرياضة الأولمبية لا يستقطب الكثير من الممولين، عكس كرة القدم مثلا التي تعرف تزاحم (السبونسورينغ) على عتباتها".

رغم الانتقادات اللاذعة التي طالت مسؤولي البعثة جراء حرمان البعض من الرياضيين من مرافقة مدربيهم وطواقمهم الفنية لهم، بحجة محدودية الأماكن في طائرة الوفد، في حين سافرت عائلات بعضهم وعلى رأسها عائلة رئيس الوفد، إلا أن عمار براهمية أصر على أن سفر تلك العائلات كان على حسابها وليس على حساب اللجنة الأولمبية، وأنه سيقاضي بعض وسائل الإعلام المحلية، التي روجت لسفرية عائلات مسؤولي اللجنة الأولمبية". وفي حين لم يشرح خلفية أفضلية تلك العائلات حتى ولو كان على حسابها في السفر مع البعثة الرسمية، والشروط المطلوبة في ذلك. وبينما قال منتقدون بأنه في هذه الحالة كانت الأولوية لعائلات الرياضيين لتكون سندا معنويا لأبنائها في المنافسات،

حرص براهمية على المرافعة لصالح نظافة ونزاهة اللجنة الأولمبية، وبرر الهجوم على مسؤوليها، بحراك الانتخابات المقبلة للجنة.

وكان وزير الشباب والرياضة الهادي ولد علي، قد أصر عند استقبال عودة البعثة الأولمبية، على رفض فتح أيّ تحقيق في شأن التصريحات التي أطلقها عدد من الرياضيين في ريو دي جانيرو، وشدد على أن تقييما شاملا وهادئا للمشاركة سيشرع فيه قريبا بحضور جميع الفاعلين، واستبعد تماما وجود أيّ تحقيق في المسألة. وأظهرت تصريحاته انسجاما بينها وبين تصريحات رئيس اللجنة مصطفى بيراف، ورئيس البعثة عمار براهمية، مما يؤكد معلومات وردت حول تنسيق بين تلك الأطراف لاحتواء موجة الانتقادات للمشاركة المخيبة، قبل عودة الوفد المشارك في الأولمبياد، وفيما لم ينف وجود ما أسماه بـ"بعض النقائص في الإمكانيات والتحضير"، إلا أن وصف الوزير للمشاركة بـ"الإيجابية والمشرفة"، جاء مطابقا لوصف المسؤولين الآخرين.

ووعد الوزير ولد علي، بتكفل دائرته بالعداءين مخلوفي وبورعدة، وببقية الرياضيين الذين جاء ترتيبهم ضمن العشر الأوائل في التصنيف العالمي، واعتبر تصريحاتهم المنتقدة لا تعني سياسة الوزارة في تسيير القطاع، وتغافل عن تعمد البطل توفيق مخلوفي عدم العودة إلى أرض الوطن ضمن طائرة الوفد الرسمي، وتوزيعه لمنحة الـ40 ألف دولار التي حصل عليها من اللجنة على زملائه الرياضيين في ريو، قبل أن يشد الرحال منها إلى باريس للمشاركة في تجمع عالمي لاختصاص 800 متر.

اتهامات صريحة

كان توفيق مخلوفي قد وجه اتهامات صريحة عبر وسائل الإعلام لمسؤولي الرياضة في الجزائر، وكشف عبرها عن خلافاته الكبيرة معهم، وذكر بالمنصب والاسم رئيس البعثة عمار براهمية، بالقول "خان أمانة الحكومة الجزائرية التي وضعت تحت تصرفه رفقة رئيس اللجنة الأولمبية مصطفى بيراف أموالا كبيرة من أجل تسخيرها في خدمة الرياضيين الجزائريين وتحضيرهم بأفضل طريقة ممكنة للألعاب الأولمبية". وأضاف "أؤكد أن المسؤولين الرياضيين في الجزائر، وفي مقدمتهم عمار براهمية، لا يحق لهم أن ينسبوا تألقي وتحقيقي لميداليتين إلى أنفسهم، وأطلب منهم ألا يختبئوا وراء إنجازي وأن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه الحكومة والشعب الجزائري، براهمية كاد يقضي على مستقبلي الرياضي، ولو سمعت الكلام الذي كان يقوله لي، لبقيت في سوق أهراس (مسقط رأسه) ولم أشارك في الألعاب الأولمبية".

> رئيس البعثة الجزائرية المشاركة في أولمبياد ريو عمار براهمية حرص على المرافعة لصالح نظافة ونزاهة اللجنة الأولمبية، وبرر الهجوم على مسؤوليها، بحراك الانتخابات المقبلة للجنة

وتابع مخلوفي "على الشعب الجزائري أن يعلم، أني لم أتلق أي سنتيم من براهمية وبقية المسؤولين، وحضرت للأولمبياد بأموالي الخاصة، لقد أرادوا تحطيمي وكدت ألاّ أتنقل إلى البرازيل، ولكنني قررت في الأخير السفر بأموالي الخاصة، والمشاركة في كتابة التاريخ وإسعاد الشعب الجزائري الذي كان مصدر إلهامي الوحيد.. أنا من عائلة ثورية وأعلم جيدا ماذا يعني العلم الجزائري، وأشكر كل الجزائريين على دعمهم المطلق لي، وأقول لهم شاركت وفزت بميداليتين فقط من أجلكم، ولا دخل لبراهمية وجماعته في إنجازي التاريخي".

وعرج مخلوفي للحديث عن قضية البطل العربي بورعدة "بورعدة بطل حقيقي وكان بإمكانه أن يجلب ميدالية أولمبية للجزائر لو لم يتخل عنه براهمية.. بورعدة احتل المرتبة الخامسة في الأولمبياد رغم الإمكانات الضعيفة التي حضر بها، تصوروا أنه لم يكن يملك حتى الأموال للتنقل إلى ريو، ورغم كل الصعاب رفع التحدي وأثبت قدرة الشاب الجزائري الذي لا يعرف معنى كلمة مستحيل، ولهذا السبب أهديته إحدى الميداليتين اللتين تحصلت عليهما".

هاميلتون يضمن أفضل انطلاقة في جائزة إيطاليا الكبرى

ماركيوني يقر بفشل «فيراري» ويعلق آماله على موسم 2017

سيكون سائق "مرسيدس" البريطاني لويس هاميلتون أول المنطلقين، الأحد، في جائزة إيطاليا الكبرى، المرحلة الرابعة عشرة من بطولة العالم لسباقات الفورمولا واحد، بعد أن حقق أسرع توقيت في التجارب الرسمية، السبت، على حلبة مونزا.

نحو لقب ثالث على التوالي

❏ **مونزا (إيطاليا)** – هي المرة السادسة والخمسون التي ينطلق فيها سائق مرسيدس البريطاني لويس هاميلتون من المركز الأول في مسيرته، والخامسة له على حلبة مونزا الإيطالية، معادلا بذلك رقمي الأرجنتيني خوان مانويل فانجيو والبرازيلي إيرتون سينا.

وقطع هاميلتون الذي توج بطلا للسباق أعوام 2012 و2014 و2015، أسرع لفة بزمن 1:21.135 دقيقة بمعدل سرعة وسطي 157.083 كلم/ساعة، وتقدم بفارق نحو نصف ثانية على زميله في الفريق الألماني نيكو روزبرغ، وهو الساعي إلى لقب ثالث على التوالي في بطولة العالم مع فريق "مرسيدس" ورابع في مسيرته بعد تتويجه عام 2008 مع فريق "ماكلارين".

وأكمل سائقا "فيراري" الألماني سيباستيان فيتل، بطل العالم مع "رد بول" 4 مرات متتالية من 2010 إلى 2013، والفنلندي كيمي رايكونن، بطل العالم 2007 مع "ماكلارين"، والفنلندي فالتيري بوتاس (وليامس مرسيدس) في المراكز الخمسة الأولى.

وكان متوقعا أن ينطلق هاميلتون، الذي انطلق في جائزة بلجيكا الأسبوع الماضي من الخط الأخير بسبب عقوبة لتغيير في محرك سيارته، من المركز الأول بعد أن تسيّد جولتي التجارب الحرة الثانية الجمعة والثالثة السبت، وكذلك الجولات الثلاث التي تتشكل منها التجارب الرسمية، فيما تصدر روزبرغ جولة التجارب الحرة الأولى.

وتقام التجارب التأهيلية من 3 جولات تشارك في الأولى جميع السيارات لمدة 18 دقيقة على أن يتأهل إلى الثانية (15 دقيقة) أصحاب المراكز الـ16 الأولى، وفي نهايتها يخوض العشرة الأوائل الجولة الثالثة (12 دقيقة) لتحديد مراكزهم على خط الانطلاق.

وبات هاميلتون الذي يتصدر الترتيب العام لبطولة العالم بفارق 9 نقاط أمام روزبرغ بالذات، في موقف جيد لتحقيق الفوز الخمسين في مسيرته، وبالتالي توسيع الفارق مع زميله في الفريق.

وعلق روزبرغ على النتائج بالقول "لم أكن سريعا بما فيه الكفاية"، وذلك على الرغم من تخطيه سائقي "فيراري" تحت أنظار المدير العام للفريق الإيطالي سيرجيو ماركيوني.

وقد أقر سيرجيو ماركيوني رئيس شركة "فيراري"، السبت، أن الفريق الذي يحمل اسم شركته في بطولة العالم لفورمولا 1 للسيارات أخفق في تحقيق الأهداف المحددة له هذا الموسم، وبات تركيزه منصبا الآن على حصد الانتصارات في 2017.

وفي تصريحات صحافية لدى وصوله إلى حلبة مونزا، حيث يقام سباق جائزة إيطاليا الكبرى قال الرئيس التنفيذي لمجموعة (فيات كرايسلر) "أعتقد أننا أخفقنا في تحقيق الأهداف.. لا يساورني أيّ شك في هذا".

وأضاف "محاولات تجميل الوضع لا تفيد، السيارة غير قادرة على المنافسة ولا أعتقد أننا قمنا بتطويرها، أعتقد أننا بدأنا على نحو جيد في أستراليا، لكننا أخفقنا في تطوير السيارة طوال الموسم، وهو ما يعود للعديد من الأسباب".

وأخفق "فيراري" الذي فاز بثلاثة سباقات في 2015 بفضل الألماني سيباستيان فيتل، في تحقيق أيّ انتصار خلال الموسم الجاري في حين فاز "مرسيدس" في 12 سباقا وتوج "رد بول" بالسباق الوحيد الذي أفلت من قبضة حامل اللقب.

واحتل "رد بول" المركز الثاني في قائمة الصانعين على حساب "فيراري"، ولكن ماركيوني أبدى ثقته في أن تغييرات ستحدث في المراكز الأولى بالترتيب.

وقال "أنا على ثقة تامة بأن هذا الفريق قادر تماما على تغيير الأوضاع، لسوء الحظ لم يتبق أمامنا الكثير هذا الموسم"، وتابع "فلندعهم ينهون الموسم، أعتقد أننا سنبذل قصارى جهدنا لما تبقى من الموسم على أن يبدأ القتال في 2017 مع أول سباق".

وفي سياق متصل قال تقرير، السبت، إن سباق فورمولا 1 على وشك أن يباع لمجموعة الأعمال "ليبرتي ميديا".

وقالت مجلة "أوتو، موتور أوند سبورت" الألمانية عبر موقعها على شبكة الإنترنت "إذا حولت ليبرتي ميديا الأموال يوم الثلاثاء، سيبدأ عهد جديد في فئة النخبة".

وتوشك "ليبرتي ميديا"، ومقرها في الولايات المتحدة، على التوصل إلى اتفاق بقيمة 8.5 مليار دولار مع الملاك الحاليين، ومن بينهم الشركة الاستثمارية "سي في سي" التي اشترت حقوق هذه الرياضة منذ 10 أعوام.

وأكد رئيس الرابطة المشرفة على تنظيم بطولة الفورمولا 1، بيرني إيكلستون، نبأ الصفقة، لمجلة "أوتو، موتور أوند سبورت"، التي قالت إن الأسبوع المقبل موعد استحقاق أول دفعة من القيمة المقرر تسديدها على دفعتين.

> للمرة السادسة والخمسين يحقق لويس هاميلتون أسرع توقيت في التجارب الرسمية بفارق نحو نصف ثانية على زميله في فريق «مرسيدس» الألماني نيكو روزبرغ

خيط النجاة الأخير

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❏ هو لاعب قيل عنه الكثير في سنوات عمره المبكرة، تمكن في ظرف قصير أن يعتلي منصة نجوم كرة القدم في بلده وأوروبا عامة، يبلغ من العمر حاليا ستة وعشرين ربيعا، لكنه رغم ذلك بات مهددا بالاعتزال المبكر، والسبب في ذلك هو طبيعته المشاكسة والغريبة في أحيان عدة، هي طبيعة قد تسلبه وهو في أوج عطاء عمر الشباب كل ما جناه سابقا.

إنه الإيطالي ماريو بالوتيلي المنتقل حديثا إلى نادي نيس الفرنسي بعد تجارب أخيرة فاشلة سواء مع نادي ليفربول الإنكليزي أو ميلان الإيطالي.

عود على بدء، وحديث يتكرر بخصوص هذا اللاعب المنفلت دوما، والرافض لكل سلوك قويم من شأنه أن يساعده فعلا على الانطلاق والتحليق في الأفق الرحب للشهرة والنجومية والتألق اللافت على الدوام.

فاليوم، وليس أمس سيجد هذا الفتى المشاغب وصاحب المقالب والطباع الحادة والمزاج الغريب فرصة، ربما، هي الأخيرة أمامه كي يعود إلى الجادة والطريق السالكة نحو مجد لم يأت يوما، رغم موهبته الفذة وقدراته الهجومية الرهيبة بشهادة أغلب الفنيين والمحللين.

ماريو وجد منفذا ومخرجا للتنفس والعودة إلى حياة الملاعب بصخبها وجنونها، بأفراحها وأحزانها، بنجاحاتها وانكساراتها، بعد أن ظل قرابة الموسمين بعيدا عن الأضواء واللعب المستمر سواء مع ليفربول أو الميلان.

ربما أحسن بالوتيلي ولو لمرة واحدة في حياته الاختيار عندما ارتمى في "أحضان" نادي نيس الذي قاد في السابق لاعب آخر كاد يلفه النسيان والفشل، فانتشله وأحاط به ثم قدمه من جديد إلى العالم، والحديث هنا يتعلق بالفرنسي حاتم بن عرفة الذي هرب من محطته الفاشلة في إنكلترا مع نادي نيوكاسل على وجه الخصوص، ليستعيد عنفوانه وتوهجه وينتقل بعد ذلك إلى باريس سان جيرمان.

والثابت أن ماريو المتقلب والمزاجي قد يجد المناخ الملائم كي يعيد تشغيل عداد النجاح والبروز، ويقدم نفسه من جديد كأحد أفضل المهاجمين في العالم.

هي بلا شك فرصة الأمل الأخير، فإما التزام ونجاح فحياة، وإما تراخ وجنوح وجنون فممات (كرويا)، هكذا يبدو الوضع الجديد لماريو العنيد، فالحظ في الحياة يأتي مرة وفرصة النهوض بعد السقوط لا تأتي إلا لماما، ونيس الفرنسي الفريق البعيد عن الأضواء والضغوطات سيوفر بلا شك كل المناخ والظروف الملائمة أمام الفتى المتمرد كي يعود إلى الجادة، وينقذ ما يمكن إنقاذه قبل أن يذهب عنفوان ربيع العمر سدى.

في السابق أفلت ماريو خيط النجاح الساحق والتمركز الدائم ضمن صفوة نجوم العالم، والسبب في ذلك استهتاره وأعماله "الصبيانية" وعدم التزامه سواء في الملاعب أو خارجها، ولم يشفع له بروزه مع منتخب إيطاليا في أمم أوروبا سنة 2012، فانزلق في متاهات ضيقة ونفق مظلم لم ينتشله منه سوى نادي نيس مؤخرا.

هذا الفتى عانى من تصرفاته كل فريق مرّ به بدءا بإنتر ميلان الذي أحاط به ووفر له كل مستلزمات التفوق، قبل أن يبث ماريو بتصرفاته اليأس في الجميع، ليجد منفذا جديدا مع نادي مانشستر سيتي الذي صبر عليه طويلا علّه يلتزم ويعود إلى الجادة، لكنه لم يفعل، ليعود مهرولا صوب إيطاليا من بوابة ميلان، بيد أنه لم يلتزم مرة أخرى، كما عاندته الظروف ليضطر للبحث عن مغامرة جديدة في إنكلترا وتحديدا مع ليفربول، لكن سمعته السيئة أعاقته وشكلت عبئا نفسيا إضافيا حرمه من تجاوز محنه، عاد بعد ذلك في منتصف الموسم الماضي إلى الميلان في تجربة قصيرة لم تكلل مرة أخرى بالنجاح، ليجد نفسه في محيط شاسع وممتد بلا نهاية، حينها فقط فكّر أنها ربما بداية النهاية.

ومع ذلك، ظهر خيط النجاة في الأفق البعيد فحمله قارب نيس إلى برّ الأمان المؤقت، وكأن لسان حال القائمين على الفريق الفرنسي يحث هذا الفتى المتمرد، الحائر والمرتبك ويوصيه بضرورة الصبر والإيمان ثم الانطلاق من جديد.

ربما أدرك بالوتيلي بعد هذه السنوات من المد والجزر والتقلبات والعواصف الهوجاء أنه حان وقت الهدوء والالتزام بشيء من الرصانة والعقل، شيء من الحكمة والعمل الجاد، فما خسره سابقا لن يعود وما قد يجنيه لاحقا قد يعيده إلى الواجهة، لكن قبل كل شيء يتعين عليه أن يؤمن وهو في سن النضج الكروي بأن المجد والإبداع والتألق عناصر لا تكتسب إلا غلابا وعملا واجتهادا، وليس بافتعال المشاكل التافهة والخروج عن الطوع.

هو بلا شك طوق النجاة الأخير الذي لن يجده مرة أخرى، ولهذا سيكون "سوبر ماريو" أمام أصعب امتحان في تاريخه، ربما هو أصعب من اختبار الدنيا الذي أصابه منذ ولادته بمرض في الأمعاء، ثم حرمه من أبويه وهو في سن الثالثة من عمره بسبب الخصاصة وضعف الحال، لذلك يتعين عليه أن يكابد ويجاهد كي ينجح ويردّ دينا قديما لسيدة إيطالية منحته كل الحب والحنان المفقود، والأكثر من ذلك أنها كافحت حتى تساعده على النجاح في رياضة أحبها إلى درجة الجنون منذ صغره.

فلا تفوّت في الفرصة، ولا تقطع خيط النجاة الأخير يا ماريو.

محمد علي اليعقوبي يسعى إلى التألق في تركيا

❏ **تونس** – يسعى المدافع التونسي محمد علي اليعقوبي، لإثبات نفسه وفرض موهبته في الدوري التركي الممتاز لكرة القدم "سبورتوتو سوبرليغ".

ووقع اليعقوبي (25 عاما) عقدا مع ريزه سبور التركي، لمدة 3 أعوام، اعتبارا من الموسم الجاري 2016–2017، بعد مشوار استمر 7 سنوات مع عدة فرق محلية أبرزها النادي الإفريقي والترجي.

ويؤكد اللاعب العربي الرابع في الفريق التركي، أنه سيعمل على تقديم أفضل ما لديه لتشريف بلاده والكرة التونسية، وفتح الباب على مصراعيه أمام مواطنيه لخوض تجربة احترافية في الدوري التركي.

ويضيف اليعقوبي "رغم الفترة القصيرة التي قضيتها في ريزه سبور، إلا أنني رأيت أن الدوري التركي بات وجهة للكثير من نجوم اللعبة في العالم".

ويقول "الاتصالات مع الفريق التركي بدأت نهاية الموسم الماضي، وكانت مباشرة مع وكيل أعمالي، وكانت الجدية واضحة منذ البداية في رغبة مسؤولي ريزه سبور بضمّي، ما دفعني لعدم التردد في قبول العرض، فالدوري التركي متطور جدا وأصبح المستوى فيه قويا على غرار بقية البطولات الأوروبية".

ويرى الدولي التونسي أن "الدوري التركي تطور مستواه، والأداء فيه مرتفع، وفريقي الجديد يتمتع بخبرة اللعب في الدرجة الأولى، إضافة إلى امتلاكه مدربا كبيرا، وأرى أن اللعب في تركيا سيضيف لي الكثير على المستوى الرياضي، فهناك تقارب في العقلية بين اللاعب التونسي والتركي"، لافتا إلى أن التطور الكبير للمنتخب التركي تعكسه عقلية لاعبي بطولته المحلية.

وحول وجود لاعبين عرب في فريقه (العراقيان ضرغام القريشي ورضوان فائز عطية والمغربي مروان سعدان)، يؤكد اليعقوبي أن "وجودهم سهّل اندماجه في فريقه الجديد بشكل كبير".

وتخوض تونس، الأحد، لقاء مصيريا مع ليبيريا ضمن الجولة الأخيرة للمجموعة الأولى لتصفيات كأس أمم أفريقيا، حيث يحتاج نسور قرطاج للفوز من أجل التأهل للبطولة التي ستقام في الغابون في يناير 2017.

رابع العرب في ريزه سبور التركي

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

«حكاية حب» تجمع عيضة المنهالي بديانا حداد

❑ **دبي** – بعد نجاحهما معا في الدويتو الذي قدماه سويا عبر أغنية "لو يسألوني"، يعود الفنانين الإماراتي عيضة المنهالي واللبنانية ديانا حداد من جديد ويقدمان أغنية مشتركة أخرى، من خلال أشعار مانع سعيد العتيبة، بعنوان "حكاية الحب" لحنها عيضة المنهالي نفسه، وقام بتوزيع موسيقاها المايسترو محمد صالح، وتحت إشراف ومتابعة الشاعر الإماراتي راشد شرار.

وتحمل كلمات الأغنية التي وصف بها الشاعر الإماراتي مانع سعيد العتيبة، أمنيات العاشق مع حبه الكبير وعشقه الداخلي، حيث يبدأ عيضة المنهالي الغناء قائلا في المطلع "حكاية الحب لي ما بينك وبيني/كل المحبين في الدنيا اتناقلها/يا ليتهم في غرامك لو مخليني/أحيا المحبة من آخرها وأولها".

وفي المقطع الثاني من القصيدة والأغنية، تبدأ ديانا حداد غنائها والرد عليه، من خلال مشاعر وكلمات الشاعر، حيث تقول "هم ما دروبك بأن انته نظر عيني/وانته الغناه وسعد من هو يحصلها/ودي أنا أحيا وبيدك تحضن إيديني/ومحبتك في حنايا الجوف أحملها".

وبدأت الإذاعات في الإمارات والخليج والوطن العربي، بث أغنية "حكاية الحب" بعد أن قام بعملية المكس والماستر المهندس ماجد صالح، وقبل أن يتم عرض الفيديو كليب الخاص بها، الذي تم تصويره في بيروت مع المخرج الإماراتي جاسم الجسمي، على شكل قصة بين شاب وفتاة يعيشان حكاية حب جميلة بكل تفاصيلها، ويقضيان يوما مليئا بمشاعر الرومانسية المتبادلة بعد حب صادق بينهما.

وسيتم عرض الفيديو كليب قريبا عبر القنوات الغنائية في موقع اليوتيوب الخاص بالشاعر الإماراتي مانع سعيد العتيبة، والفنانين ديانا حداد وعيضة المنهالي، إلى جانب القنوات الفضائية المتخصصة جميعها.

لندن تحيي ذكرى حريقها الكبير بإحراق جديد

تحيي لندن، الأحد، ذكرى مرور 350 عاما على الحريق الهائل الذي أتى على المدينة بشكل شبه كامل سنة 1666، عبر فعاليات متنوعة تتضمن خصوصا إحراق مجسّم عملاق للعاصمة البريطانية في القرن السابع عشر على جسر التايمز.

❑ **لندن** – تستذكر العاصمة البريطانية لندن منذ بداية الأسبوع الجاري، ذكرى مرور 350 عاما على الحريق الهائل الذي أتى على المدينة سنة 1666، وذلك من خلال مهرجان "لندن بورنينغ فيستيفال".

ويقيم متحف لندن معرضا تحت اسم "فاير! فاير!" يعرض أدوات عائدة إلى تلك الحقبة والوسائل المستخدمة لاحتواء الحريق، وقد قضى الحريق، حينها، على 60 بالمئة من مدينة لندن التي توسعت ضمن الجدار الروماني، آتيا على 13200 منزل أغلبيتها مصنوع من الخشب و87 كنيسة إلى جانب كاتدرائية القديس بولس.

وتستضيف المدينة أيضا بالمناسبة عروضا مسرحية وجولات إرشادية عدة، فضلا عن إقامة عروض ضوئية لألسنة نارية على قبة كاتدرائية القديس بولس، وتبلغ الاحتفالات ذروتها مساء الأحد مع إحراق مجسّم خشبي بطول 120 مترا لمدينة لندن القديمة على ضفاف التايمز، اتقاء من شر تكرار المصيبة.

وقالت هيلين ماريدج مديرة شركة "أرتيشوك" للفعاليات الترفيهية المكلفة بهذه المهمة التي ستبث مباشرة على الإنترنت اعتبارا من الساعة 19:25 بتوقيت غرينيتش، "هو عرض مبهر من دون شك"، وأضافت "سيشب الحريق من شرارة واحدة ليأتي تدريجيا على المجسّم".

وقد اندلع الحريق الهائل من مخبز توماس فارينور الصغير في بودينغ لاين في الثاني من سبتمبر 1666 بعيد منتصف الليل، ثم انتشر بسرعة في أرجاء المدينة واستغرق احتواؤه ثلاثة أيام.

وبحسب الحصيلة الرسمية، تسبب الحريق بمقتل ستة أشخاص لا غير، لكن هذه الحصيلة لا تشمل ضحايا الطبقات الفقيرة الذين قضوا في النيران.

وشرحت ميريل جيتر القيمة على معرض "فاير! فاير!" أن "عدد القتلى قليل، لأنه تسنى للسكان الهروب من منازلهم"، كما أكدت أن "الحريق ألحق أضرارا جسيمة بوسط لندن، حيث تقع أغلبية المتاجر والمعالم الثقافية".

وقد اضطر نحو 70 ألف شخص من سكان المدينة البالغ عددهم في تلك الفترة 80 ألفا لمغادرة منازلهم إلى مخيمات فتحت خارج الجدار.

وفي خضم الفوضى التي خلفتها الكارثة، سرعان ما وجهت أصابع الاتهام إلى الأجانب والكاثوليك وكثرت عمليات الإعدام التعسفي في شوارع لندن، وقد شنق روبير أوبير، وهو صانع ساعات فرنسي ساذج بعد أن أقر بأنه تسبب بالحريق في حين أنه كان على الشاطئ عند اندلاع النيران.

ولندن كما يعرفها الجميع اليوم بتصاميمها الهندسية الباروكية رمادية اللون بعثت من رماد حريق العام 1666، وقد أعيد بناء كاتدرائية القديس بولس في الوسط، وأنجز ترميمها بعد 44 عاما على الحريق الكبير.

ولفت نيك بودجر المسؤول عن التنمية الثقافية والسياحية في مدينة لندن إلى حس المثابرة الذي تحلّى به السكان والذي ساعدهم على مواجهة المحنة، حيث قال "قبل 350 عاما، كادت لندن أن تخسر إلى الأبد مرونتها المالية، لكن عزم السكان الراسخ كالصخر أنهض المدينة من رمادها لتصبح ما هي عليه اليوم".

نار واقية من الشرور

روبوت صالح للأكل يشخّص الأمراض

❑ **واشنطن** – ابتكر باحثون أميركيون روبوتا صغيرا داخل كبسولة تشبه الأدوية مطبوعة بتقنية ثلاثية الأبعاد، قابلة للتحلل والهضم في المعدة، وتقوم بوظيفة الاستقصاء والتشخيص من داخل الجسم البشري للكشف عن الأمراض.

وكان القلق الأكبر لدى الباحثين عن مدى أمان هذه الأجهزة، وسميّة المواد المستخدمة في بنائها، خاصة أن أهم جزء في هذه الروبوتات هو البطارية، التي تعتبر من الأجزاء الأساسية في أيّ آلة، رغم أنها غالبا ما تحتوي على مواد كيميائية ضارة يمكنها أن تقتل البشر.

وقد صنّع الباحثون بطارية صالحة للأكل، حيث يقوم مصدر الطاقة بتقديم الشحنة، ومن ثم يتم دفعها في نهاية المطاف إلى خارج الجسم مع الفضلات، حتى أنه يمكن وضع البطارية في أقراص الأدوية.

ووصف الباحثون خلال العرض التقديمي في الاجتماع الوطني ومعرض الجمعية الكيميائية الأميركية، البطارية المصنوعة من الميلانين، وهي صبغة الجلد التي تساعد على حماية الجسم من الأشعة فوق البنفسجية.

وقدم العلماء شرحا للميلانين الذي يستحوذ على أيونات مشحونة تسمى الجذور الحرة، كما أنه يمتص المعادن، مثل الزنك، والألمنيوم والحديد، وخاصية امتصاص المعادن تجعل الميلانين يتصرف كالبطارية بشكل أساسي، ويجعله مثاليا لهذا الغرض.

وتتألف البطارية من الميلانين الذي يشكل القطب الموجب أو السالب فيها، بالإضافة إلى أوكسيد المنغنيز، وفوسفات تيتانيوم الصوديوم، والنحاس والحديد، وكلها موجودة في جسم الإنسان.

وذكر الباحثون أن مادة الميلانين تشكل البطارية التي يمكن أن تعطي تغذية لجهاز يعمل بطاقة 5 ميللي واط، لمدة تصل إلى 18 ساعة، عند استخدام 600 مللي غرام من مادة الميلانين النشطة على شكل مهبط (قطب سالب).

ويبين العلماء أن هذا الوقت كاف لتوصيل الأدوية القابلة للهضم أو جهاز الاستشعار إلى المكان المناسب.

ويوضع النظام الشبيه بالروبوت في كبسولة قابلة للهضم مطبوعة بتقنية ثلاثية الأبعاد، ومصنوعة من مادة الجيلاتين، مشابهة للكبسولة المستخدمة في بعض المكمّلات الغذائية، وعندما تنفجر الكبسولة، يمكن أن يتم فعلا هضم الميلانين والمكونات الأخرى، أو أن تتم معالجتها من قبل الجسم، دون أن تترك أيّ آثار جانبية.

فرنسا تنظم مهرجانا لطائرات من دون طيار

❑ **باريس** – تحلق طائرات من دون طيار، الأحد، فوق جادة الشانزليزيه الشهيرة في باريس بمناسبة أول مهرجان للطائرات المسيّرة في العاصمة الفرنسية.

وسيتخلل مهرجان "باريس درون فستيفال" سباقات لطائرات من دون طيار وعروضا استعراضية، وتقام فيه أكشاك مخصصة لهذه المركبات الصغيرة التي يتم التحكم بها عن بعد، ويزداد الإقبال عليها لأغراض الترفيه والمراقبة والوقاية والتصوير من الجو.

وتنطلق فعاليات المهرجان المجاني بسباق يشارك فيه ثمانية طيارين فرنسيين إضافة إلى نظراء لهم من جنسيات مختلفة اخرى، يتحكمون بمركباتهم ضمن شباك ترتفع على علو ثمانية أمتار على مساحة ألفي متر مربع.

صباح العرب

حكيم مرزوقي

حنين ما بعرف لمين

❑ الحيوان هو أوّل من احتلّت أراضيه، واغتصبت ثرواته واجتث من بيئته، ترمّل وتثكّل وتعرّض إلى أشنع حملات التطهير والإبادة، وضع في الأقفاص والأحواض والطناجر، وبيع واقتيد إلى الحلبات والمسالخ.. وهو الأعزل إلا من أسنانه، والمحتجّ بصمته حينا وصوته أحيانا أخرى.

لم يختر الحيوان يوما مغادرة غابته أو صحرائه أو بحره أو سمائه، وحين يترك موطنه مجبرا يحنّ إليه كحصان اشتمّ فجأة رائحة الحرية.

ميّز العرب منذ القديم بين أصوات الحيوان (أو احتجاجاته)، من دبيب النمل إلى حفيف الأفاعي وخوار الأبقار ونهيق الحمير ونقيق الضفادع ونعيق الغربان ومواء الهررة ونباح الكلاب وثغاء الأنعام إلى حنين النوق!.. نعم إنّ الناقة تحنّ، تماما كالقصب المنبتّ من أحراشه البعيدة.

صوت ناقة ثكلى في صحراء موحشة تبكي وليدها وتقف على طلل حبيبة صاحبها، لا شك أنّه مشهد موغل في الحزن والشجن، ومنه استعارت العرب عبارة "حنين".

ما الذي يجعل الكائن البشري ألوفا وشغافا وحزينا إلى حدّ العذوبة، غير الحنين؟ ما الذي يحفظ تراث الأوطان المصادرة وأغاني الأجداد المبحوحة ومفاتيح الأبواب المخلوعة، غير الحنين؟

الحنين هو الذي جعل ميسون التدمريّة ترفض رغد العيش في بلاط معاوية وتعود إلى باديتها بعد أن أنشدت قصيدتها الشهيرة "لبيت تخفق الأرواح فيه أحبّ إليّ من قصر منيف".

وهو الذي جعل صديقي المرحوم رضوان رجب يغنّي "قديم أنا بينكم كالعذاب، ككل الذين انتهوا عنبا في التراب ومسألة في العيون".

الحنين هو الذي جعل النّسر يقتاد مليكه سليمان إلى مكان مقفر وموحش بين صخور جبليّة، يترجّل ويقول له "هنا يا مولاي.. هنا فتحت عينيّ وجناحي لأوّل مرّة.. هنا أجمل أمكنة الأرض يا صاحب الهيكل".

وحده الحنين حين يستبدّ بصاحبه يجعل من شوفينيته مقبولة، ومن تعصّبه مهضوما ومن حزنه شعرا نقيّا كالمطر.

الحنين يجعلنا نعشق الصحراء ونشتمّ رمالها بأنف إبراهيم الكوني، وشمس أفريقيا وطبولها مع سينغور، والبحر والصيد والقنص مع همنغواي، وحارات مصر مع نجيب محفوظ، والبيئة الفراتية مع لغة سليم بركات وألوان عمر حمدي، ونيل السودان مع الطيب صالح، وغرائبية شخوص أميركا اللاتينية مع روايات غارسيا ماركيز وجورج أمادو.

أحببنا بلدات وقرى تجاهلتها الخرائط، وأدارت لها ظهرها لوحات الطرقات، لكنّ أشقياء من أبنائها قد ألبسوها دور البطولة المطلقة وجعلوا عتاة المدن "كورال" و"كومبارس" في حضورها.

ربّما نشبه ذلك النسر العجوز الذي لا يطوي جناحيه إلا في المكان الذي ولد فيه، رغم أنف مليكه وتاجه، وربّما تختفي الأمكنة عن عيوننا وعن الخرائط، ولكن.. هل تختفي من رؤوسنا وقلوبنا.. لقد ورثنا وسوف نورّث أبناءنا أسماء الأمكنة الأرحام.

سوف نظل نحنّ، حتّى إلى ما لم نفعله وما لم نكنه وما لم نملكه.. ألم تغنّ فيروز يوما "أنا عندي حنين وما بعرف لمين".